مجلة علمية مُحَكَّمة تصدر عن مركز المدوحة الدولي لحوار الأديان

أديان

الإصدار ١٨/ ابريل ٢٠٢٤

الأديان وقضايا الأسرة في ظل المتغيرات المعاصرة

ISSN: ٢٢١٨-٧٤٨٠
ثمن النسخة: ٣٠ ريال/ ١٠ دولار

تصدر عن مركز الدوحة الدولي
لحوار الأديان
ص. ب. ١٩٣٠٩ الدوحة - قطر

http://www.dicid.org/journals.php
dicid.admin@dicid.org
dicid.news@dicid.org
http://www.qscience.com/loi/rels

مباشر: ٤٤٨٦٤٦٦٦-٩٧٤+
٤٤٨٦٥٥٥٤-٩٧٤+

فاكس: ٤٤٨٦٣٢٢٢-٩٧٤+
٤٤٨٦٩٩٠٠-٩٧٤+

DICID
مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
Doha International Center for Interfaith Dialogue

GEORGETOWN UNIVERSITY
School of Foreign Service in Qatar

مجلة أديان (دورية علمية محكَّمة)

هيئة التحرير

• **د. إبراهيم صالح النعيمي**
رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان ورئيس التحرير
• **د. أحمد عبد الرحيم**
محرر اللغة العربية، باحث بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
• **د. سيناد مارهروفيتش**
محرر اللغة الإنجليزية، محاضر في مركز سلطان عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية (SOASCIS) ، جامعة بروناي دار السلام (UBD).

الهيئة الاستشارية الدولية

• د. رودني بلاكشيرت، قسم الدراسات الدينية والفلسفية، جامعة لاتروب، بنديغو، أستراليا
• د. ديفيد بيكويل، رئيس قسم اللاهوت والفلسفة، جامعة نوتردام، الولايات المتحدة الأمريكية
• د.جيمس كاستنغر، أستاذ الدراسات الدينية، جامعة ساوث كارولاينا، الولايات المتحدة الأمريكية
• د. إريك جيفري، أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ستراسبورغ 2، فرنسا
• د. عائشة المناعي، مدير مركز محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة
• د. إبراهيم كالين، أستاذ الدراسات الدينية، دكتوراه جامعة جورج واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية
• د. أوليفر ليمان، أستاذ الفلسفة والدراسات اليهودية، جامعة كنتاكي، الولايات المتحدة الأمريكية
• د. روزمير ماهموتسهاجيتش، أستاذ بجامعة سرايفو، البوسنة والهرسك
• د. كنت أولدميدو، قسم الفلسفة والدراسات الدينية، جامعة لاتروب، بنديغو، أستراليا
• د. سيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية، جامعة جورج واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية
• د. إليزر سيغال، أستاذ بقسم الدراسات الدينية، جامعة كالغاري، كندا
• د. رضا شاه كاظمي، باحث، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، المملكة المتحدة
• د. أرفيند شارما، رئيس قسم الأديان المقارنة، جامعة ماكغيل، مونتريال، كندا
• د. علي بن مبارك، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعي تونسي

تصميم

• أسامة أبو حلاوة

أديان

مجلة علمية يصدرها مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

مجلة دولية محكمة نصف سنوية، تصدر باللغتين العربية والإنجليزية، متخصصة في دراسة كافة القضايا الإنسانية من منظور الأديان، كما تركز على الحوار بين الأديان والتواصل الحضاري بين مختلف الثقافات، من خلال نشر الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتخصصة؛ وذلك لخلق حوار فكري وثقافي تفاعلي لتناول المحور الواحد من زوايا متعددة، مما يعطي تنوعا فكريًّا وثقافيًّا يُثري المجلة ببعدٍ تعدديّ نوعيّ مبدع في مجال الدراسات الدينية.

كما توفر المجلة فضاء للتلاقي والتفاكر حول المشتركات العامة والمقاصد المشتركة للأديان، وذلك في عالم يتخلله سوء التفاهم الديني، وممارسات العنف، واختطاف التعاليم الدينية من قبل الأيديولوجيات السياسية.

﴿**... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾ (المائدة: ٤٨).

تجد مجلة أديان إلهامها في الرسالة العالمية للإيمان بإلهٍ واحد، في معناها الواسع، كما أنها تسعي لمشاركة مختلف الديانات التي لها مبادىء وقيم مشتركة في داخل هذا الإطار المفهومي الواسع.

وتشجع المجلة الدراسات المقارنة والتبادلات بين الأديان بروح الحوار والاغتناء المشترك. وهدفها هو الترويج للتفاهم بين أتباع الأديان، وبدراسة واكتشاف الأسس الدينية والروحية المشتركة بينهم، وعلاقاتهم البناءة المتبادلة في الماضي، والحاضر وفي المستقبل، ودراسة وتفهم أفضل لأسباب الصراعات بينهم، والتحديات التي يواجهونها، وإيجاد سبل التعاون فيما بينهم.

كما تود المجلة أن تحيي الأفق العالمي للإسلام وتؤكد عليه، وذلك برعاية دراسات في العلاقات بين الإسلام والديانات والحضارات الأخرى في مجالات التاريخ، والفنون، والدراسات الدينية. وفي هذا أيضاً مسعى لتفعيل الخطاب الفكري في الإسلام، وذلك في إطار ارتباط تفاعلي ومثمر بين الإسلام والديانات الأخرى.

المقالات والأبحاث المنشورة في مجلة أديان هي على مسؤولية كتابها بصورة كاملة، ولا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان. وهي تُنشر في إطار حوار مستمر حول الأديان، ولا تُؤخذ بأنها تعبر عن مواقف أي منظمة راعية للمجلة.

FAMILY

محتويات

افتتاحية العدد:

الأستاذ الدكتور إبراهيم النعيمي

رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان رئيس التحرير..... ٤

حوار العدد:

سعادة الوزيرة الأستاذ الدكتورة عواطف حيار- وزيرة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة بالمملكة المغربية..... ٦

الأبحاث:

الأسرة في التشريع الإسلامي وكيفية تحقيق مبدأ التوازن الأسري في ظل المتغيرات المعاصرة... علي محيي الدين القره داغي ١٦

القيم الأسرية بين الإسلام والأديان- قراءة في التحديات المعاصرة...

ليليا شنتوح ٤٢

الثوابت والمتغيرات في قضايا الناشزين والناشزات عند اليهود والمسلمين: دراسة أصولية فقهية مقارنة... الحسين محمد علي خليل ٦٠

أثر الطلاق وتداعياته على الأسرة والتنمية واستقرار المجتمع في دولة قطر رؤية اجتماعية إسلامية... هند الحمادي ٧٨

ترسيخ القيم الدينية للأبناء في ضوء وصايا لقمان: قراءة في المقومات والآليات...

جميلة نور الدين بلعودة ١٠٠

حوار الأديان والعولمة وأثرهما على محددات القيم الأسرية...

أحمد عبد الرحيم ١٢٦

الأسرة المسلمة بين الواقع الافتراضي، والواقع المفروض....

شفاء مأمون ياسين ١٣٨

نحو مقاربة لقيمة الزواج في الأسرة لدى الأديان السماوية.... كمال أصلان..,, ١٥٨

التحوّلات الأسرية في الخطابات الدينية الإبراهيمية المعاصرة: دراسة نماذج...

علي بن مبارك ١٨٠

تحديات الأسرة المسلمة بين سطوة الحداثة ومخاطر العولمة...

جمال موهوب ١٩٦

مراجعة كتاب المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩... للكاتبة د. كاميليا حلمي محمد - إعداد سيكو مارافا توري ٢١٤

السيرة الذاتية للكتاب ٢٢٤

افتتاحية العدد

إيمانًا منا بما أولَته الأديانُ من عنايةٍ فائقةٍ بالأسرة، وما أرْسَته لها من دعائمَ روحيةٍ وفكريةٍ وأخلاقية تستند عليها في التأسيس والبقاء والتطوُّر، وتحقيق الترابط والنجاح، وما تُقدِّمه التشريعات والقيم الدينية من حلول للمشاكل الاجتماعية والتربوية والنفسية للأسرة؛ يأتي عددنا الحالي من مجلة أديان وهو العدد الثامن عشر بعنوان (**الأديان وقضايا الأسرة في ظل المتغيرات المعاصرة**)، في تجديدٍ للتواصل الثقافي والعلمي بين المجلة وقرائها الكرام لعرض القضايا الفكرية المؤثرة في واقعنا الحالي التي تتطلب منا البحث والتقصي لدراستها دراسة جادة واعية.

فالمتأمل في قضايا عالمنا المعاصر بما فيها من تشابكٍ في الجذور التاريخية والثقافية، وتشابهٍ في الأسباب والآثار والنتائج؛ ليدرك أنه لا يمكن التعاملُ مع هذه القضايا وتقديرُ حلولٍ لها إلَّا من خلال تفكيكها والبحث عن أصولها وأسباب امتدادها، ولعل قضايا الأسرة هي العاملُ المشتركُ الذي يمكن أن يجمع قضايا المجتمعات بكلِّ مكوناتها، وهي كذلك عاملٌ مؤثِّرٌ وفعَّال على جميع الأصعدة بكلِّ حقولها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الأمنية؛ وذلك لأنَّ الأسرةَ هي المؤسِّس الرئيسي لغِراس القيم الإنسانية، والمنبعُ العاطفيِّ الأول للمودة والتراحم، وهي اللبنة الأساسية لبناء أيِّ مجتمع.

يجمع هذا العدد كغيره من الأعداد السابقة للمجلة مجموعةً من الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية، يتنوع تناولها ما بين دراسات مقارنة لهيكل الأسرة ومفهومها وقيمها في الأديان والتشريعات، وما بين دراسة قضايا الأسرة المعاصرة ورؤية الأديان في التعامل معها وإيجاد حلول لها، هذا بالإضافة لما اعتادت عليه المجلة من تقديم مراجعاتٍ لكتبٍ متخصصة ترتبط بموضوع العدد .

وأتمنى أن يجد القارئ في هذا العدد إضافة علمية فاحصة حول قضايا الأسرة وسبل معالجتها تثري ثقافته، وتزيد علمه، وتفتح له آفاقًا واسعةً أخرى تُضاف لكلِّ ما عرضته المجلة من قبل من مواضيعَ متخصصةٍ في الحوار بين الأديان.

الأستاذ الدكتور إبراهيم صالح النعيمي

رئيس التحرير

رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

حوار مجلة أديان مع:

سعادة الوزيرة الأستاذ الدكتورة عواطف حيار

وزيرة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة بالمملكة المغربية

(قضاياالأسرة في ظل المتغيرات المعاصرة... تحديات الهوية والحفاظ على القيم)

أجرى الحوار: د. أحمد عبد الرحيم

أديان: في البداية نشكر سعادتكم على تلبية هذه الدعوة للحوار مع مجلة أديان، وإن كانت المجلة ذات طابع ديني تخصصي في مناقشة القضايا الإنسانية؛ إلا أننا على ثقة بما سوف يثريه تواجدكم معنا في الحوار حول الأسرة وقضاياها خاصة في ظل المتغيرات المعاصرة.

نبدأ بالتضامن، وهو كما تعلمون مبدأ ديني مُسَلَّم به في الأديان؛ يوجب تفعيل التضامن الأسري الذي يظن الكثيرون أنه يتحقق بالتفاهم والتعاون فقط بين أفراد الأسرة؛ ولكنه في الحقيقة له بعد اجتماعي أعمق لا يتحقق إلا بتحقق التضامن المجتمعي والمؤسسي سواء الحكومي والمدني مع الأسر وأفرادها خاصة الأسر الفقيرة واليتامى أو المسنين أو ذوي الإعاقة، أو المتقاعدين وأصحاب المعاشات.. كيف يمكن تحقيق ذلك من خلال تجربتكم كمسؤولة على رأس أحد الوزارات المعنية بالتضامن الاجتماعي والأسرة؟

سعادة الوزيرة: بدايةً، أتقدم إليكم، ومن خلالكم إلى كافة أعضاء فريق عملكم، بالشكر الجزيل على توجيهكم لي الدعوة للمشاركة معكم في هذا العدد من مجلة الأديان، التي كما جاء من خلال تذكيركم، هي مجلة تهتم في المقام الأول بشؤون الدين. لهذا وبطبيعة تجربتي، سأتفاعل بالخصوص مع الأسئلة، في بعدها السياسي والاستراتيجي والتدبيري.

وإن كان للتضامن التطوعي والمدني بعد اجتماعي عميق ويساهم في الصيانة السليمة والمستدامة للمجتمعات، تبقى الدولة الحديثة، في هيئة حكومتها ومؤسساتها، المسؤولة الرئيسيةعلى اعتبار جميع فئات مجتمعها في إطار تضامني مؤسساتي واسع. وهذا الأمر يضمن للفئات والأشخاص في وضعية هشاشة اقتصادية واجتماعية ومعرفية، حقوق تمكنهم من ادماج اجتماعي مُواطِن لكونه يكون مرفوقا بصيانة الكرامة ويؤسس بالضرورة لامتداد حمائي مستدام للأسرة وكافة أفرادها.

وفي هذا الصدد بالذات، أذكر مثلا بدستور المملكة المغربية، الذي يحث من خلال تصديره على ما يلي: **«إن المملكة المغربية، وفاءلاختيارها**

الذي لا رجعة فيه، في بناء دولة ديمقراطية يسودها الحق والقانون، تواصل بعزم مسيرة توطيد وتقوية مؤسسات دولة حديثة، مرتكزاتها المشاركة والتعددية والحكامة الجيدة، وإرساء دعائم مجتمع متضامن، يتمتع فيه الجميع بالأمن والحرية والكرامة والمساواة، وتكافؤ الفرص، والعدالة الاجتماعية، ومقومات العيش الكريم، في نطاق التلازم بين حقوق وواجبات المواطنة».

وباعتبار الأسرةهي الخلية الأساسية للمجتمع، يوصي أيضا دستور المملكة من خلال الفصل ٣٢، وهو يعطي لمنطق التضامن بعدا حمائيا، وذلك بالتأكيد على أن الدولة تعمل على ضمان حمايتهاالحقوقية والاجتماعية والاقتصادية، وتضمن وحدتها واستقرارها. وهو ما يؤكد في العمق على دور الدولة في توفير الحماية الاجتماعية والصحية وتوفير شبكات الأمان للمساعدة الاجتماعية والاحتضان والإدماج لفائدة المواطنات والمواطنين، على قدم المساواة كما ينص على ذلك الفصل ٣١ من دستور المملكة.

أديان: مع التحولات الفعلية التي نراها في عالمنا في كافة المجالات والأصعدة؛ وتأثيراتها (الإيجابية أو السلبية)غير الخفية..هلبالفعل الأسرة مهددة في كينونتها ومنظومتها القيمية (الدينية والأخلاقية)؟

سعادة الوزيرة: تعتبر التحولات الاجتماعية نتيجة طبيعية لسيرورة تطور المجتمع، وآليات عيشه. من هذه الزاوية، لا يمكن أن تبقى بعض المفاهيم المجتمعية جامدة، لكون ضمان استمراريتها رهين بدرجة انخراطها «الطبيعي» في مسار تحولات تخص كافة مكونات المجتمع.

إن التحول والتطور في حد ذاته لا يجب ان نعتبره حتما تهديدا لأي منظومة طبيعتها التحول، بل هي وكما أشرت لذلك سيرورة طبيعية قد تحدث بالفعل تطورات جدرية في تركيبة الأسرة وفي منظومتها القيمية. وهذا أمر يجب اعتباره ايجابيا، لكون محيطها يتغير ويتطور، ومن أجل استدامتها. لكن وجب، بالموازاة، تعزيز صمودها، بارتكازها على منظومتها القيمية والدينية، لتمكينها من القدرة على

تأقلمها كي تساير تطورات محيطها مع ضمان استقرارها، ولتعيش كل سياق بمعطياته، التي هي نفسها مشاركة رئيسية في بلورته بدرجة ما ومساهمة في اغنائه. وهكذا يكون تفاعلها ايجابيا يضمن استقرارها على مبادئها مع المساهمة في اغناء منظومتها القيمية بشكل يساير المنظومة الكونية لكن مع الحفاظ على هويتها وخصوصياتها. وأظن أن ما هو صعب على المجتمعات هي التحولات العنيفة بسرعتها، أما التحولات السلسة فهي ربما محفزة لاستمرارية الأسرة وتطورها. فتهديد الاستقرار لا يكمن في التحول وإنما في القدرة على المواكبة لضمان الاستمرارية. ولخير دليل على ذلك، هو انتقال مجتمعاتنا من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية، دون أن يعني هذا بأن المجتمع فقد بوصلته.

أديان: يعتقد البعض أن التحديات التي تواجهها الأسرة هي وليدة التغيرات المتسارعة الحالية خاصة مع انتشار التكنولوجية الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي..هل هي بالفعل تحديات جديدة أم أنها قديمة أو بصورة أدق متراكمة؟ وما الفرق بين ما كانت تواجهه الأسرة سابقا وما تواجهه الآن من تحديات، خاصة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي؟

سعادة الوزيرة: كما قلت سابقا، إن الأسرة غير مهددة بقدر ما هي مقبلة على عدة تحولات مرتبطة بالتقدم الذي أساسه الإنسان. وأذكر بأن الثورة الصناعية - بإنسانها وآلياتها – غيرت وضعية الفرد والأسرة معا، دون أن تقلل من شأن الأسرة. علينا أن نؤمن بأن الأسرة أولا وقبل كل شيء، مؤسسة بمفهومها الواسع، ومستعدة لتغيير نظامها من أجل مواكبة التحديات المتواصلة، والتي ربما ذات وتيرة سريعة.

وبما أن أصل التغير هو الإنسان، فعلى الدولة والمؤسسات العمل بطريقة استشرافية، من أجل مواكبة الأفراد منذ صغر سنهم،كي تكون لهم تنشئة اجتماعية تعزز مهاراتهم، وتقوي قدراتهم وتغدي ابداعاتهم وابتكاراتهم، من أجل تبنيهم لمنظومة قيم تصون مبدأالتضامن أولا داخل الأسرة وفي المجتمع وتؤطر التطور المشروع والإيجابي. فالأسرة اليوم أكثر

انفتاحا من الأمس باعتمادها على آليات الرقمنة ووسائل التواصل الاجتماعي، التي لا يمكن تجاهلها، لأن أي خلية تنعزل عن محيطها وتنطوي على نفسها هي مهددة بالمرض والموت، لذا يجب مسايرتها لتطوره لكن مع تحصينها استباقيا بالتربية الوطنية، والقيم المستوحاة من ديننا الحنيف، وحمايتها بالسياسات العمومية من أجل تقوية صمودها ومواجهتها للتحديات المستقبلية. فالأسرة ليست وليدة اليوم، بل ربما تاريخها مقرون بتاريخ المجتمع، وعليه فتطورها ليس إلا نتيجة لتفاعلها مع تطور التحديات التي عرفتها وربما كانت سببا في تأسيسها منذ آلاف السنين وتمركزها في المجتمع من أجل ضمان استقراره.

أديان: بوصف سعادتك وزيرة لوزارة تحمل مسميات التضامن والإدماج والتنمية الاجتماعية والأسرة..**ما هو الرابط الجامع بين الأسرةوكل هذه المجالات الحيوية والرئيسية لبناء الإنسان والمجتمع؟**

سعادة الوزيرة: تهدف السياسات العمومية الى تحقيق التنمية المستدامة مع اعتماد الحكامة الجيدة والنجاعة والسرعة في الانجاز. وبالتالي يتعين الارتكاز على كل ما بوسعه أن يرفع من وتيرة التنزيل السليم والدقيق لمضامين السياسات القطاعية والعمومية على أرض الواقع.

وبحكم كون الأسرة هي البنية الاجتماعية الاساسية. كما أن أفرادها هم أفراد هيئات المجتمع، فهي الرابط بين كل مكونات المجتمع. ويمكن اعتبارها فضاء للالتقائية والحاضنة الأولى لبناء الإنسان والمجتمع من جهة، ورافعة للإدماج الاجتماعي والتضامن والتنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد من جهة اخرى. فمن خلال ما سبق ذكره، يعتبر فضاء الأسرة، بمثابة مسَرّع لآليات التقائية في مجال التنمية والحماية الاجتماعية.

أديان: قضايا الأسرة تشمل مجالات عديدة ومتشعبة وأيضا مركزية في أهميتها ما بين الطفولة والمرأة والمسنين وذوي الإعاقة.. **كيف يمكن الجمع بين هذه المجالات المتعددة لتحقيق المصلحة الكبرى في التنمية**

والنهضة للمجتمعات والأوطان؟

سعادة الوزيرة: يمكن الجمع بين الفئات في وضعية هشاشة أو خاصة أو صعبة، انطلاقا من فضاء الأسرة لكون لكل فرد في المجتمع أسرة، وبالتالي، إن الاستثمار في الأسرة،من أجل مواكبتها عبر سياسات أسرية توفر الحماية والتكوين والتحسيس حول (مثلا) الوالدية الايجابيةوالارشاد الأسري والوساطة الأسرية، يعزز التقائية السياسات والبرامج الموجهة لكل مكونات الاسرة كما يعزز الرابط الاسري بين الاجيال.

وبهذه الالتقائية يمكن ان ننشد ما ابعد من الحماية للأسرة ألا وهو الرفاه الأسري.حيث يمكن تعزيز النهوض بحقوق المراة وتمكينها وتعزيز دور الأسرة كفضاء داعم للحقوق وللتنمية المستدامة والنهوض بوضعية الفئات الهشة اقتصاديا، واجتماعيا ووضعية ذوي الاحتياجات الخاصة بالاعتماد على ميكانيزمات جديدة، كتطوير اقتصاد الرعاية (Care Economy) وتوفير البنية التحتية والعاملين الاجتماعيين للتكفل بالطفولة الصغرى والاشخاص غير المستقلين من مسنين واشخاص في وضعية اعاقة داخل الأسرة قدر الإمكان.

وتعتمد المملكة المغربية لتحقيق التقائيةوتوفير الحماية والخدمات

الاجتماعية على منظومة وآلياتالورش الملكي للحماية الاجتماعية الذي يعتبر ثورة اجتماعية بامتياز،وخاصة السجل الاجتماعي الموحد. وهوآلية رقمية لتحديد المستوى الاجتماعي للأسرة ولتحسين استهداف الفئات الهشة والمعوزة و خاصة تلك التي لديها أطفال حديثي الولادة أو أطفال متمدرسين أو أطفال في وضعية اعاقة او تعيل اشخاصا مسنين لتمكينها من التغطية الصحية التضامنية (AMO TADAMON: Assurance Maladie Obligatoire Tadamon) والاستفادة من الدعم الاجتماعي المباشر والخدمات الاجتماعية حسب تركيبتها ووضعية مكوناتها.

أديان: التكامل من أهم القيم والمفاهيم التي يتحقق بها أي نجاح.. **هل ترون أن التكاملوالترابط والاندماج بين المعنيين بقضاياالأسرة متحقق، سواء من جانب الرعاية والتنمية الاجتماعية أوالتشريعات والدراسات، أم أن هناك فجوة تباعد تحتاج إلى معالجة؟**

سعادة الوزيرة: كما قلنا سابقا، الأساس هو التحول والتطور الدائمين، وكجميع المنظومات كيف ما كانت طبيعتها، يبقى مبدأ التوازن والتكامل أساسي وضروري. إن مجتمع اليوم ليس هو مجتمع الأمس. حيث عرف عدة تحولات منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولذا، تحتاج الأسرة أكثر من اي مؤسسة اخرى الى ضرورة تكامل والتقائية السياسات العمومية لانها تجمع كل مكونات المجتمع وكل تحدياته الاجتماعية والاقتصادية والقيمية. والملاحظ انه في غالب الاحيان تكون السياسات العمومية قطاعية ومتخصصة وتغفل ان الأسرة يجب ان تكون المستفيد الاول من عملية التنمية. لذا وجب التفكير في سياسة أسرية تضمن الالتقائية والتكامل بين جميع السياسات القطاعية وتسخرها لتحقيق الصمود والرفاه الأسري عبر توفير التغطية الصحية الشاملة والتعليم الجيد والتشغيل والولوج لكافة الخدمات بشكل يضمن تكافؤ الفرص والتنمية المستدامة.

أديان: في كل مجالات التنمية والنهضة للمجتمعات؛ نعلم أن هناك أهمية كبيرة للتكامل بين أدوار المؤسسات سواء الرسمية أو المدنية أو الدينية..**ما مدى تحقق ذلك مع الفاعلين في قضايا الأسرة؟**

سعادة الوزيرة: بالفعل، تكمن المتطلبات الأساسية لأي نهضة اجتماعية في التكامل بين أدوار المؤسسات الدستورية والعمومية والخاصة والهيئات المدنية والمنتخبة، بالإضافة بطبيعة الحال لتوفر آليات الالتقائية. ولكون الأسرة هي اللبنة الاساسية في المجتمع ورافعة اساسية للتنمية الاجتماعية الدامجة والمستدامة، فهي، وكما سبق الاشارة اليه، الفضاء الاول الذي يجب الارتكاز عليه لتحقيق الالتقائية بين السياسات التنموية وايضا الفضاء الاول لتحقيق التوازن بين مختلف المرجعيات الدستورية والحقوقية والدينية, ويعتبر توازن المجتمع من توازنها, وكما اكد على ذلك صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في خطابه السامي بمناسبة افتتاح الدورة الخريفية للبرلمان في ١٣ اكتوبر ٢٠٢٣ « **إن الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع، حسب الدستور، لذا نحرص على توفير أسباب تماسكها، فالمجتمع لن يكون صالحا، إلا بصلاحها وتوازنها. وإذا تفككت الأسرة يفقد المجتمع البوصلة**»

أديان: بوصفكم الأكاديمي كرئيسة سابقة لجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء..**كيف يمكن للمؤسسات التعليمية أن تساهم في تحقيق التطوير والتنمية المستدامة للأسرة من جهة، وأيضًا في دعمها ومعالجة قضاياها من جهة أخرى؟**

سعادة الوزيرة: أولا، التكوين والتعلم هما منظومتان تكميليتان للمجهود الذي تبذله الأسرة اتجاه أبناءها الصغار.حيث يأهلانهم لتطوير العقل الناقد ولممارسة التنشئة الاجتماعيةوتطوير مهاراتهم الحياتية والذاتية والمعرفية. فهما آليتان تؤسسان لمبدأ تكافؤ الفرص والتكوين على روح المبادرة والمقاولة. وكل ذلك لتقوية درجة تمكينهم المعرفي وتعزيز قدراتهم لتسهيل إدماجهم الاجتماعي والاقتصادي وتحقيق التنمية المستدامة.

أديان: المرأة- ولا شك- هي الركيزة الأولى للأسرة؛ وتحمل عبأ الدور الأكبر في التنشئة والتربية للأطفال.. برأيكم ما الذي تحتاجه المرأة لتضطلع بدورها الأسري بالصورة المرجوة؟ وكيف يمكن للمجتمع- أقصد بكل مكوناته الفردية والمؤسسية- أن يساعدها على ذلك، ويسمح بتمكينها، خاصة المرأة التي تواجه ظروف وصعوبات خاصة كالفقر وغير ذلك؟

سعادة الوزيرة: لا أحد يختلف بخصوص الدور المحوري الذي تؤديه المرأة للمجتمع. إنها عماد الأسرة بل هي عماد المجتمع اخذا بعين الاعتبار دورها الاساسي في التنشئة الاجتماعية وتربية الاطفال. يعتبر تأثير المرأة بصفة عامة، والأم بصفة خاصة، على بنية الفرد حاسما. وعليه، يصبح الاستثمار في رفاه وتمكين النساء، أكثر إلحاحا من أجل المساهمة في بناء مجتمع قابل للانخراط في تنمية هادفة ومستدامة.

ومن هذا المنظور، وفي نظري، يبقى التمكين الاقتصادي والسياسي والثقافي للمرأة عبر تسهيل ولوجها للمعرفة، الأكثر نجاعة في المساهمة في تنمية المجتمع، سواء من خلال عملها على جعل أجيال المستقبل أكثر استعدادا لرفعالتحديات الاقتصادية والاجتماعية والقيمية

او من خلال مساهمتها المباشرة، بصفتها نصف المجتمع في عملية التنمية.

أديان: أخيرًا.. لعلنا لا يمكن أن نغفل تخصص سعادتكم وخبرتكم الطويلة في مجال التكنولوجيا والاتصالاتوالرقمنة والمدن الذكية.. ما مدى إمكانية الاستفادة من هذه المجالات التي تبدو علمية متخصصة في قطاع الخدمة الأسرية والتنمية المجتمعية بوجه عام؟

سعادة الوزيرة: إن متطلبات الإنسان في وقتنا الراهن، جد متنوعة ومتعددة، وهو ما يجعل عملية التحسيس والتتبع والتربية والتعلم أكثر تعقيدا. كما لا ننسى أن النمو الديموغرافي يزداد بسرعة مهولة بالموازاة مع طلائع إكراهات جديدة كالتي تكمن مثلا في الأمن الغذائي والروحي.

انطلاقا من هذا التشخيص الجد مقتضب، واخذا بعين الاعتبار التطور المهول الذي عرفته التكنولوجيا الحديثة وخاصة الذكاء الاصطناعي، يجب توظيف الرقمنة في تحسين ظروف عيش المواطنات والمواطنين (CIVIC TECH)وتحقيقرفاه الفرد والأسرة والمجتمع. اذ لا يمكن تصور أي نوع من الذكاء كان اصطناعياو طبيعيا غير قادر على خدمة مصلحة الانسان اولا وتحقيق رفاه المجتمع. وتعتبر المدينة الذكية فعلا، او القرية الذكية، هي تلك التي تسخر كل مواردها وطاقاتها للاستثمار في البناء السليم للانسان وتعزيز صموده وقدرته على مواجهة الازمات. وتفتح الرقمنة آفاقا عدة مثلا لتمكين النساء والفتيات في القرى والجبال والاشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة المحرومين من التمدرس من الولوج للتعلم والمعرفة والادماج السوسيو اقتصادي وذلك بتكلفة منخفضة (Frugal Inclusive Smart City) وعبر بنية تحتية متوفرة تعتمد اساسا على الهواتف واللوحات الذكية. كما تمكن الرقمنة من الولوج للخدمات الاسرية في المدن والقرى وعلى نطاق واسع يصون مبدأ تكافؤ الفرص ويعزز العدالة الاجتماعية والمجالية ويحقق التنمية المستدامة.

الأسرة في التشريع الإسلامي وكيفية تحقيق مبدأ التوازن الأسري في ظل المتغيرات المعاصرة

أ.د علي محيي الدين القره داغي *

الملخص:

لقد أولى الإسلام عناية قصوى بالأسرة، وتكوينها، ومكانتها، ودورها، ومسؤولياتها، وواجباتها، وحقوقها، وفصّل فيها القول في أكثر من أيّ قضية تشريعية أخرى، حتى وصل القرآن الكريم في تفصيلها إلى علاج الحالات الفردية فقال تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[1] كما أن الله تعالى جعل الزواج من أعظم آيات الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[2]، ولهذه الأهمية نفسها أوجب على قائد الأسرة حمايتها كما أوجب حماية نفسه فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[3].

(*) رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

نحن نعيش اليوم عالماً غريباً بدأ بالسعي الجاد لإخراج المرأة عن دورها العظيم في تكوين الأسرة، وتربية الأجيال، وتحقيق التماسك الأسري، وعن إدارة الأسرة مع زوجها لتوصيل السفينة إلى شاطئ الاستقرار والسعادة الأسرية... إلى الجندرة، وإخراجها من دائرة التربية، وجعلها سلعة للدعاية والإعلان، ولم تكتف الفلسفة الغربية بذلك، بل تبنت بعنف فلسفة الشذوذ الجنسي، والمثلية، وبنت سياساتها عليها حتى وصلت إلى تشريع القوانين بتجريم مَنْ عارضها في حرب شعواء ضد القيم والمنظومة الأسرية لتفكيكها، واجتثاث بنيتها، فأمام هذه الفلسفة الغربية المدعمة بالقوانين، والسطوة الغربية يظل سعينا جميعاً -نحن المسلمين وأصحاب المبادئ- واجب الوقت لحماية أسرنا من هذه المؤامرة الخطيرة.

مقدمة:

في هذه العجالة، سنبدأ بالتعريف بالمفردات الرئيسية للعنوان (الأسرة في التشريع الإسلامي، وكيفية تحقيق مبدأ التوازن الأسري في ظل المتغيرات المعاصرة)، مع بيان مفهوم الأسرة في الشريعة الإسلامية، وإبراز قيمة المسؤولية في الأسرة وتداعيات غيابها في المجتمعات، وأثر الالتزام بالأخلاق الأسرية، وأثر الإيمان والعبادات على تكوين الأسرة الصالحة، بالإضافة إلى الوقوف على ظاهرة التفكك الأسري في ظل المتغيرات المعاصرة تحت مسمى الانفتاح والحرية التي تصطدم مع الشريعة والفطرة السليمة والعقول المستقيمة، والمخاطر الكبيرة التي تواجهها الأسرة المسلمة، وصولاً إلى بيان الحل الإسلامي الشامل المتمثل في مبدأ «التوازن»، وكيفية تحقيقه في العلاقات الأسرية، من الجانب العقدي والفكري والفلسفي والمقاصدي، وأسس التوازن الأسري في الإسلام، تكويناً واستمرارا وانتهاءً وحقوقاً وواجبات بالنسبة للأسرة وغيرها.

داعين الله تعالى أن يحفظ الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه مولاي فنعم المولى ونعم النصير.

التعريف بالمفردات الرئيسية للعنوان:

١- « الأسرة »:

الأســـرة لغة، من الأسر بمعنى الربط، ويطلق على الإحكام والإتقان مثل قوله تعالى: (وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) [4] أي أحكمنا

ربط أجزاء أجسامهم فكانت مشدوداً بعضها على بعض[٥].

والأسرة تطلق على الدرع الحصينة وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة التي يربطها أمر مشترك[٦].

الأسرة في علم الاجتماع:

والأسرة في علم الاجتماع هي: الخلية الأساسية التي يتكون منها المجتمع، فقد عرفها بعض علماء الاجتماع بأنها: الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار المجتمع وتطوره، وعرفه فوحل بأنها: وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعية مع أطفالهم ارتباطاً بيولوجياً، أو بالتبني[٧].

وهذا التعريف ينطلق من المفهوم الغربي العلماني للأسرة.

الأسرة في الشريعة الإسلامية:

والأسرة في الشريعة الإسلامية تتكون أساساً من الزوج والزوجة على أساس البرّ والتقوى وفقاً للميثاق الذي يحقق السكنى والاستقرار، وتشمل أولادهما، والأبوين والأجداد والأقارب والأرحام، لذلك فالأسرة في الإسلام ممتدة، فأسرة الإنسان تشمل الأصول (الأب والأم، والجد والجدة)، والأولاد، والأحفاد..

وبعض المؤلفين[٨] أطلقوا على الأسرة لفظ (العائلة) ترجمة لـ (Family) وقد اعتُرِض عليها[٩] بأنها في اللغة العربية تطلق على المرأة الفقيرة التي تحتاج إلى مساعدة، وجاء في القرآن الكريم: (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)[١٠] أي فقيراً فأغناه.

والراجح هو لفظ (الأسرة) ؛ لأنها لغة بمعنى الرباط القوي، والدرع الحصينة، وكلا المعنين مقصودان في نظر الشرع، لأنها الميثاق الغليظ، والحصن الحصين، حتى عبر القرآن الكريم عن الرجل المتزوج بالمحصن، والزوجة بالمحصنة.

فالأسرة في نظر الإسلام هي الرابطة الشرعية بين الزوج والزوجة التي تترتب عليها حقوق متقابلة، وآثار اجتماعية ونحوها، وللأسرة دورها ووظيفتها في توفير الرعاية الصحية والدينية والأخلاقية، والجسدية والغذائية والمسكن لأفرادها، كما أن من وظيفتها توفير الرعاية الاقتصادية، والثقافية، والنفسية والتعليمية، لتكون الأسرة قوية متماسكة قادرة على الإنتاج، والقيادة والريادة والابداع، فهي دعامة المجتمع، وأن قوتها هي قوة المجتمع، وأن ضعفها يجعل المجتمع ضعيفاً، وهي النواة.

٢- « التشريع الإسلامي »:

التشريع لغة مصدر: شرَّع يشرع، وأصله من الشرع وهو لغة النهج والطريقة المستقيمة، وشرعة الماء مورده الذي يقصد للشرب، ويقال: شرع لهم أي سنَّ لهم[١١]، وهي من الشروع في الشيء قال ابن جرير: (وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة، لأنه يشرع منها إلى الماء، ومنه سميت شرائع الإسلام لشروع أهله فيه)[١٢].

واصطلاحاً هي الأحكام العملية التي قد يختلف بعضها عند بعض الرسل عن بعضها عند الآخرين، ولذلك نسخت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل الشرائع السابقة، وأن المطلوب منه هو اتباع شريعته فقط كما نصت على ذلك آية سورة الجاثية.

فالمراد بالشريعة الأحكام العملية التي يكلف بها الإنسان من حيث الوجوب والندب، والحرمة والكراهية والإباحة، ومن حيث الوضع والعلامة، سواء كان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بالسنة، لأن الكل وحي من عند الله تعالى[١٣].

والتشريع الإسلامي قد وضع مجموعة من المبادئ العظيمة للأسرة تعتبر ثوابت غير قابلة للتغير، ومجموعة من المسائل القابلة لتغيير الاجتهادات فيها، لتحقيق الثبات، والتطور معاً.

٣- « التوازن »

التوازن لغة مصدر باب التفاعل الذي هو للمشاركة المتساوية من الطرفين، وأصل اشتقاقه من الوزن[١٤].

والتوازن مصطلح يطلق في علم النفس بمعنى التوافق النفسي بحيث يكون لكل جزء من الإنسان متطلباته بصورة معتدلة لتحقيق التوازن مع بقية أجزائه، والمتوازن هو الإنسان السوي المتزن القادر على ضبط نفسه وسلوكياته[١٥].

وهذا التوازن إنما يتحقق بمعرفة الموازين، ووزن كل ما في كفتي الميزان (المادي أو المعنوي)، أي الفهم الثنائي والنظرة العادلة إلى الكفتين دون وكس ولا شطط، فالتوازن في جوهره هو تحقيق العدل بين المتقابلين، والوسطية منهجاً في التنظير والسلوك، ورعاية الحقوق المتقابلة بين الإنسان وأخيه الإنسان، والإنسان والحيوان، والإنسان والبيئة، ثم الإنسان وأنشطته المتقابلة داخلياً، أو بين أي نشاط ونشاط متقابل لآخر[١٦].

والتوازن في الإسلام ليس إلغاءً لأحد الشيئين، أو مزجهما فيخرج منهما

منتج ثالث، وإنما بتشغيل طاقة كل واحد منهما وتوجيهها نحو الخير وتوزيع الأدوار، كما هو الحال في التوازن بين مكونات الإنسان نفسه، فلكل منها وزنه، ودوره، وطاقته، وهكذا في التوازن الأسري بين متطلبات الدنيا والآخرة، والحق والواجب، وبين مصالح الشخص ومصالح الآخر، وبين مصالح الفرد ومصالح الجماعة والدولة، وبين العقل والعاطفة، وهكذا[١٧]،-كما سيأتي بيانه.

٤- « المتغيرات »:

والمتغيرات: جمع المتغير، وهو من تغيَّر إذا اختلف وقبل التغير[١٨]، والتغير هو الاختلاف في الصور، أو الأجزاء، أو الحقائق أو في إحداها، قال أبو البقاء العكبري:(والتغيير هو عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء، أو جزئه، أو الخارج عنه)[١٩].

وورد لفظ التغير ومشتقاته في القرآن عدة مرات منها قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٢٠]، وقوله تعالى:(....فليغيرن خلق الله)[٢١]، وقوله تعالى:(.. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ...)[٢٢].

٥- «المعاصرة »:

ويقصد بها الأشياء أو الظواهر الجديدة التي ظهرت في عصرنا الحاضر، ولم تكن موجودة في عصور الفقه السابقة أو أنها كانت موجودة، ولكن أدخلت عليها أمور جديدة كادت أن تغير معالمها، فقد ظهرت أمور جديدة في مختلف جوانب الحياة الفكرية السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والطبية، وغير ذلك، علماً بأن بيان حكم كل نازلة واجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، انطلاقاً من شمولية الإسلام لكل جوانب حياة الفرد والجماعة والدولة، فما من فعل إلاّ وله حكمه عند الله تعالى، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه[٢٣].

المسؤولية في الأسرة في ضوء التشريع الإسلامي:

إن المسؤولية في الأسرة في التشريع الإسلامي تشمل المجتمع حاكماً، وزوجاً، وزوجة، ووالداً، وولداً وكل من تحته أي مسؤولية، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول فالإمام راع وهو مسؤول والرجل راع على أهله وهو مسؤول والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة والعبد

راع على مال سيده وهو مسؤول ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول)[٢٤] فهذا الحديث النبوي الشريف وضع الجميع أمام مسؤوليته، فلم يترك أحداً بعيداً عنها.

فالعناية الشاملة بمؤسسة الأسرة، تعتبر مسؤولية دينية، وضرورة شرعية، لذلك يجب إبراز قيمة المسؤولية في الأسرة وتداعيات غيابها في المجتمعات، وبيان مسؤولية كل طرف في الأسرة، وتوظيف الخبرات التخصصية لرصد المشكلات الحقيقية الناجمة عن اختلال تطبيقات المسؤولية وطرح حلول عملية شرعية لها، لتحقيق قيمة المسؤولية في الأسرة في ضوء التشريع الإسلامي وتعزيزها.

المسؤولية المرتبطة بالأسرة في ضوء التشريع الإسلامي:

إن المسؤولية المرتبطة بالأسرة في التشريع الإسلامي تشمل ثلاث حالات:

الحالة الأولى: مسؤولية الرجل والمرأة عن كيفية تكوين الأسرة قبل الزواج، وتشمل:

١- العزم على الزواج باعتباره من سنن المرسلين، فلا رهينة في الإسلام، وقد يصبح واجباً إذا ترتب على تركه مفسدة كبيرة.

٢- اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة، الصالح دينياً وأخلاقياً، وصحياً، واجتماعياً، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون عنه دينه وخُلُقه فأنكحوه، ثلاث مرات)[٢٥].

٣- تسهيل أمور الزواج من حيث المهر، والتكاليف الأخرى.

الحالة الثانية: بعد الزواج حيث هناك حقوق معنوية من حيث حرية العقيدة لأهل الشرائع السماوية، والعدل، والسكنى، وعدم الإضرار، والتشاور، وحقوق مالية، واجتماعية، وإنسانية متقابلة، ومسؤولية كبيرة.

الحالة الثالثة: بعد الزواج في حالتي الطلاق والوفاة، حيث تتعلق بكل واحد منهما حقوق والتزامات فصلت فيها كتب الأحوال الشخصية، وأحكام الأسرة.

مسؤولية الدولة والمجتمع عن الأسرة:

وفي نظر الإسلام فإن الدولة مسؤولة أيضاً عن حماية الأسرة وتطويرها معنوياً ومادياً، وان المجتمع كله أيضاً مسؤول، فالمسؤولية في الإسلام فردية، وجماعية، ومجتمعية، وسياسة شرعية، لأن الأسرة

تهم الفرد، والجماعة، والدولة،يوجب أن تقوم هذه المسؤولية على توازن عميق وميزان دقيق، لتحقيق التعادل والعدل بين طرفي المجتمع، ولتعزيز التكامل، وتوزيع الأدوار حسب القدرات، والخلقة والفطرة السليمة.

فهذه المسؤولية عظيمة وخطيرة، حيث جعل الله تعالى وقاية الأهل من واجبات الزوج والوالد فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٢٦]، كما أنها مسؤولية شاملة تترتب عليها التزامات وآثار، وتقتضي معالجتها بكل الوسائل المتاحة.

المنهج التربوي الذي ينبغي الاعتماد هو الالتزام بالأخلاق الأسرية:

من المعلوم أن الالتزام بالأخلاق الفاضلة قد لا يتأتى ولا يتحقق بالتشريعات والقوانين، حيث تدل التجارب والوقائع على أن الأساس في الالتزام الأخلاقي هو التربية وأثرها الإيجابي في الالتزام بالأخلاق الفاضلة، والفطرة السليمة، ثم البيئة الناشئة للأسرة، وأن دور القوانين الخاصة بالعقوبات في منع الجرائم دور ظاهري محصور.

ومن هنا نذكر بإيجاز شديد المنهج التربوي الذي ينبغي الاعتماد عليه لتحقيق الالتزام بالأخلاق بصورة عامة، والأخلاق الأسرية بصورة خاصة، وذلك لأن الأسرة هي الأساس في كل ما يتعلق بالأنشطة الإنسانية ولا سيما في علاقتها مع الآخر، وبالتالي فإن صناعة الأسرة الصالحة المصلحة هو الهدف الأسمى ولذلك يجب بذل الجهود لجعلها بيئة سليمة، مليئة بالإيمان والخوف من الله تعالى، والالتزام بالأخلاق العالية والخير والحب للجميع، وخالية من الأمراض الداخلية والنفاق والرياء والحقد والحسد، والبغض، والكراهية.

وكذلك القيام بترويض النفوس وتزكيتها لجعلها راضية مرضية مطمئنة متوازنة لوامة لديها الإحساس بالمسؤولية بأن تلوم صاحبها على فعل المنكرات والإضرار والإفساد، وعلى التقصير في أداء الواجبات والالتزامات والسعي الجاد لتهذيب النفس وتطهيرها من أمراض النفوس مثل القلق والاضطراب والأمر بالسوء، ومن الشهوة المذمومة الخاصة بالمال والنساء والجاه، ومن الغضب والبخل، والتهور والجبن ونحو ذلك من أمراض النفوس[٢٧].

وكذلك تربية العقول على المصالح العامة والجماعية والاجتماعية وربطها بالكليات والمقاصد العامة بدل العيش في القضايا الجزئية والفردية الضيقة، وتوجيهها نحو ما ينفع الناس بدل ما يضر بهم.

وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية عناية قصوى بتربية الانسان في داخله، فوضع لتحقيق ذلك مجموعة كبيرة من الوسائل المؤثرة للوصول إلى الإنسان السويّ، والسلوم المستقيم، والأخلاق النافعة الفاضلة، حيث تعدّ من أهمها العقيدة الإسلامية التي تربط الإنسان بخالقه، وتجعل أمامه اليوم الآخر، من القبر وعذابه ونعيمه إلى الجنة أو النار فيكون من أهم آثارها منع الإنسان عن الإضرار والمفاسد والمنكرات، ودفعه إلى فعل الواجبات والاحسان والخيرات لأنه يؤمن بالله الذي يراه، ويعاقبه ويحاسبه ويجزيه (إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر) وحينئذ يكون من الطبيعي أن يمنعه هذا الايمان، ورجاء الثواب من كل ما هو إيذاء، ويدفعه إلى ما هو خير وإحسان.

وكذلك الشعائر والأركان الخمسة ربطت بالجانب الأخلاقي، حيث قال سبحانه في مسألة الصلاة (وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [28] وفي الزكاة يقول تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٢٩]، وفي الصيام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتَّقُونَ)[٣٠] وفي الحج: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ)[٣١].

ولذلك فالعقائد، والعبادات والشعائر الإسلامية كلها لله تعالى وحده، لأجل إصلاح الإنسان من الداخل لتنطق آثاره إلى الخارج (أي السلوك القولي والفعلي) فقال تعالى في وصف عباد الرحمن: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا) [32].

فالقرآن الكريم يوجه – بموجاته الضوئية الدائبة حركاتها، والمختلفة ألوانها، وبكل وسائله المؤثرة — الإنسان نحو الصلاح والاصلاح والانتفاع والنفع للجميع، ومن قرأ القرآن بتدبر لوجد ذلك

بوضوح من بداية القرآن إلى نهايته، حيث يستعمل مرة الوسائل المؤثرة في الفطرة ليبقيها على نقاوتها، ومرة أخرى يحرك الأدوات المؤثرة في العواطف فيؤججها نحو الخير والايثار، والبراهين القوية التي تصنع العقول، والآيات التي تبهر الأبصار، والأساليب التي تؤثر في القلوب والنفوس والأرواح.

فالقرآن الكريم بأساليبه المتنوعة الموجهة نحو داخل الإنسان وخارجه يريد أن يدفع بالإنسان كله نحو الخير في جميع ميادين الحياة مشفوعاً بذكر الله تعالى، جامعاً بين الحياة الروحية والحياة المادية جمعاً في قمة التوازن الدقيق بعيداً عن الازدواجية والفصل والانعزال عن الحياة، فلنتأمل ذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٣٣] حيث حرّك الإنسان من خلال إيمانه الداخلي القوي فخاطبه وطالبه بالسعي إلى ذكر الله تعالى (أي صلاة الجمعة) وترك البيع، ثم أمره بالانتشار في الأرض بعد الصلاة مباشرة لطلب الرزق ثم أكد على ان حالة الذكر لله تعالى يجب أن تستمر بالقلب واللسان معاً، أو بالقلب فقط لو انشغلت الجوارح والبدن بالأعمال، حتى يبقى القلب حياً بهذا الذكر، وتسمو الروح دائماً بالربط بالله تعالى كل ذلك حتى نكون ربانيين، لا رهبانيين ولا ماديين، وأن تكون ربانيتنا تهذيباً وإصلاحاً يعكس ضوؤها على شؤون الحياة كلها، لتنتقل هذه الصلة الربانية من شقه الغيبي إلى شقه الحضوري، (ومن أفق البُعد إلى مجلس القُرب، ثم من مقام الحضور والمقاربة معنا... يشهد أنديتنا ومجامعنا، يرانا حيث نعمل، ويسمعنا حيث نسر ونعلن، بل يعلم ما نختلج في صدورنا، وما توسوس به نفوسنا، إنه أقرب إلينا من حبل الوريد، إنه على كل شيء حسيب رقيب) [34].

إن هذا التركيز القرآني على الرقابة الالهية الدائمة للإنسان ليست لمجرد التهديد والتخويف بالنار والعذاب، أو للإطماع بالجنة والثواب فحسب، وإنما لأجل الصلاح والاصلاح، والسعادة والرقي والفلاح من خلال التصفية والتزكية اللتين تحققهما الفطر السليمة والنفوس الحية المستقيمة بسبب هذه المراقبة الدائبة العظيمة، فقال تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)[35].

إيقاظ الضمير، والداخل بالالتزام بالأخلاق:

إن جميع وسائل التربية في الإسلام تستهدف صناعة الإنسان الصالح المحسن المحب للآخر، الرحيم المشفق الرؤوف الرحيم الذي لديه نفس تواقة للخير منّاعة للشرّ، يتحرك داخله ذاتياً دون الحاجة إلى الخوف أو الرقابة من البشر، بحيث إذا مسها طائف من شياطين الإنس بالشهوات والإغراءات، وطائف من الجن بالوساوس والإغواءات تذكرْ فوراً وذاتياً دون حاجة إلى آخر، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) [36].

أولاً: إن الإسلام يريد من المسلم ان يكون داخله (النفس والروح والقلب) مطبوعاً على التقوى، وأن تكون التقوى هي الحكام على القلب والنفس، وأن يكون خارجه (أي سلوكه وتصرفاته) على بصيرة وهدى.

ثانياً: معنى التقوى، هو الوصول إلى استشعار رقابة الله تعالى في السر والعلن، وأنها تتفق مع الإحسان في معناه الذي عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[37] وفي رواية: (أن تخشى الله..)[38] وفي رواية ثالثة (أن تعمل لله...) [39].

ثالثاً: وأما البصيرة في اللغة فهي قوة الإدراك والفطنة، والعلم والخبرة، والحجة والعبرة، والمبصر قوي الادراك، ثاقب الفكر، خبير يعرف عواقب الأمور[40].

وقد تكرر لفظ (البصيرة) كثيراً في القرآن الحكيم منها الآية السابقة، ومنها قوله تعالى آمراً رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [41] وهي في حقيقتها رؤية القلب والداخل، كما أن البصر رؤية البصر في الخارج، فهي انفتاح عين القلب لإدراك الحقيقة، واستشفاف النتائج، ورؤيتها في البداية.

وهذه البصيرة هي بُعْدُ النظر، والتفكرُ في مآلات الأفعال في الدنيا والآخرة لإدراكها وتداركها، وهي الفرقان الذي رتبه القرآن الكريم على تقوى النفوس فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [42].

رابعاً: أن البصيرة تتحقق بالتقوى — كما ذكرت الآية — وهنا يرد السؤال عن: كيفية تحقيق التقوى؟

فقد أجاب القرآن الكريم عن ذلك بأن التقوى تتحقق بالإيمان العميق بالله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى وباليوم الآخر وبقية الأركان، وبالإخلاص لله تعالى، والحب لله، وبالعبادة والطاعة، والابتعاد عن المنكرات والمعاصي والشهوات، وبكثرة الصلاة والقيام والصيام وبقية الواجبات، والتقرب بالنوافل والمسنونات فقال تعالى في مقاصد الصيام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [43] وفي الحج: (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) [44] وهكذا...

خامساً: كلما ازداد القرب من الله بالفرائض والنوافل صارت النفس قوية مجاهدة بترك المعاصي والشهوات وازدادت التقوى في النفوس والقلوب، وكلما ازداد ارتكاب الشهوات والمنكرات ابتعد القلب عن التقوى، وازداد فيه الخَبَثُ والقسوة (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [45].

وقد بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة وربط فيها بين العبادات والأعمال الصالحات وبين الهداية والتيسير لفعل الخير فقال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [46] وقال تعالى: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) [47] وقال تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [48]، ولذلك حينما يوجد الاخلاص الحقيقي لله تعالى لدى العبد لا يكون الشيطان قادراً على إضلاله فقال تعالى في صرف الفاحشة عن يوسف عليه السلام: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [49] وقد اعترف الشيطان بذلك فقال: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [50] وقال أيضاً: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [51].

وقد حسم القرآن الكريم ذلك فقال سبحانه: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)[٥٢] وقال تعالى:(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ) [53]، وبالأخص فإن المجاهدة في تربية النفس وتزكيتها تحوّل النفس من الأمارة بالسوء إلى اللوامة، والراضية، والمطمئنة، ويتحول القلب المريض إلى قلب سليم مطمئن (أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [54].

وحينما تكون مع الله حقاً وصدقاً يكون الله معك بالرعاية والعناية والحفظ كما قال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)٥٥ وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)٥٦ فسجله القرآن الكريم: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)٥٧ وقال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)٥٨، وعلى ذلك أدلة لا تحصى من كتاب الله تعالى وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أثـر الإيمان والعبـادات على تكوين الأسرة الصالحة:

إن مما لا ريب فيه أن للإيمان والعبادات آثاراً كبيرة وثماراً عظيمة في الدنيا والآخرة، وأن للكفر والفسوق والفجور والعصيان آثاراً خطيرة في الدنيا والآخرة —كما سبق –.

ومن هنا فالمؤمن الحقيقي هو صاحب القلب التقيّ الطاهر المحب للإحسان والخير، ومالك الحياء الذي يمنعه من الشر، وصاحب الضمير الحي الحساس الذي يدفعه للمزيد من الخيرات، ويمنعه من الشرور والإيذاء للمخلوقات.

وهذا الكمال لن يتحقق بدون الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، ومع ذلك فالله تعالى أودع في داخل كل إنسان فطرة إذا تركت لن تقبل إلاّ بالخير ودفع الشر والضرر، وعقلاً يهديه إلى درك المصالح، ودرء المفاسد، وحياء فطرياً يجعله على استحياء من كل ما يخالف الفطرة، ورحمة وشفقة تجعله يرحم الضعفاء، وهنا يمكن إيقاظ الضمير من خلال الفطرة والحياء، والسمعة الطيبة، والروح الجماعية، بالإضافة إلى العقوبات

والقوانين الخاصة بالثواب والعقاب، ووسائل التذكير من خلال الصحبة الطيبة، والمؤسسات التي تكون حريصة على سمعتها الطيبة، وتأريخها، بل ومنتجاتها.

ومن هنا فهذا المجال الأخير هو الجانب المشترك بين الإنسانية جمعاء وهو النور الباقي الذي يهتدي به البشر عندما لا يوجد دين، ولكن لا يغنيه عن نور الوحي الذي به تتحقق الهداية الكاملة (نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[٥٩].

التفكك الأسري في ظل المتغيرات المعاصرة تحت مسمى الانفتاح والحرية:

إن البشرية اليوم، وبخاصة المجتمعات الغربية أو الشرقية البعيدة عن منهج الوحي الإلهي تعاني أشد المعاناة من الخواء الروحي، ومن التفكك الأسري، ومن الصراعات الداخلية، داخل الإنسان نفسه، بين الفطرة السليمة والضمير الحي، وبين هيمنة الشهوات الحيوانية التي تبحث عن إشباع الرغبات التي لا تتناهي، فترتكب الجرائم في حق نفسه، وحق الأولاد، والأسرة، ومع الأسف الشديد وصلت هذه العدوى إلى بعض بلادنا، وما خفي أعظم.

حيث نجد أن التفكك الأسرى قد بلغ منتهاه بسبب الأفكار الهدامة، حين نادت رائدات النساء في الغرب منذ فترة بأن الزواج مؤسسة لمنفعة الرجل، وأنه وسيلة للسيطرة على النساء، وعلينا أن نعمل على تدميرها، لأن في تدميرها تحريراً للمرأة، وقلن ايضاً: «ستظل المرأة مستعبدة حتى يتم القضاء على خرافة الأسرة، وخرافة الأمومة، والغريزة الأبوية»[٦٠] وروجت هذه الأفكار إلى أن تم فعلاً تدمير الأسرة، ومؤسسة الزواج، والأمومة، فمنذ الستينات تراجع معدل الزواج بنسبة ٣٣٪، في حين تضاعفت نسبة الطلاق لتصل إلى ٥٠٪، ونسبة النساء اللاتي لم يتزوجن بلغت عام ١٩٧٠ الى ٦٨٪، والإحصائيات تشير الى عزوف النساء عن انجاب الأطفال، حيث إن ٢٠٪ من النساء اللاتي بلغن ٤٥ لم ينجبن اطفالاً، وظهرت ظاهرة الأطفال غير الشرعيين، حيث بلغت في عام ١٩٩٤ في أمريكا إلى ٥٠٪، وبين السود إلى ٧٠٪ وفي ١٥ مدينة من المدن الأمريكية وصلت إلى ٩٠٪، كما أن هناك ٥ ملايين ونصف يعيشون مع النساء دون أي عقد زواج، ناهيك عن ازدياد نسبة الشذوذ والزواج المثلي المناقض للفطرة.

ومع الأسف الشديد فإن حالات الطلاق والتفكك الأسري قد ازدادت في العالم الإسلامي، حيث تشير الإحصاءات إلى ارتفاع نسبتها بشكل كبير، والغريب أن الأمم المتحدة تدعم معظم هذه التوجهات من خلال مؤتمراتها الخاصة بالسكان، وبالمرأة بالقاهرة، وبكين، واتفاقية سيداو عام ١٩٧٩، ومن خلال لجنتها الخاصة بها، والمواثيق التي تريد فرضها على الدول، حتى كشفت سارة فلود بويران، الممثلة الدائمة السابقة لمجموعة الكاريبي بالأمم المتحدة، عن المؤامرات التي تدبر بأروقة الأمم المتحدة ضد قيم الأسرة واستقرارها [٦١] بدعوى الحرية والعولمة.

كانت الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ أقرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تنص مادته ١٦ على أن الأسرة هي الوحدة الجماعية الطبيعية والاساسية للمجتمع، وأن الرجال والنساء البالغين لهم حق الزواج وتكوين الأسرة. ولكنها مع الأسف الشديد تركزت وثائقها في العقود الأخيرة على الجندرة، والمنظور الانثوي الراديكالي، وهو المنظور الذي يطرح الشذوذ الجنسي حقاً من حقوق الإنسان، وأن الأسرة المرتبطة بالزواج الشرعي تقف في طريق الحداثة، وأنها لم يعد لها وجود إلا في العالم الإسلامي، وأنها – أي الأسرة الشرعية – يجب تغييرها إلى النموذج المتحضر الإبداعي – أي عدم اشتراط الزواج[٦٢]، وطالبت الدول بتغيير تشريعاتها.

إذن نحن المسلمين نقف أمام مخاطر كبيرة تصطدم مع الشريعة والفطرة السليمة والعقول المستقيمة:

فقد أكد العقلاء من جميع الأمم أن الدين والقيم الدينية، هي صمام الأمان للمجتمع والأسرة من التفكك، وأن الأزمات التي تعيشها المجتمعات الغربية هي بسبب القيم الليبرالية والابتعاد عن القيم الدينية، فقد أكد الرئيس الأمريكي الأسبق جون أدمز: أن الدين والمبادئ الأخلاقية هي وحدها صمامات الأمان، وأن الدولة لن تكون قادرة على كبح جماح الأهواء والنزوات غير المنضبطة.

وهناك كثيرون من المصلحين والمفكرين الغربيين والشرقيين من غير المسلمين، يُحسّون بخطورة ما وصلت إليه المجتمعات البشرية، وآثارها المدمرة حتى على بقاء الإنسان على ظهر كوكبنا، ناهيك عن السعادة والاستقرار، حيث عمّ القلق والاضطرابات وعدم الشعور بالسعادة، بل الشعور بالإحباط الذي من نتائجه

الزيادة المطردة في نسبة الانتحار في العالم.

فلننظر الى العالم كيف يتعامل مع المرأة في ظل غياب نور الوحي بين الإفراط والتفريط، فكانت المرأة في المجتمعات القديمة اليونانية والرومانية والهندية والصينية والجاهلية العربية بمثابة المتاع والبضاعة وكانت محتقرة، حتى عبر عن ذلك خطيب الفلاسفة اليونان «ديمو ستين» فقال: « إننا نتخذ العاهرات للذة، والخليلات للعناية بأجسامنا، والزوجات للولادة»[٦٣] فمن هذه المواقف المتطرفة في كبت المرأة إلى المواقف المتطرفة في فتح أبواب حريتها التي نراها من الحضارة الغربية المعاصرة، وهذا دليل على أن الأهواء الانسانية مثل الرياح العاتية التي تدفع بالإنسان إلى أقصى اليمين من التطرف ثم تدفعه إلى أقصى الشمال.

في حين أن أنوار الوحي ثابتة فقال تعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[٦٤].

فقد أخرج الإسلام المرأة من ظلمات الظلم، والجهل، والذل، والمهانة، وانعدام الحقوق، إلى أنوار الكرامة والعدل، والعلم، والمكانة التي تستحقها.

المبدأ الشامل الذي يمثل الحل الإسلامي لقضايا الأسرة، هو مبدأ «التوازن»:

لقد عشت في كنف القران العظيم متدبراً في الحل الجذري لمشاكلنا، وبخاصة قضايا الأسرة، فوجدت أن كل الحلول التي تقوم على الفكر الغربي أو الشرقي لن تحقق السعادة، والخير، والنهوض، وكذلك النظريات التي تحاول أن تجعل الأفكار الغربية من المساواة بين الرجل والمرأة أساساً لفكرنا الإسلامي المعاصر بلّي عنق النصوص، ومحاولة العصرنة، حيث فقدت هذه النظريات أصالتها، وهويتها، فلا هي إسلامية، ولا غربية في معظمها.

ولذلك وجدت أن المبدأ الشامل الذي يمثل الحل الإسلامي لقضايا الأسرة، هو مبدأ «التوازن»، وهو مبدأ يقوم عليه الكون كله.

(أ) حيث إن القران الكريم قد أكد على أن الكون كله موزون (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)[٦٥] وأن الإسلام جاء لتحقيق الانسجام والتناغم بين الإنسان والكون من خلال التوازن

نفسه، حتى يكون الإنسان متزناً ومتوازناً في أنشطته، وبذلك يكون قادراً على تعمير الكون وفق ما يريده الله تعالى من التعمير المتوازن المحقق لتوازن البيئة، فقال تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[٦٦].

(ب) أن التوازن يتحقق به التعادل بين أمرين متقابلين، بحيث يوزن كل واحد منهما بما له قيمة وثقل مع الآخر، بحيث يعطي كل واحد منهما حقه بالكامل دون زيادة، أو نقصان (أو افراط وتفريط)، والتوازن في الإسلام ليس إلغاءً لأحد الشيئين، أو مزجهما فيخرج منهما منتج ثالث، وإنما بتشغيل طاقة كل واحد منهما وتوجيهها نحو الخير وتوزيع الأدوار، ليقوم كل واحد منهما بدوره المنشود ضمن حركة الحياة الدائبة، كما هو الحال في التوازن بين مكونات الإنسان نفسه، فلكل منها وزنه، ودوره، وطاقته.

(ج) التوازن بين الرجل والمرأة يعني أن يعرف لكل واحد منهما دوره، ووزنه، ومكانه، ومكانته بدقة، فيعطى لكل واحد منهما حسب ما ذكر حقه، ودوره بالكامل، وهكذا التوازن بين كل أمرين متقابلين مثل التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، والحق والواجب، وبين مصالح الشخص ومصالح الآخر، وبين مصالح الفرد ومصالح الجماعة والدولة، وبين العقل والعاطفة، وهكذا...

(د) التوازن في جوهره هو تحقيق العدل بين المتقابلين، والوسطية منهجاً في التنظير والسلوك، ورعاية الحقوق المتقابلة بين الإنسان وأخيه الإنسان، والإنسان والحيوان، والإنسان والبيئة، ثم الإنسان وأنشطته المتقابلة داخلياً، أو بين أي نشاط ونشاط متقابل لآخر.

(ه) أن الوسطية الحقيقية للأمة لن تتحقق إلا من خلال المنهج المتوازن فقال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) [67] وهذه الوسطية هي وسطية التصور والاعتقاد، لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الإرتكاس المادي، وإنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح.. أمة وسط في التفكير والشعور،.. وفي التنظيم والتنسيق... وفي الارتباطات والعلاقات، لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تُلاشي شخصيته في شخصية الجماعة، أو الدولة...)[٦٨]

(و) فالتوازن هو المقابلة بين وزن الشئ

ومقابله، اي بين وزنه الحقيقي دون زيادة أو نقصان، ثم يعطى حقه وما يستحقه ليتحقق التوازن الحقيقي، ولذلك سمي الميزان ميزاناً، ولكن ميزان الحقوق والواجبات، والأنشطة الإنسانية يختلف عن ميزان الماديات، وأنه بهذا التوازن والميزان يتحقق العنصر الأول للعدل والاعتدال، والمنهج الوسط، والحق والقسطاص المستقيم، وأما العنصر الثاني فهو القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة، حيث بهما يتحقق المرجعية، ولذلك ربط الله تعالى العدل بهذين العنصرين فقال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[٦٩].

وقد تكرر هذا الربط في سورة الرحمن حيث يقول تعالى (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)[٧٠].

فهذه الآيات الكريمات أكدت على الربط بين القرآن والميزان بالنسبة لسعادة الإنسان وكرامته وحياته في هذه الدنيا حياة سعيدة، ثم بينت أن الله تعالى هو الذي وضع الميزان الدقيق لكل شئ بما فيه الكون كله والإنسان، وأن على الإنسان إذا أراد حياة موزونة أن يحافظ على وزن كل شئ بدقة وعدم الظلم والطغيان في الميزان، وأن ينطلق من مبدأ الرحمة، ومبدأ أن الأرض خلقها الله تعالى لجميع البشر ذكرا أو أنثى بل لجميع المخلوقات (والأرض وضعها للأنام).

تحقيق مبدأ التوازن في العلاقات الأسرية:

إن مبدأ التوازن في العلاقات الأسرية يجب تحقيقه في جميع الجوانب الفكرية والنظرية والتطبيقية والعلاقات الاجتماعية والأسرية والاقتصادية، ومن حيث الرؤية والفلسفة، ومن حيث الأهداف والمقاصد والغايات، ومن حيث الوسائل والأدوات:

أولاً: الجانب العقدي والفكري والفلسفي والمقاصدي:

ففي الجانب العقدي والفكري والفلسفي والمقاصدي هو، أن العقيدة الإسلامية تفرض أن تكون نظرة المسلم إلى كل شأن وبخاصة إلى جزئه الثاني، وشريكة حياته، نظرة قائمة على هذا التوازن الذي يحقق العدل والإنصاف، وذلك من خلال ما يأتي:

١- إن المرأة هي أصل عظيم كما أن الرجل أصل عظيم لبداية الخلق

ولاستمراره، فكل إنسان مبدؤه إلى آدم وحواء، وهما من الأرض القائمة على الزوجية، وكذلك استمرار الحياة حيث يتكون الجنين من ٢٣ كروموسوماً من الزوج، و٢٣ كروموسوماً من الزوجة، فلا يمكن أن تستمر الحياة بأحدهما فقال تعالى (إِنّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)[٧١].

٢- إن الحياة الإنسانية لا يمكن أن تستقر وتزدهر إلا بالذكر والأنثى، وبتوزيع الأدوار عليهما، وهذا لا يتحقق إلا بالتوازن.

٣- إن التصور الإسلامي يقوم فعلاً على أن الذكر ليس كالأنثى، والأنثى كذلك ليست مثل الذكر، فقال تعالى (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)[٧٢]وهي حقيقة طبيعية وعقلية كما أنها حقيقة شرعية، فالأنثى تخلق من XX من حيث الجينات والكروموسومات والذكر تخلق منYX كما أن معظم المكونات الأساسية الجسدية مختلفة بالضرورة والبداهة، فالله تعالى اراد ذلك للتكامل وتوزيع الأدوار، ولو كانا متساويين لكانت المرأة نسخة من الرجل أو بالعكس، وحينئذ لما تحققت الغايات والمقاصد المرجوة من خلقهما.

٤- إن مقاصد الشريعة من خلق الذكر والأنثى هو تحقيق العبودية لله تعالى، وتحقيق الاستخلاف والتعمير والبناء والحضارة من خلال التكامل الحقيقي بين الرجل والمرأة، وتوزيع الأدوار بينهما في الحياة الدنيا حتى يتحقق السعادة والمودة والرحمة، وحتى تكون العلاقة بينهما على أساس التآلف والتكامل وليست على اساس الصراع والغلبة والقهر والمغالبة فقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٧٣] ويقول سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[٧٤]، كما أن من أهم مقاصد الزوجية التآلف والتعارف فقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٧٥].

٥- إن رؤية الإسلام في التوازن بين الناس هي أن تصل الإنسانية إلى مرحلة النضج في توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء بعيداً عن الظلم، والإفراط والتفريط، وبعيداً عن الازدواجية في المعايير، والحقوق والتطبيق.

٦- إن حقوق المرأة المتوازنة مع حقوق الرجل هي التي تصنع المجتمع المتوازن دون تصارع ولا تصادم، في حين أن الوضع التصادمي يجعل آثاره واضحة على الفرد، والأسرة والمجتمع، ويؤدي إلى إبطال طاقة الآخر أو جزء منها على الأقل.

٧- إن التوازن الحقيقي يقتضي أن يقر التساوي بين الرجل والمرأة في أصل الخلق، وفي كل نشاط أو صفة لا يكون للذكورة أو الأنوثة دور، أو تأثير كما هو الحال في الكرامة، والحقوق العامة من حرية العقيدة والرأي والفكر، ونحوها، وكذلك الحال في الأجر والثواب على العمل الصالح، وثمراته الدنيوية والآخروية، والعقوبات على الأعمال الإجرامية، مع ملاحظة أن بعض الواجبات، أو العقوبات مخففة على المرأة بسبب طبيعة المرأة، أو مدرأة عن المرأة. وكذلك المساواة الكاملة في الملكية، والأهلية الكاملة، فلا فرق بينهما، وبذلك سبق التشريع الإسلامي كل التشريعات الوضعية التي تأخرت كثيراً عن الإسلام في الاعتراف بحق الملكية التامة للمرأة، والأهلية التامة لها اذا توافرت شروطها المطلوبة في الرجل وكذلك الاعتراف بالذمة المستقلة للزوجة، في حين أن القوانين الغربية لم تصل إلى هذه النقاط الثلاث إلا في القرن العشرين[٧٦].

ثانياً: التوازن الذي شرعه الله تعالى في الأسرة تكويناً واستمراراً وانتهاءً وحقوقاً وواجبات:

إن التوازن الذي شرعه الله تعالى في الاسرة تكويناً واستمرارا وانتهاءً وحقوقاً وواجبات هو ما يأتي:

١- تحقيق التوازن عند الاختيار بحيث يكون اختيار الطيبين للطيبات، واختيار الطيبات للطيبين، اي تكون رعاية الدين والأخلاق والقيم في سلّم الأولوية، ثم تأتي بقية المواصفات المطلوبة باختيار الطرفين ايضاً.

٢- عند التعاقد فإن التوازن يتحقق بالاختيار المتبادل، وأن يتم تراضي الزوج والزوجة بإرادتين حرتين دون إكراه ولا غش ولا تدليس ولا تقرير ولا غلط من الطرفين، حيث العقد لن يتحقق إلا بهذا التراضي حسب النصوص الشرعية.

٣- بعد التعاقد تتكون مؤسسة الأسرة من الزوج والزوجة، ويديرها الزوج، ولكن بالتشاور التام مع الزوجة، فقال تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا

مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[٧٧] علماً بأن هذه القوامة ليست استبداداً، ولا بالتغلب والمغالبة والقهر، وإنما يجب أن تكون بالتراضي والتشاور، حتى أن صوت الزوج مع أنه مدير، ليس مرجحاً على صوت الزوجة، وهذا ما أكده القران الكريم حيث يقول تعالى (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)[٧٨] فهذه الآية الكريمة تضع مبدأ عظيماً لإدارة شؤون الأسرة، وهو أن جميع القرارات، حتى التي يتعلق بفطام الولد عن الرضاعة، يجب أن تكون وفقاً للتراضي والتشاور والتوافق التام. وذلك لأن الله تعالى اشترط لعدم الجناح على الزوجين أن يتم إدارة الاسرة بالتراضي، والتشاور، وإلا فيقع الإثم عليهما أو على الممتنع عن التشاور والتراضي، وبخاصة أن الله تعالى استعمل لفظة «تراض» و «تشاور» وهما من باب التفاعل الذي يدل على المشاركة المتساوية بين الطرفين، على عكس باب المفاعلة الذي يدل على غلبة الفاعل على المفعول به، وهذا يعني أن صوت المرأة ورضاها متساوٍ تماماً لصوت الرجل ورضاه دون زيادة.

٤- وبعد التعاقد بحكم الشرع، أو في العقد لا بد من تنظيم مؤسسة الأسرة، وتوزيع الأدوار من خلال توزيع الالتزامات والحقوق على الطرفين، وقد أعطيت للرجل درجة القوامة فقط، ولكن وفق الشرط الذي ذكرته في البند السابق، وهي وظيفة تشريفية مقيدة بالتشاور مع الطرف الآخر -كما سبق- وليست سلطة استبدادية أو دكتاتورية.

ومن هنا يقتضي مفهوم التوازن، العلم الكامل من الزوج والزوجة بجميع الحقوق والالتزامات، ووجوب الحرص على تطبيقها من الطرفين، والسعي الجاد لتحقيقها بكل صدق وصفاء وإخلاص، ولا شك أن من أهم الرسالة الاساسية في الحياة هي قيام الأم بأمومتها بحيث تكون لها الأولوية على الأمور الأخرى.

وقد سعى الإسلام سعياً كبيراً لتنظيم هذه العلاقة بين مكونات الأسرة وحمايتها بجميع الوسائل، واستعمل لأجلها جميع الوسائل المتاحة من التقوى والرقابة الإلهية والدخول في التفاصيل حتى إننا لا نجد أن القران فصّل في شئ مثل ما فصّل في قضايا الأسرة والمرأة، حتى بلغ علاج الحالات الفردية فقال تعالى (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[٧٩].

٥- أوجبت الشريعة أن تكون العلاقة قائمة على الود والمحبة والرحمة، والوئام والانسجام والإمساك بالمعروف، أو التسريح بإحسان بعد استعمال جميع الخطوات المطلوبة، فقد بيّنت الشريعة بأن الحلّ الأمثل عند الخلاف هو التحاور بالحكمة (والله يسمع تحاوركما) والجدال بالتي هي أحسن، فإن لم يجد فالوعظ والإرشاد، ثم التحكيم، وعند التحكيم أوجب الإسلام التوازن من خلال (حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)[٨٠].

٦- إن التوازن الأسري يتحقق بأن يقوم كل واحد من الزوجين بواجبهما ومسؤولياتهما التي فرضها الله تعالى عليهما فقال تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)[٨١].

ثالثاً: أسس التوازن الأسري في الإسلام:

إن أسس التوازن في الإسلام بالنسبة للأسرة وغيرها -بإيجاز- هي:

١- العدل من خلال رعاية الحقوق المتقابلة، أو الحقوق والواجبات.

٢- التعاون البناء على البر والتقوى، والتراضي والتشاور في كل ما يتعلق بشؤون الأسرة، والتفاهم من الطرفين في جميع الأمور.

٣- التعارف على البعض من خلال التعرف على الصفات والأخلاق والطبائع لدى الآخر، والاعتراف بحق كل واحد من الطرفين، وبفضله.

٤- النظر إلى الأسرة بأنها المؤسسة التي يبني عليها المجتمع والأمة، وبالتالي الاتفاق على التخطيط والتنظيم والتنسيق والإدارة الناضجة، والاهتمام بالخطط المستقبلية للأسرة والأولاد، وبيان الأهداف والرؤية والوسائل والمشاريع والبرامج.

رابعاً: أن التوازن متحقق تماماً في الميراث حيث تبين الدراسات العلمية أن النسب المالية في الفرائض مرتبطة بعدة عوامل اقتصادية واجتماعية ولذلك نرى أن الرجل يأخذ أكثر من المرأة في عدة مواضع، ولكن المرأة تأخذ أكثر منها في مواضع أخرى تزيد عن ٣٠ موضعاً، كل ذلك لتحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي.

خاتمة:

أدعو إلى استمرار السعي الجاد والعمل على إدماج قيمة المسؤولية في الأسرة في ضوء التشريع الإسلامي المتزن، في كافة المجالات الحيوية، ونشرها على الصعيد الإقليمي والدولي والعالمي للتصدي للمتغيرات الضالة والأفكار الهدامة المعاصرة، حيث إن المفاهيم الأسرية في ديننا الإسلامي الحنيف، ووسائل حفظ الأسرة، وآليات إدارة مؤسسة الأسرة في جوانبها الفقهية، والشرعية، والمقاصدية، والقانونية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، لجديرة بالنشر وإدماجها في كافة السياسات التعليمية والتربوية، بدءاً من الابتدائية، وتخصيص الدراسات الجامعية والرسائل العلمية، وفتح كليات أو أقسام خاصة بها، بالإضافة إلى مراكز البحث المتخصصة بعلم الأسرة.

كما ندعو إلى تفعيل ميثاق الأسرة الذي يجمع الأمة الإسلامية (بل الإنسانية) حول موضوع الأسرة، والمرأة، بحيث تعتمده الدول الإسلامية، بل الدول التي تريد الحفاظ على تماسك الأسرة وقوتها، وقد راعينا ذلك ضمن مشروع الميثاق الذي اعتمدناه في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، حيث شمل الميثاق في مواده الثماني والعشرين: مفهوم الأسرة ومقاصدها، وتكوينها، ومقوماتها، ووظائفها، والحقوق والواجبات بما فيها حقوق الطفل، والأسرة الممتدة، والنظام الأسري (عقد الزواج) وما يترتب عليه من حقوق وواجبات ومسؤوليات وأدوار متوازنة في تكامل تتناسب مع نية الاستمرار، أو في حالات اللجوء إلى إنهاء العلاقة الزوجية (الطلاق) وذلك عند تعذر استمرارها بعد استنفاد جميع الطرق والمراحل للمعالجة، حيث يجب أن يكون طلاقاً مشروعاً وبإحسان، كما تضمن الميثاق مسائل الميراث والوصية والعدة، بالإضافة إلى مسؤولية الدولة والمؤسسات الأهلية ودورها في حماية الأسرة.

الهوامش:

١. سورة النساء / الآية ١٢٨
٢. سورة الروم / الآية ٢١
٣. سورة التحريم / الآية ٦
٤. سورة الانسان / الآية ٢٨
٥. يراجع تفسير الطبري (١١٧/٢٤-١١٨) وتفسير التحبير والتنوير لابن عاشور (٤٠٨/١٥-٤١٠)
٦. القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط، مادة (أسر)
٧. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مصطلح (أسرة)، ويراجع : حليم بركات، المجتمع العرب في القرن العشرين، ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٠م ص ٣٦١-٣٦٤، وأنتوني عدنز: علم الاجتماع، ترجمة د. فائز الصُيّاغ ط. بيروت ٢٠٠٥م، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ص ٢٥١
٨. أنتوني عدنز، المصدر السابق ص ٢٥١
٩. الأستاذ تقي الدين الهلالي المغربي، كلمته المنشورة في موقع ملتقى أهل الحديث
١٠. سورة الضحى / الآية ٨
١١. لسان العرب، والقاموس المحيط مادة (شرع)
١٢. تفسير الطبري في تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة، وراجع تفسير المنار (٣٤٢/٦)
١٣. الرسالة للشافعي ص ٧٨
١٤. يراجع للمزيد من التفصيل والتأصيل : كتابنا : فقه الميزان معياراً لفهم القرآن والسنّة ورفعاً لمواطن الخلل والفرقة، دراسة تحليلية تأصيلية جديدة لفقه الميزان وأثره على فهم الشريعة، والاجتهادات المعاصرة مع تطبيق عملي على معظم القضايا التي وقع فيها الفراق، ومصادره المعتمدة. ط. الأولى، دار النداء استنبول / تركيا ١٤٤٠هـ = ٢٠١٨م، وصدرت ط. الثانية عام ٢٠١٩م، نشر مركز القره داغي للسلم الاجتماعي والتنمية البشرية / ألمانيا، وط. الثالثة عام ٢٠٢٣ م. ومترجم إلى عدة لغات عالمية.
١٥. المصدر السابق
١٦. المصدر السابق
١٧. المصدر السابق
١٨. ( ) القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط : مادة (غير)
١٩. كليات أبي البقاء، ط.مؤسسة الرسالة (ص٢٩٤)
٢٠. سورة الرعد/ الآية ١١
٢١. ( )سورة النساء / الآية ٢١٩
٢٢. سورة محمد / الآية ١٥
٢٣. يراجع : الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط.دار التراث بالقاهرة ص ٢١
٢٤. متفق عليه، البخاري. مع الفتح .(٣١٧/٢، ١٠٠/١٣) ومسلم، الحديث ١٨٢٩، ورواه أبو داود، الحديث ٢٩٢٨
٢٥. رواه الترمذي في سننه، الحديث ١٠٨٥، وقال حسن غريب، وقال الألباني في الارواء الحديث ١٨٦٨ (حسن). وهناك أحاديث كثيرة تدل على الحث على اختيار جميع الصفات الجيدة في الزوجين حتى النسب، لا يسع المجال للخوض فيها في هذه العجالة.
٢٦. سورة التحريم / الآية ٦
٢٧. يراجع لمزيد من التفصيل : إحياء علوم الدين للإمام الغزالي
٢٨. سورة العنكبوت / الآية ٤٥
٢٩. سورة التوبة / الآية ١٠٣
٣٠. سورة البقرة / الآية ١٨٣
٣١. سورة البقرة / الآية ١٩٧
٣٢. سورة الفرقان/ الآية ٦٣
٣٣. سورة الجمعة / الآية ٩-١٠
٣٤. د. محمد دراز: المرجع السابق ص ٣٠٥
٣٥. سورة الشمس / الآية ٩-١٠
٣٦. سورة الأعراف / الآية ٢٠١
٣٧. رواه البخاري في صحيحه - مع الفتح - كتاب الإيمان (١١٤/١)، ومسلم كتاب الإيمان (٤٠/١)، وأحمد (٢٧/١، ٥١، ٥٢، ١٠٧/٢، ٤٣٦، ١٣٩/٤، ١٦٤).

٣٨. رواه مسلم في صحيحه، الحديث رقم ١٠.
٣٩. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٦/٦)، وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد بهذا اللفظ عن ابن عباس، مجمع الزوائد (٤٤/١)، وقال في سنده شهر بن حوشب، ورواه بلفظ «أن تعمل...» البيهقي في السنن الصغير (١٤/١)، وقال: إسناده على شرط مسلم.
٤٠. يراجع لسان العرب، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط مادة (بصر)
٤١. سورة يوسف / الآية ١٠٨
٤٢. سورة الأنفال / الآية ٢٩
٤٣. سورة البقرة / الآية ١٨٣
٤٤. سورة الحج / الآية ٣٧
٤٥. سورة المطففين / الآية ١٤
٤٦. سورة العنكبوت / الآية ٦٩
٤٧. سورة الليل / الآية ٥-١١
٤٨. سورة الحجرات / الآية ٧
٤٩. سورة يوسف / الآية ٢٤
٥٠. سورة الحجر/ الآية ٣٩-٤٠
٥١. سورة ص / الآية ٨٢-٨٣
٥٢. سورة الحجر/ الآية ٤٢
٥٣. سورة النحل / الآية ٩٩-١٠٠
٥٤. سورة الرعد / الآية ٢٨
٥٥. سورة طه / الآية ٤٦
٥٦. رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم ٤٦٦٣، ٣٦٥٣، ومسلم الحديث ٢٣٨١
٥٧. سورة التوبة / الآية ٤٠
٥٨. سورة الطور / الآية ٤٨-٤٩
٥٩. سورة النور / الآية ٣٥
٦٠. علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب ص ٢٥٨
٦١. موقع جديديس
٦٢. البيان الصادر عن الدورة (٤٨) بعنوانك استراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة، وتقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي لعام ١٩٩٥، ويراجع كاميليا حلمي: مصطلح الأسرة في أبرز المواثيق الدولية، المنشور في موقع التنمية الإسلامية العالمية للمرأة ص٧
٦٣. البهى الخولي: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص١١
٦٤. سورة البقرة / الآية ٢٥٧
٦٥. سورة الحجر/ الآية ١٩
٦٦. سورة القصص / الآية ٧٧
٦٧. سورة البقرة / الآية ١٤٣
٦٨. سيد قطب: في ظلال القران (١٢١/١)
٦٩. سورة الحديد / الآية ٢٥
٧٠. سورة الرحمن / الآية ٧-٩
٧١. سورة الانسان / الآية ٢
٧٢. سورة آل عمران / الآية ٣٦
٧٣. سورة الروم / الآية ٢١
٧٤. سورة النساء / الآية ١
٧٥. سورة الحجرات / الآية ١٣
٧٦. يراجع للمزيد: كتابنا مبدا الرضا في العقود، دراسة مقارنة، دار البشائر، بيروت
٧٧. سورة النساء / الآية ٣٤
٧٨. سورة البقرة / الآية ٢٣٣
٧٩. سورة النساء / الآية ١٢٨
٨٠. سورة النساء / الآية ٣٥
٨١. سورة التحريم / الآية ٦

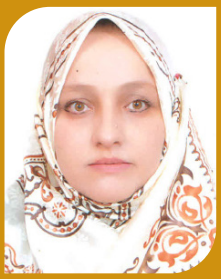

قراءة في التحديات المعاصرة

أ.د. ليليا شنتوح *

الملخص:

الأسرة هي أساس الاجتماع الإنساني منذ القدم، والتي كانت تعني في البداية مجرد العشيرة والربط، والدرع الحصين، والقيد والإمساك، ليتطور مفهومها ودلالاتها في الحضارات الإنسانية إلى معنى الوحدة الأساسية التي يتكون منها المجتمع، وحاضنة الأفراد التي تمنحهم ثقتهم بأنفسهم، وتنمي مواهبهم، وتعزز قيمهم الأخلاقية، والدينية والإنسانية، ويبدو أنّ جلّ الأديان قد اهتمت بالأسرة، وتنظيم العلاقات بينها على اختلاف بينها سعة وضيقا من حيث الأحكام والتشريعات، واللافت في العصر الحديث هو ظهور تحولات كبرى في مفهوم الأسرة وبنيتها، وقيمها خاصة في المجتمعات الغربية بسبب استشراء ظواهر جديدة مثل: زواج المثليين، والجندر، وكراء الأرحام، وتفكك الأسر، مما يشكل تهديدا مباشرا على الأسرة، وقيمها الإنسانية والتشريعية، ويستوجب العودة إلى الأحكام الدينية، والتجنيد شعوبا وحكومات للمحافظة على أهداف الاجتماع الإنساني وغاياته.

(*) أستاذ التعليم العالي- كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر.

مقدمة:

في بدايات القرن الماضي تزايد الاهتمام الغربي بالإنسان وقضايا الأسرة، وتعددت حقول الدراسات والأبحاث حولهما، من نواح عديدة أنثروبولوجية واجتماعية، واقتصادية، وقيمية، ودينية، ويبدو أنّ جلّ الأديان الكتابية قد انبثقت رؤيتها للحياة الأسرية من توجيهات بعض النصوص المقدسة التي تحث على الزواج وتكوين الأسر، وتعزيز الروابط العائلية، وتنمية الأخلاق الحميدة، والقيم الروحية العالية بغرض قيام الأسرة بأدوارها ووظائفها، حيث جاء في سفر التكوين:« **فخلق الله الإنسان على صورته.. خلقه ذكرا وأنثى...وقال لهم اكثروا وأثمروا واملأوا الأرض**»[1]، وحثت المسيحية على طاعة الأولاد للأولياء كما هو الشأن في رسالة بولس إلى أهل كولوسي : « **أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء..**»[2]، وأحاط الإسلام كغيره من الأديان الأسرة بالعناية والرعاية، وحث على الإحسان للوالدين في قوله جلّ وعلا: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ (الإسراء/ ٢٣)، فخص الإسلام الأسرة بقيم تعلي من شأنها وتحفظ سلامتها، واستقرارها وتوازنها، وتدفعها للمساهمة في دفع عجلة التقدم والتحضر المنشود.

غير أن البشرية في الآونة الأخيرة تعيش تحولات كبرى في مفهوم الأسرة وبنيتها، ومكوناتها وقيمها، على المستوى الغربي وحتى العالم الإسلامي بشكل قليل، بفعل العولمة والتأثير الخارجي، واستيراد مفاهيم وافدة لمفهوم الأسرة، خاصة مع ظهور موجة ما يعرف اليوم بزواج المثليين، والجندر، وكراء الأرحام، والبنك المنوي، مما يشكل بدوره تهديدا مباشرا على حياة الأسرة، وقيمها الإنسانية والتشريعية، وقد تحدث عالم الاجتماع الكندي دانييل داجني Daniel Dagenais في بحثه الموسوم ب» نهاية الأسرة الحديثة» « La fin de la famille moderne» عن عمق أزمة الأسرة المعاصر وقيمها، والخلل الكبير الذي أصاب هذه المنظومة والذي سينهي حتما بفنائها[3]، ونظرا لهذه المشكلات المعاصرة التي تنذر بتغير في مفهوم الأسرة وقيمها، ولما كانت الأسرة هي الركيزة الأساسية في تربية الطفل، وبالتالي المسؤول الأول عن تخريج جيل المستقبل، فإننا نتساءل عن

مفهوم الأسرة في الإسلام والأديان؟ ثم ماهي التحديات التي تواجه الأسرة في الوقت المعاصر مع الثورة العلمية وتغير المفاهيم؟ وما مدى تأثر المجتمعات المعاصرة بهذه التغيرات في مفهوم الأسرة ووظائفها وقيمها؟ وكيف يمكننا الحفاظ على مقوماتها الدينية والقيمية؟

الأسرة: مفهوما ودلالة

تدور مادة «أسر» في اللسان العربي على عدة معان منها: العشيرة، وأهل بيته، والحصن، والإمساك والقيد والحبس، يقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ): « الهمزة والسين والراء أصل واحد، وهو الحبس، وهو الإمساك»[٤]. وقال ابن منظور(ت٧١١هـ):« أسرة الرجل عشيرته، ورهطه الأدنون»[٥]، ويبدو أن معنى «الأسرة» في اللغة قد عرف تطورا ملحوظا، فمن مفهوم العشيرة والربط، والدرع الحصين، والقيد والإمساك[٦]، ليتطور مفهومها في الاصطلاح إلى معنى الوحدة الأساسية التي يتكون منها المجتمع وحاضنة الأفراد التي تمنحهم ثقتهم بأنفسهم، وتنمي مواهبهم، وتعزز فيهم القيم الأخلاقية، والدينية والإنسانية[٧].

ولم يرد مصطلح الأسرة في القرآن الكريم بهذا اللفظ، وإنما جاء بأحد اشتقاقاته، وهو كلمة «أسر» الواردة في قوله جل وعلا: ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ﴾ (الإنسان/ ٢٨)، والمعنى ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب[٨]، فالدلالة اللغوية لكلمة الأسرة تعني صلة الشخص الوثيقة بأسرته، ومنه جاءت بعض الكلمات القريبة منه، وهي «أزواجا» في قوله تعالى : ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم/ ٢١)، ووردت بلفظ الأهل أيضا في قوله تعالى: ﴿**إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗاۖ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ**٧﴾ (النمل/ ٧)، كما أنّ هناك ألفاظا أخرى تعبر عن الأسرة في القرآن الكريم منها: البيت، والعشيرة، وغيرها.

أما في السنة النبوية فلم يرد لفظ «الأسرة « إنّما جاء بأحد معانيه كذلك، وهو لفظ « الأهل» في الحديث النّبوي الذي رواه ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: « **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

يَقُولُ: كُلكُـــمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُـــمْ مَسْـــؤُولٌ عَـــنْ رَعِيَّتِـــهِ، الإِمَـــامُ رَاعٍ وَمَسْـــؤُولٌ عَـــنْ رَعِيَّتِـــهِ، وَالرَّجُـــلُ رَاعٍ فِي أَهْلِـــهِ، وَهُـــوَ مَسْـــؤُولٌ عَـــنْ رَعِيَّتِـــهِ..»[9]. وهذا الحديث النبوي يبين مكانة الأسرة في الإسلام، ودور الرجل الأساسي ومسؤولياته تجاه عائلته من رعاية وصيانة وغيرها.

نشأة الأسرة في التاريخ الإنساني :

انطلقت الحياة الإنسانية في أول عهدها من علاقة فطرية تكاملية بين زوجين: رجل وامرأة، ثم أصبحا أبا وأما، وكونا أسرة بشرية كانت الوحدة الأولى في بناء المجتمع البشري، ومن تلك الأسرة الواحدة تفرعت أسر متعددة، تجمع بينها علاقات الأصل الواحد، وعلاقات القربى بين الأسر، ومن هذه الأسر تكونت الشعوب والقبائل والأمم، وكانت هذه هي السنة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، لإعمار الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها، ومنذ تلك البداية والأسرة هي اللبنة الأساسية في كل مجتمع بشري، الكفيلة بحماية المقومات الأساسية التي تعطي للمجتمع خصائصه البشرية العامة، وهويته القومية، أو العرقية أو الدينية الخاصة[10]، ويظهر أنّ الأسرة ومكوناتها وواجباتها قد عرفتها جلّ الحضارات القديمة مثل: الفرعونية، والصينية، والهندية، والسومارية وغيرهم، كما عرفتها الأديان الكتابية.

ففـــي اليهودية اعتبرت الأسرة أس الحياة الدينية والاجتماعية، فحثت على الزواج وتكوين الأسر حيث جاء في سفر التكوين :« **ليـــس جيـــدا أن يكـــون آدم وحـــده، فأصنـــع لـــه معينـــا نـــظيره**»[11]، وورد أيضا ما نصه: « **فخلـــق اللـــه الإنســـان علـــى صورتـــه... خلقـــه ذكرا وأنثى...وقـــال لهـــم اكثـــروا وأثمـــروا واملأوا الأرض..**»[12]، وجعلت من معالم قداسة الأسرة إكرام الوالدين في الوصايا العشر، حيث ورد في سفر الخروج ما نصه:« **أكـــرم أبـــاك وأمـــك لكـــي تطـــول أيامـــك علـــى وجـــه الأرض**» [13]، وهذا النص يؤكد احترام التوراة للأسرة وللوالدين كمصدر للحكمة والتوجيه الروحي، وجعلت اليهودية عقوبة سب الوالدين القتل، وهو ما ورد في سفر الخروج :« **كلّ إنســـان ســـبّ أبـــاه وأمـــه فإنّـــه يقتـــل**»[14]. ومن هنا اهتمت اليهودية

بالأسرة ومكوناتها، وأكدت على طهارة العلاقة الزوجية، وضبطها بقواعد الزواج الشرعي، وأهمها الوفاء لهذه العلاقة وحماية فرحتها[١٥]. وركزت اليهودية على أنّ الغاية الرئيسية من الزواج هي الإنجاب، وحضت عليه بصفته شعيرة دينية أمر الله بها، وحض عليها استيفاء للعهد الإلهي مع بني إسرائيل[١٦]، كما عززت اليهودية على القيم الأخلاقية للأسرة، والأخلاق الدينية لأفرادها، حيث يتم تعليم الأخلاق والأعمال الصالحة التعاطف والعدل، والحق في اطار الأسرة، ويلعب التعليم الأخلاقي دورا هاما في بناء مجتمع يهودي مزدهر.[١٧]

غير أنه لا يمكننا التسليم بقداسة الأسرة في اليهودية إلى ذلك الحد المثالي، بسبب النظرة التوراتية للمرأة الواردة في قصة الخلق، واتهامها بالضلوع في خطيئة آدم، ومعاقبتها بأوجاع الولادة، جاء في سفر التكوين: « **أزيد تعبك حين تحبلين، وبالأوجاع تلدين البنين إلى زوجك يكون اشتياقك**»[١٨]، ويبدو أنّ هذه النظرة الدونية للمرأة قد أثرت في الممارسات الحياتية، وأسفرت عن ركام من التشريعات والممارسات التي تعكس هذا التصور الذي يكشف عن منظومة معينة في مجال الأسرة، كانت سببا رئيسيا في ظهور حركات التحرر النسوية بسبب تمركز حقوق عقد الزوجية في اليهودية حول الرجل، ليصبح دور المرأة ثانويا، لا يكاد يتجاوز مهمة الإنجاب، وخدمة الرجل وطاعته طاعة مطلقة. وعلى هذا نجد أنّ الكثير من أحكام الأسرة في اليهودية تعكس بوضوح عدم التزام الرجل بأي التزام مسؤولية تجاه الزوجة، ولمحورية الرجل، فإنّ المنظومة اليهودية لا تجعل من الزواج عبئا ماليا على الرجل، وكذلك الطلاق، فللرجل الحق في الطلاق متى أراد ذلك[١٩]، ويبدو أنّ دور مؤسسة الأسرة قد تراجعت في الوقت الحاضر بين اليهود، شأنها في ذلك شأن منظومة الأسرة في العالم الغربي كله، بل في التشكيلات الاجتماعية التي تتزايد فيها معدلات التحديث والعلمنة اللذين ينتج عنهما تزايد سلطة الدولة بحيث تضطلع مؤسساتها بكثير من وظائف الأسرة، مثل: تنشئة الأطفال، وحركات تحرير المرأة وغيرها[٢٠].

أما في المسيحية فقد احتلت الأسرة أهمية كبيرة منذ زمن يسوع المسيح الذي كان نموذجا للطفل المطيع

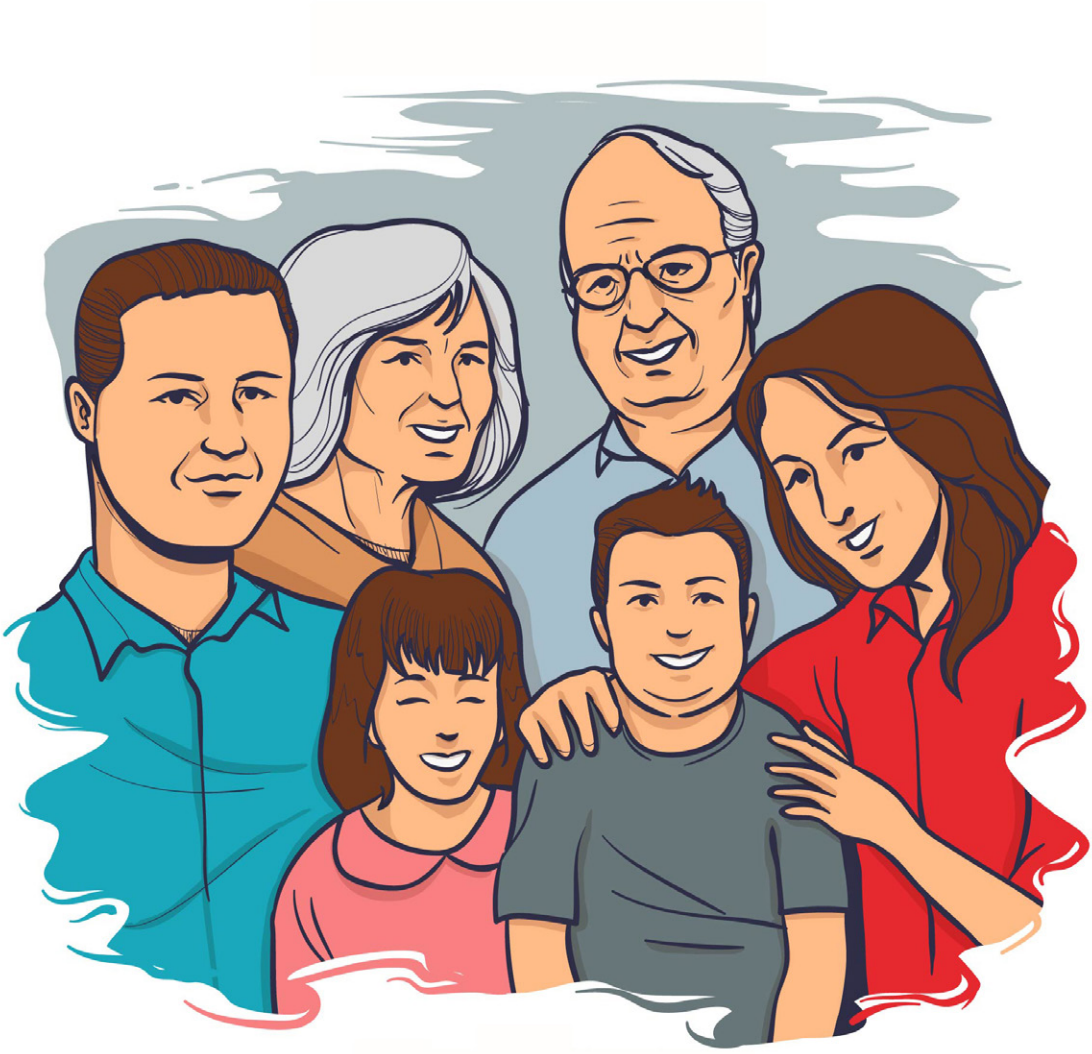

لوالديه، جاء في إنجيل لوقا: « **ثم نزل معهما - أي مع أمه مريم وزوجها يوسف النجار- وكان خاضعا لهما**»[٢١]، وعندما أصبح شابا وابتدأ خدمته، اهتم بجميع فئات الأسرة والمجتمع في فلسطين آنذاك، وخاصة الأطفال الذين دعاهم إليه قائلا: « **دعوا الأولاد يأتون إليّ، ولا تمنعوهم، لأنّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات**»[٢٢]، والأمر كذلك بالنسبة لبولس الذي اهتم بأفراد الأسرة من النساء والرجال، وأوصى الرجال بمحبة زوجاتهم، والاحترام المتبادل كأساس للأسرة السعيدة فيقول في رسالته إلى أهل كولوسي :« **أيّتها النساء، اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب، أيّها الرجال احبوا نساءكم، ولا تكونوا قساة عليهن** » [٢٣]، ولم يتوقف اهتمام بولس الرسول بالأبوين فقط، وإنّما اعتنى بكل أفراد العائلة من الشيوخ والأطفال، والعبيد الخدم في البيوت على اعتبار أنّهم يشكلون ركنا هاما في حياة الأسرة [٢٤].

غير أنّ المسيحية مثل سابقتها كان لها موقفا آخر مخالفا لتكوين الأسر، حين دعت إلى التبتل والرهباني، وهو ما نجده في إنجيل متى:« **وفيهم من لا يتزوجون من أجل ملكوت السماوات**»[٢٥] ثم تطورت هذه الرؤية عند بولس إلى درجة أن مجمع الفيرا بإسبانيا أصدر قرارا بتحريم زواج كبار لاهوتيي الكنيسة، وبرر المجمع ذلك بقوله:« **إنّ غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب، أما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته**»[٢٦]، ولذلك انعكست هذه النظرة للزواج عند المسيحيين على ندرة أحكام الأسرة وقوانينها، وقد حرمت المسيحية الطلاق تحريما كما جاء في إنجيل مرقس عن السيد المسيح:« **من طلق زوجته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني**»[٢٧]، وحرمت تعدد الزوجات، غير أنّ هذه الأحكام قد خفت مؤخرا في الكثير من الدول المسيحية فسمحت بالتعدد، ودعت العديد من الكنائس والجمعيات المسيحية إلى الحفاظ على الزواج التقليدي، والسعي جاهدة إلى التأثير في السياسات والقوانين التي تحفظ

للأسرة طبيعتها، نتيجة التطورات الاجتماعية، والآثار السلبية التي يعانيها المجتمع والأسرة الإنسانية[٢٨].

الأسرة في الإسلام:

اهتم الإسلام بالأسرة، ودعا إلى الحفاظ عليها، وتحصينها وحماية حقوق أفرادها، وجعلها صورة مصغرة للمجتمع ودعامته الأولى التي تقوم مقام الأساس من البناء، ومهد الطفل ومرعاه الأول، منها تنطلق مسيرته لبناء شخصيته في جميع مراحل عمره، وفي رحابها يكتسب أخلاقه، وعقيدته، ولذلك أحاطتها الشريعة الغراء بسياج متين، جعلت لها نظاما متميزا يقيها حر الفتن التي تتصيدها صباح مساء، وقيدتها بمجموعة من الضوابط والأحكام التي حددت بموجبها مسؤولية الزوجين وواجباتهما، ووزعت الوظائف والمسؤوليات فيها حسب خصوصية كل فرد، وقدراته الجسمية والنفسية، وجعلت أهدافها الأسمى بناء أسرة سعيدة، قاعدتها التشاور والتفاهم والتعاون والإيثار، وجمالها المحبة والمودة والرحمة، لتتحقق للمجتمع الطمأنينة والسكينة والاستقرار بعيدا عن التفكك والانهيار، فما من أسرة حافظت على هذه الحقوق والواجبات إلا وظللتها السعادة، عاشت آمنة مطمئنة في أمان وسلام وحب ووئام وسعادة واطمئنان، وما من أسرة أعرضت ونأت عن ذلك إلا وأصابها الثبور، وابتليت بعظائم الأمور، وحلت بها التعاسة والشقاء والضياع والحرمان[٢٩].

ومن أهم الواجبات والمسؤوليات التي جاء بها القرآن الكريم في مجال الأسرة وبينتها السنة العطرة مسؤولية القوامة والحافظية، الواردة في قول الله تعالى:

﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ** ﴾ (النساء/ ٣٤) وتستلزم من الزوجين القيام بها لتحقيق رسالتهما في الحياة، والمحافظة على الأسرة من الانحرافات والمشكلات الداخلية.

ويبدو أنّ الإسلام قد فصل في أحكام الأسرة والتشريعات المتعلقة بها ما لم يفصله في غيرها من الأحكام، والآيات القرآنية التي تربط بين التوحيد وبّر الوالدين وصلة الرحم والتقوى والإحسان، وتربط كذلك بين قطيعة الرحم والفساد في الأرض قال تعالى:﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ**

إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا٢٤ ﴾ (الإسراء/ ٢٣- ٢٤)

يقول محمد الطاهر بن عاشور واصفا مكانة الأسرة في سلم الحضارة:«- إنّ- انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جامعتها، فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها، وكان ذلك من أول ما عني به الإنسان المدني في إقامة أصول مدينته بإلهام إلهي روعي فيه حفظ الأنساب من الشك في انتسابها»[٣٠] .

وإذا كان الإسلام قد اهتم بالأسرة وقيمها، والأحكام المتعلقة بها، ما لم نجده في الأديان الأخرى من حيث الأحكام والتفاصيل الكثيرة من خطبة وزواج وأولاد، ورعاية وميراث وغيرها، فإننا نتساءل عن ماهية التحديات التي تواجهها الأسرة عموما والإسلامية خصوصا في الوقت الحاضر؟

تحديات الأسرة في الوقت المعاصر:

شهد العالم تغيرات واسعة في مجال العلاقة بين مكونات الأسرة، ففقدت الأسرة في كثير من المجتمعات -وإن بدرجات متفاوتة- مفهومها في الطبيعة الفطرية، وموقعها في البناء الاجتماعي، ووظيفتها في التنشئة والتربية، كل ذلك لصالح اتجاهات فردية، تعلي من قيمة الفرد، وتجعله بؤرة الاهتمام، وتحد من دور الأسرة في تشكيل بنيته النفسية والعقلية، ولم تكن الأسرة العربية الإسلامية بمنأى عن هذه التغيرات، إذ شهدت الأسرة نسبا متنامية في حالات الطلاق، وارتفاع سن الزواج، وبذلك اضطرب مفهوم الأسرة، فشاع مصطلح الشريك والقرين، وغدت علاقات الأفراد منفعية لا بالانتماء إلى المنظومة القيمية للمجتمع الإنساني، ولم تعد الأسرة تقوم بوظائفها الفكرية والنفسية من صحة نفسية، وأمن اجتماعي، وهوية فكرية وثقافية، ولا الوظائف الاجتماعية من حضانة وتربية، فماهي الملامح التي تشكل مفهوم الأسرة وواقعها في المجتمع الإنساني المعاصر؟ وما مدى تأثر المجتمعات الإسلامية المعاصرة بهذه التغيرات، في مفهوم الأسرة وبنائها ووظائفها وقيمها؟[٣١]

إن أبرز ملامح التغير في مفهوم الأسرة في العالم الحديث، سيادة مفهوم الأسرة المثلية مما أدى إلى شيوع مظاهر التفكك في البناء الأسري، وضعف المشاعر الفطرية المعبرة عن المودة والتراحم الأسري، واختفاء مظاهر التكافل والتعاون، وبروز الفردية والانعزالية، ولعل انتشار مصطلح اللأم العزباء في البنية المجتمعية الغربية يشير إلى تآكل مؤسسة الزواج، وسائر مفاهيم الرابطة الأسرية المتأصلة في البناء التشريعي للديانات الكتابية، الذي تكون فيه الأسرة في إقامة العلاقات، ويكون الزواج بين الرجل والمرأة هو أساس الأسرة في إقامة العلاقات، وتتشكل دوائر القربى في الصهر والنسب، وسائر عناصر التكامل المجتمعي الأخرى.

إنّ التغيرات التي طرأت على واقع الأسرة في المجتمعات الغربية، لم تقتصر على تلك المجتمعات، بل أثرت على دول وشعوب أخرى، ولكن هذا التأثير لم يكن واحدا في جميع المجتمعات فثمة مجتمعات استطاعت أن تحافظ على دور الأسرة في بناء مجتمعها وأهميتها، ووعت ضرورة الترابط الأسري في المحافظة على الهوية، ونجحت في الموازنة بين التطور والتحديث والمحافظة على قيم الأسرة[٣٢].

وكان للإعلام دور كبير في تغير مفهوم الأسرة في عالمنا العربي والإسلامي، وغدت الأفلام والمسلسلات الغربية أو المستغربة تؤدي المهمة التي كان على الأسرة أن تؤديها في إحداث التنشئة الاجتماعية، ومن ثم أصبحت تلك البرامج الإعلامية مصدرا لإنتاج القيم والمعايير الاجتماعية.

إنّ المتابع عن كثب لشؤون الأسرة يلحظ وجود تحديات راهنة غدا تأثيراتها ترسم مسارات خطيرة تسهم في هدم الأسر، وتضييعها وحرفها عن دورها المنوط به، فالأسرة التي ينبغي أن تكون موطن السكينة والمودة، وتمد الفرد بالمحبة وتحفز دافعيته نحو التفاني في خدمة مجتمعه عملا بقوله تعالى: ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ٢١**﴾ (الروم/ ٢١) باتت تمر بتحولات خطيرة، أدت إلى تفكيك عرى كثير من الأسر منها بعض الضغوطات التي تمارس على كثير من الدول الإسلامية والعربية لتغيير قوانينها وتشريعاتها

الإسلامية المتعلقة بالأسرة لتتوافق مع ما يسمى النظام العالمي الجديد.

ويبدو أنّ مشكلة تفكك الأسر في الغرب نتيجة اختلاط الأنساب، وانتشار الزنا في الغرب ما يضر بالنسل، ولذلك أجمعت الشرائع على تحريم اختلاط الأنساب، جاء في الوصايا العشر: «**لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور** ..«[٣٣]، ويقول موسى بن ميمون[٣٤]:«فمنع هذه الشرور العظيمة وجلب المنفعة العامة، وهي معرفة الأنساب حرمت عهارة المرأة والرجل، ولم يوجد وجه حل للنكاح إلا بإفراد امرأة وزيجها » [٣٥]، ويقول أبو حامد الغزالي:« المجتمع يفقد قوته وتماسكه إذا اختلطت الأنساب، ومن أجل تحقيق هذا المقصد شرعت أحكام وقوانين أسرية كثيرة وأحكمت توجيهات وإرشادات عديدة، ومنه ما يتعلق بتحريم الزنا ومنع الزواج من المحارم، وهذه كلها مقصدها الحفاظ على استمرارية النسل بحفظ الأنساب من الاختلاط»[٣٦].

كما أنّ استشراء ظواهر جديدة نتيجة الثورة العلمية يهدد كيان الأسرة، وهو ما يعرف بالبنك المنوي وكراء الأرحام وغيرها، قد أفقد الأسرة الكثير من أركانها وأساسياتها ووظائفها وقيمها الإنسانية والتشريعية، مما سيؤدي حتما إلى فنائها وفقا للدراسة التي أجراها عالم الاجتماع الكندي دانييل داجني Daniel Dagenais في بحثه الموسوم ب» نهاية الأسرة الحديثة» « La fin de la famille moderne»[٣٧]، يقول عباس محمود العقاد في ذلك:« إننا نستطيع بلا تردد أن نفهم أنّ المجتمع الأمثل ليس هو المجتمع الذي تعطل فيه أمومة المرأة، وتنقطع لذاتها، وتنصرف إلى مطالبها وأهوائها، وليس هو المجتمع الذي ينشأ فيه النسل بغير أمومة، وبغير أسرة.» [٣٨]، ولذلك الأسرة في الغرب على وشك الانهيار بسبب انهيار القيم الأسرية المبنية على التكافل والتراحم والتعاطف، المؤثرة في بناء منظومة أسرية متينة تساهم في حفظ النوع الإنساني وأصالة الحياة البشرية، ونتيجة لذلك الانهيار، أدى ذلك إلى تفكك الأسرة وتصدع بنيانها، فانتشرت مراكز الرعاية الاجتماعية للأطفال المتخلى عنهم، ومراكز إيواء ذوي الحاجات الخاصة والمسنين وغيرهم، من الفئات الهشة، كنتيجة لإهمال الأسرة، وانتهاك قيمها، لذلك لابد من الرجوع للقيم الأسرية

الواردة في الإسلام للمحافظة على المجتمع من التصدع والانهيار، وهنا نتساءل عن ماهية القيم الأخلاقية الواردة في الإسلام والأديان للمحافظة على البناء الأسري المنشود؟

القيم الأسرية في الإسلام والأديان:

لا شك أنّ القيم الأسرية متعددة منها السلوكي ومنها الوجداني، ولا يمكن للأسرة أن تستمر دون أن تكون هذه القيم حاضرة بين أفراد الأسرة الواحدة، ومنها قيمة الحب والمودة والنصيحة والتعاون، والتضحية، هذه القيم تعين الأبوين والأبناء في مواجهة صعوبات الحياة، وتبقى روابط المحبة والألفة قوية، بالإضافة إلى القيم الأخلاقية التي أمر بها الإسلام الزوجين على وجه الخصوص، والأبناء في سبيل تعزيز العلاقات الأسرية، وتوطيد العلاقات بين أفرادها، وبفقدها أو ضعف حضورها، فإنّ الأسرة ستعاني من هشاشة العلاقة بين أفرادها، ومن التفكك وفقدان الدور الرسالي لها، ومنها: الصبر الذي أمر الله به وحث عليه، فبناء أي علاقة إنسانية يتطلب صبرا وتحملا وتجاوزا وتغاظي عن كثير من الأمور في سبيل تعزيز العلاقات الأسرية بين الزوجين، لقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا١٩**﴾ (النساء/ ١٩)، ولقد رسخ النبي الكريم محمد ﷺ منهجا معرفيا فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:« قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ غَيْرُهُ** »[٣٩]. [٤٠].

إنّ الأسرة وحدة ومؤسسة اجتماعية تشيع قيم الخير والمحبة والإيجابية، وتبثها في أفراد المجتمع، وقد عرفت الأسرة عناية خاصة من مختلف الأديان السماوية والوضعية والنظم إدراكا منها بالدور الهام والخطير الذي تقوم به، ذلك أن حفظ الأسرة هو حفظ لمقاصد الأديان عموما مثل الكتاب المقدس الذي دعا إلى التكاثر ورغب في الزواج هذه السنة الكونية في الخلق بهدف إعمار الكون، وتحقيق الغاية وهي عبادة الله. جاء في سفر التكوين:« **وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير**

السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض[41]»، وجعله الإطار الشرعي لإنجاب الأطفال وإعفاف النفس للرجل والمرأة، ومنعها من الوقوع في الخطيئة، واستمرار الذرية للإنسان على الأرض، وأطلق عليه وصية إنجاب الأطفال في اليهودية «التناسل والتكاثر»، وهي الوصية الأولى من وصايا اليهودية (٦١٣ وصية) وتعتبر الوصية التي تدور حولها كل الوصايا [42]جاء في رسالة بولس: «**ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل**»[43]، يقول البابا لاوون الثالث عشر:« ليس الزواج عمل الإنسان أو اختراع بشر، الله ذاته خالق الكون أراد منذ الابتداء استمرار النوع البشري بوساطة هذه الوحدة الزوجية وشرف الزواج يرفعه إلى سر مقدس»[44].

ولقد أسس القرآن الكريم الأسرة المتسامية، على قواعد، وبناها على أسس تمكنها من القيام بأدوارها الحضارية، بعدما كانت منبعا للقيم في حد ذاتها، بدءا من شروط اختيار الزوج والزوجة، والتأكيد على قيم الرجولة قائمة على العناية والرعاية القوامة والمسؤولية، والقوة والمروءة الكامنة في شخصية الرجل، والتي لا تظهر إلا بلقاء المرأة في بيت الزوجية في رحم الكيان الأسري، كما أن قيم الأنوثة مستودع القيم الجمالية والأخلاقية والاجتماعية الفياضة بالحنان والرحمة والقيم الاجتماعية الفياضة بالرعاية والحماية والتدبير، وتكتمل رجولة الرجل وأنوثة المرأة حتى يمر كل منهما بمراحل التكوين الأسري كلها بنوة وأمومة وعمومة، لأنّ كل عنصر في الأسرة يشكل مصدرا عظيما للقيم [45].

خاتمة:

من خلال ما سبق، يتضح أنّ الأسرة وحدة اجتماعية أساسية في بناء المجتمعات الإنسانية التي تربي الأفراد، وتشيع قيم الخير والإيجابية والمحبة والتواد والتراحم بين أفرادها، وقد عرفت الأسرة عناية خاصة من مختلف الأديان السماوية خاصة الإسلام الذي فصل كثيرا في أحكامها ومهامها وغاياتها، ويبدو أنه قد طرأت على الأسرة مع تطور المجتمعات والأزمنة تغييرات في الجوانب البنائية والوظيفية والقيمية

خاصة في المجتمعات الغربية، لذلك لابد من المحافظة عليها وعلى مفهومها ومقوماتها وحمايتها من أسباب الهدم والتفكك والانحراف.

ثبت المصادر والمراجع:

١. العهد القديم.

٢. القرآن الكريم.

٣. الأناجيل ورسائل الرسل.

٤. البخاري (محمد بن اسماعيل): صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ط:٥، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٣م.

٥. الحجازي (محمد محمود): التفسير الواضح، ط:١٠، بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ.

٦. حديدي(الطيب): الأديان وأثرها في نظام الأسرة، الجزائر، جامعة الجزائر ١، ٢٠١٣م

٧. سعيد(حيدر لفته): الأسرة في أقوال الإمام السجاد وأفعاله، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد

٨. عبد السميع(عماد الدين علي): الإسلام واليهودية من خلال سفر اللاويين تقريظ عبد الخالق ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٤م.

٩. صديق(أحمد يونس): مقاصد الحياة الزوجية في الأديان السماوية، العراق، المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والاجتماعية والعلمية، العدد: ١٠، ٢٠٢٣م.

١٠. ابن عاشور(محمد الظاهر): مقاصد الشريعة الإسلامية، تح : محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

١١. العقاد (عباس محمود) : القرآن والإنسان، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١م.

١٢. عكاشة(رائد جميل)، وزيتون(منذر عرفات):: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، ط:١، دار الفتح للدراسات، ٢٠١٥م.

١٣. العلواني(زينب طه):الأسرة في مقاصد الشريعة، ط:١، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢م.

١٤. الغزال(أبو حامد): إحياء علوم الدين، ط١، دار ابن حزم، ٢٠٠٥م.

١٥. ابن فارس(أحمد): تحقيق: عبد السلام هارون: معجم مقاييس اللغة، د ط، دار الفكر.

١٦. فاضل(ماري): مسؤوليات الكنيسة نحو الأسرة، مقال منشور ضمن كتاب بعنوان:الأسرة والكفل المسيحي في المجتمع المعاصر.

١٧. الفقيه (شفاء): مسارات هدم الأسرة، الجزائر، جمعية العلماء المسلمين، الجزائر، العددا لرابع، ٢٠٢٢م.

١٨. مسلم (أبو الحسين): صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٩.

١٩. ملكاوي (فتحي) : الأسرة منبع القيم، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٥٥.

٢٠. ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، ط:١، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٠م.

٢١. المودني(شاكر): أسس ومنطلقات في بناء الأسرة المسلمة، مجلة آصر، الجزائر، جمعية العلماء المسلمين، العدد ٣.

٢٢. موسى بن ميمون: ترجمة حسن أتاي، دلالة الحائرين، مكتبة الثقافة الدينية العتبة .

٢٣. إسرائيل ولفنسون: موسى ابن ميمون حياته، ط:١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦م.

٢٤. Daniel Dagenais ; la fin de la famille ;(la signification de transformations contemporaine famille) ;presse universitaire de rennes ;٢٠٠٠)

٢٥. Levy, D. (٢٠٢١). Teaching ethics and values in the Jewish family. Journal of Jewish Ethics, ١٥(٢).

الهوامش:

١. سفر التكوين: ١/ ٢٧

٢. رسالة بولس إلى أهل كولوسي: ٣/٢٠.

٣. Daniel Dagenais ; la fin de la famille ;(la signification de transformations contemporaine famille) ;presse universitaire de rennes ;٢٠٠٠)/

٤. أحمد بن فارس: تحقيق: عبد السلام هارون: معجم مقاييس اللغة، د ط، دار الفكر،مج١، ص١٠٧.

٥. ابن منظور: لسان العرب، ط:١، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٠م، مادة أسر، ج٤، ص٢٠

٦. انظر: المصدر نفسه، ٤/ ٢٠.

٧. انظر: حيدر لفته سعيد: الأسرة في أقوال الإمام السجاد وأفعاله، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٤٦، ج١، ص٣٧٩

٨. انظر: محمد محمود الحجازي: التفسير الواضح، ط:١٠، بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ، ج٣، ٧٩٨.

٩. أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم: ٨٩٣، صحيح البخاري تح: مصطفى ديب البغا، ط:٥، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٣م.

١٠. انظر: رائد جميل عكاشة ومنذر عرفات زيتون: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، ط:١، دار الفتح للدراسات، ٢٠١٥م، ص١٣

١١. رسالة إلى أهل رومية: ١٢: ٠٩- ١٠.

١٢. سفر التكوين: ١/ ٢٧

١٣. سفر الخروج، ٢٠: ١٢.

١٤. سفر الخروج، ٢٠: ١٢.

١٥. انظر: سفر التثنية، ٢٣: ٠٦.

١٦. انظر: الطيب حديدي: الأديان وأثرها في نظام الأسرة، الجزائر، جامعة الجزائر ١، ٢٠١٣م، ٢٤١..

١٧. Levy, D). (٢٠٢١). Teaching ethics and values in the Jewish family. Journal of Jewish Ethics ,١٥(٢), ١٢٣-١٤٠.

١٨. سفر التكوين: ٣/ - ١٦ ١٧.

١٩. انظر: زينب طه العلواني : الأسرة في مقاصد الشريعة، ط:١، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢م، ص ١٥٨.

٢٠. انظر: أحمد يونس صديق: مقاصد الحياة الزوجية في الأديان السماوية، العراق، المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والاجتماعية والعلمية، العدد: ١٠، ٢٠٢٣م، ص١٠١

٢١. انجيل لوقا: ٢: ٥١

٢٢. إنجيل متى: ١٩ : ١٤

٢٣. رسالة إلى أهل كولوسي: ٣ : ١٩.

٢٤. انظر: ماري فاضل: مسؤوليات الكنيسة نحو الأسرة، مقال منشور ضمن كتاب بعنوان: الأسرة والكفل المسيحي في المجتمع المعاصر، ص٣٠.

٢٥. متى: ٢٢/ ٣٠.

٢٦. ١ كو٧/ ٣٢-٣٣.

٢٧. انظر: رشيد كهوس: المسؤولية الأسرية في الرؤية الإسلامية، ص٦١١.

٢٨. انظر: زينب طه العلواني: الأسرة في مقاصد الشريعة، ص١٦٠.

٢٩. انظر: المرجع نفسه، ص١٦٠.

٣٠. محمد الظاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تح : محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج٣، ص٤٢١.

٣١. انظر: رائد جميل عكاشة ومنذر عرفات زيتون: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، ص١٣- ١٤

٣٢. انظر: رائد جميل عكاشة ومنذر عرفات زيتون: الأسرة المسلمة، ص١٣- ١٤.

٣٣. سفر الخروج ٢٠: ١٢-١٧.

٣٤. موسى بن ميمون: هو أبو عمران موسى بن ميمون عبد الله، ولد بقرطبة سنة ١١٣٥هـ، وقد كان عالما في الشريعة، توفي سنة ١٢٠٤هـ . انظر ترجمته في: إسرائيل ولفنسون: موسى ابن ميمون حياته، ط:١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦، ص٢١.

٣٥. موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة حسن أتاي، مكتبة الثقافة الدينية العتبة، ج١، ص٦٩٣ .

٣٦. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط١، دار ابن حزم، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٤٧.

٣٧. Daniel Dagenais ; la fin de la famille ;(la signification de transformations contemporaine famille) ;presse universitaire de rennes ;٢٠٠٠)/

٣٨. عباس محمود العقاد: القرآن والإنسان، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١م، ج٤، ص٤٦٢.

٣٩. أخرجه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٩.

٤٠. انظر: شفاء الفقيه: مسارات هدم الأسرة، الجزائر، جمعية العلماء المسلمين، الجزائر، العددالرابع، ٢٠٢٢م.

٤١. سفر التكوين ١: ٢٨.

٤٢. انظر: عماد الدين علي عبد السميع: الإسلام واليهودية من خلال سفر اللاويين تقريظ عبد الخالق ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٦.

٤٣. رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٥.

٤٤. بطرس سعادة: العائلة في الشيوعية والمسيحية، ط١، المطبعة البولسية، لبنان، ١٩٧١م، ص٥٤.

٤٥. انظر: فتحي ملكاوي : الأسرة منبع القيم، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٥٥، ص٦٠.

الثوابت والمتغيرات في قضايا الناشزين والناشزات عند اليهود والمسلمين:

دراسة أصولية فقهية مقارنة

د. الحسين محمد علي خليل *

الملخص:

تهتم الدراسة بتعريف الثوابت والمتغيرات في الديانتين عامةً، وقضايا النشوز خاصة، وارتأت ضرورة استعمال مصطلحات ناشزة، وناشز، وجموعهما: ناشزون، وناشزين، وناشزات؛ للتفريق بين نشوز الزوجين، والاستغناء المؤقت عن الدلالة عليهما أو على جموعهما بمصطلح واحد (ناشز)، أو (نواشز) ؛ حتى يعلم العوام بحصول النشوز من الأزواج كعلمهم بحصوله من الزوجات. وقد اختلفت طريقة معالجة نشوز الزوجين في الشريعتين، فلما اختارت اليهودية العقاب المادي لهما، كان عقابهما في الإسلام معنويًا في الأصل. فلم يبدأ الحكم فيه بالعقاب المادي- بضرب الناشزات، وإسقاط النفقة والسكنى عنهن، وتغريم الناشزين بنفقات المأكل والمشرب فضلا عن المؤخر والمتعة بعد الطلاق— إلا بعد فشل صور العقاب المعنوي؛ المتمثلة في صور وعظ الناشزات وهجرهن، وزجر الناشزين وتعزيرهن[١].

(*) مدرس علوم اللغات والآداب والأديان المقارنة.

تمهيد:

ثوابت النص ومتغيرات العصر في شريعة اليهود والمسلمين

تتفق الديانتان على وجود عدد من الثوابت؛ لا يمكن استبدالها، أو إنكار ثبوتها ؛ مهما اختلف الزمان، وتغير المكان. وعلى الرغم من كونها ثوابت لا تتبدل ؛ إلا أن مفهومها داخل كل دين، متغير مختلف[٢]. والثابت في الديانتين، ما جاء به نص، بينما المتغير هو فهم الإنسان لهذا النص . وليس مراد الثوابت في الإسلام ما جاء به الكلام الإلهي في القرآن فحسب ؛ بل كل أقوال النبي- محمد صلى الله عليه وسلم — وأفعاله، وقضائه، وتقاريره الصحيحة ؛ بمثابة النص، واجب العمل بمقتضاها في الشرع المحمدي[٣]. أما في اليهودية فقد اشتملت ثوابتها على كلام مفسيرها لنصوص الشرع الموسوي —سواء أكان في المقرا أو المشنا— في التلمود ؛ بحجة أن هذه التفاسير[٤] لا تنسب في اعتقادهم إلى هؤلاء المفسرين (الأحبار) [٥] وإنما تنسب للنبي –موسى عليه السلام — عن الكلام الإلهي أيضًا[٦].

وهنا جدير بنا أن نسأل: إذا كان تفسير النبي للنص في الديانتين يُعَد نصًا في حد ذاته ؛ لكونه لا يَصْدُر عن اجتهاد بشري؛ وإنما عن وحي إلاهي ثابت، فأين المتغيرات في هاتين الديانتين؟ وليس الإشكال في الإجابة عن هذا السؤال؛ لكنه في تحديد النص الثابت مِن المتغير في شريعة الديانتين ؛ فهل تُعَد كل نصوص الوحي مِن الثوابت ؛ التي لا تقبل الاجتهاد في تفسيرها أو اختلاف الأفهام في تأويلها؟ وهل تحدث النص عن كل متغيرات العصر؟ أم أن هناك متغيرات لا نجد لها في الشريعة نصًا؟ وكيف يمكن الإيمان بصلاحية تطبيق نصوص أحكام الشريعة على المتغيرات العصرية في الديانتين على الرغم من خلو نصوصها من الحديث عنها؟

وحاصل هذه المسائل كلها ؛ ما أجمع عليه غالب فقهاء الديانتين، وهو اشتمال نصوص الشريعة – القرآن والسنة في الإسلام، والتناخ والتلمود في اليهودية– على كل من الثوابت والمتغيرات معًا ؛ سواء أكانت ثوابت نصية صريحة محكمة ذات أحاكم قاطعة لا يمكن تغييرها، ولا تأويلها، ونصوص متشابهة غير محكمة ؛ يتم الاجتهاد في فهم نصوصها، ويتغير حكمها بحسب النوازل، والمتغيرات العصرية . لذلك

كانت ولا تزال الشريعة في الديانتين، صالحة للتطبيق على جميع المتغيرات العصرية في كل زمان ومكان . وكيف يصح الادعاء بعدم صلاحيتها للحكم في شأن المتغيرات، وبها نصوص متشابهة — سماها فقهاء المسلمين (ظنية الدلالة)، وعند اليهود (تفاسير أحبار اليهود للنص التناخي المكتوب بالتلمود) — يمكن القياس عليها؛ لاستنباط الأحكام في شأنها. وحتى وإن خلت نصوصها من حكم صريح أو نص متشابهة في شأنها ؛ لا يمكن أيضًا الزعم بعدم صلاحية الشريعة . لأن ما يحكم به فقهاء الديانتين بعد اجتهادهم في النظر بشأنها، لا يتعارض مع نصوصها وأحكامها ؛ بل ويستدلون على صحة حكمهم بالاستناد إلى ثوابتها . فجمعت الشريعة كل من المتغير والثابت، وصلح الحكم بها في كل زمان ومكان، وصارت أحكامها أبدية عصرية لا تختص بزمن بعينه [٧].

المبحث الأول

أولًا: الثوابت النصية الواردة عن الناشزين والناشزات في الشريعتين

نصت المشنا (ثاني مصادر الشريعة عند اليهود) بجزء النساء، بكتاب عقود الزواج، بخامس فصوله :(أن الموريدت عل بعليها (الناشزة) ينقص من مؤخرها كل أسبوع سبعة دنانير . فقال الحبر يهودا : ثلاثة دنانير ونصف ؛ فقيل له : وإلى أي حد ينقصون من مؤخرها؟ فأفتى: حتى تفقده بأكمله . فرد عليه الحبر يوساي: بل يمكنه أن ينقص من مالها إلى الأبد ؛ فلربما ورثت تركة من أحد أقاربها، فحق لزوجها جبايته منها، وكذا الموريد عل إيشتو(الناشز) يزاد على مؤخر الصداق – الملزم بدفعه كغرامة إن طلق زوجته –كل أسبوع ثلاثة دنانير . فقال الحبر يهودا : دينار ونصف).

أما نصوص النشوز في شريعة المسلمين؛ فقد جاءت في جميع مصادرها ؛ بداية من (القرآن الكريم) بسورة النساء، وبدأ بالزوجة لشيوع ذلك في جنسها ؛ فقال سبحانه:﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا

كَبِيرًا وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء:٣٤) وقد أبان سبحانه تعريف الناشزة من النساء بأضدادهن من الصالحات القانتات الحافظات للغيب ؛ ثم ذكر حكمهن في الشريعة، ولم يتعرض لحكم الناشز من الرجال إلا بعد أربع وتسعين آية ؛ فقال: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ (النساء:١٢٨). ومما جاء في مصدرها الثاني ما أخرجه البخاري عن عكرمة «أنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَتَزَوَّجَهَا عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ الزَّبِيرِ القُرَظِيُّ، قالَتْ عَائِشَةُ: وعَلَيْهَا خِمَارٌ أخْضَرُ، فَشَكَتْ إلَيْهَا وأَرَتْهَا خُضْرَةً بِجِلْدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ –والنِّسَاءُ يَنْصُرُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا– قالَتْ عَائِشَةُ: ما رَأَيْتُ مِثْلَ ما يَلْقَى المُؤْمِنَاتُ! لَجِلْدُهَا أشَدُّ خُضْرَةً مِن ثَوْبِهَا. قالَ: وسَمِعَ أنَّهَا قدْ أتَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ ومعهُ ابْنَانِ له مِن غيرِهَا، قالَتْ: واللَّهِ ما لي إلَيْهِ مِن ذَنْبٍ، إلَّا أنَّ ما معهُ ليسَ بأَغْنَى عَنِّي مِن هذِه، وأَخَذَتْ هُدْبَةً مِن ثَوْبِهَا، فَقالَ: كَذَبَتْ واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي لَأَنْفُضُهَا نَفْضَ الأدِيمِ، ولَكِنَّهَا(نَاشِزٌ)، تُرِيدُ رِفَاعَةَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: فإنْ كانَ ذَلِكِ لَمْ تَحِلِّي له –أوْ: لَمْ تَصْلُحِي له– حتَّى يَذُوقَ مِن عُسَيْلَتِكِ... «. و(النفض) كناية عن كمال قوة الجماع، وقول ابن الزبير: (والله إني لأنفضها نفض الأديم) كناية من الفصاحة العجيبة، وهي أبلغ في المعنى من الحقيقة [٨]. ونعته لها (ناشز) دون تاء كحائض وطامث؛ يخالف ضرورة لغوية عصرية نبهنا إليها في صدر هذه الدراسة، وهي ضرورة إثبات تاء ناشز للدلالة على نشوز الزوجة؛ وعللنا ذلك بشيوع جهل العوام بنشوز الأزواج، على الرغم من انتشاره في بيوت المسلمين ...

ثانيًا : الناشزة والناشز في تراث الديانتين

يقول الموسوعي إليعيزر بن يهودا:»موريد(الناشز)؛ المتمرد على زوجته فلا يعمل على إرضائها .. وموريديت (الناشزة) المتمردة على زوجها، فلا تعمل على إرضائه؛ الممتنعة عن أداء حق زوجها في الاستمتاع بها. وتسألها المحكمة عن سبب نشوزها؛ كقول الحبر موسى بن ميمون في أحكام الوطأ (تثنية الشريعة١٤: ٨) ويسرحها زوجها بعد عام كامل من ثبوت نشوزها، دون تسليمها مؤخر صداقها؛ وهو حكم شراح المشنا في الناشزة.وزعم المجددون من أرباب فتاوىٰ النوازل أن

للناشزة في يهود العراق أحكاما أخرى تستند على العرف.ورحم الله شاعر اليهود مخاطبا كل زوجة : واحرصي أن تكوني ذات روح صافية...لكيلا يحكم عليك كالناشزة»[٩].

وللناشـــزة في الفقـــه اليهودي ثلاثة تعريفـــات؛ أوَّلها :(الممتنعة عن أداء الواجبات والحقوق التي فرضتها الشريعة عليها بعد زواجها)[١٠](خاصة امتناعها عن أداء حق زوجها في الاستمتاع بها). والثاني: (الممتنعة عن أداء مهام بيتها الأساسية) والثالث : (الممتنعة عن أداء حق زوجها في الاستمتاع بها في الفراش) أو (التي يدعوها زوجها إلى الفراش فتأبى) . وكذلك الناشز من الأزواج ؛ وهو (الممتنع عن أداء واجباته وحقوق زوجته عليه)؛ يسمى موريد (ناشزا)[١١]. والموريدت(الناشزة) في المعجم التلمودي للحبر عادين شتاينزلتس:(الممتنعة عن أداء واجب واحد من واجباتها الملقاة على عاتقها بحكم زواجها، وخاصة واجب الجماع) وهناك عقوبة من الغرامات على هذه الناشزة، منها تخفيض قيمة المؤخر، وتطليقها، كما تطبق غرامات على الموريد(الناشز) من الأزواج (لامتناعه عن أداء واجباته تجاه زوجته)[١٢] .

أما نشـــوز الـــزوجين في العربية : فهو مأخوذ مِن نشزت المرأةُ تَنْشُز نُشوزاً إذا: اسْتَعْصت على بَعْلِها، وأَبْغَضَتْه، ونَشَزَ عليها بَعْلُها :إذا ضَرَبَها وجَفاها، ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِنِ امْرأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً﴾ (النساء: ١٢٨) والنشوز يكون من الزوجين ؛ وهو كراهة كل واحد منهما لصاحبه[١٣]. **وللناشـــزة في اصـــطلاح فقهاء المســـلمين** أربع تعريفات؛ أوَّلها عند الحنفية:(المانعة نفسها من زوجها بغير حق) (خارجةً من منزله) بأن خرجت بغير إذنه، وغابت أو سافرت...وهي (العاصية على زوجها) (المبغضة له) وعند المالكية:(الخارجة من محل طاعة زوجها بغير إذنه) وعند الشافعية:(الخارجة عن طاعة زوجها)، وعند الحنابلة:(العاصية لزوجها فيما فرض الله عليها من طاعته)[١٤]. وللناشزين والناشزات في الفقهين اليهودي والإسلامي صور شتى، وأحكام مختلفة؛ منها :

المبحث الثاني : ثوابت النص ومتغيرات العصر في الحكم على الناشزين والناشزات في شريعتي اليهود والمسلمين

أولًا : أحكام الناشزات في شريعتي اليهود والمسلمين

حكم الكارهة لزوجها في شرع اليهود:

يقول الحبر موسى بن ميمون: «والزوجة التي تمتنع عن جماع زوجها تسمى ناشزة ؛ ويسألونها إن كان امتناعها بسبب تمردها عليه؛ فإن أجابت بأنها (تكرهه، ولا تطيق عشرته) أكرهوه على طلاقها في حينها؛ فهي ليست كالسّبية يمكنها جماع من خالفها ؛ فتُخلع منه ويسقط مؤخر صداقها عنه»[١٥]. **هل يجب على المحكمة إكراه الزوج على طلاق الناشزة الكارهة له ؟** أفتى موسى بن ميمون بإباحة طلاق المكره عن طريق ضرب الزوج اليهودي على يد غير اليهود من العاملين بالمحكمة، حتى يقول بلسانه (أنا أريد)- طلاقها- وهو قوله في سياق حديثه عن حكم الشريعة في الناشزة الكارهة لزوجها: (ومن قضت المحكمة بإكراهه على طلاق زوجته، ولم يرغب طلاقها، أحضروه أمام المحكمة، وحبسوه حتى يقول (أنا أريد)-طلاقها ويكتب ورقة طلاقها؛ فيكون الطلاق صحيحًا، وكذا لو ضربه غير اليهود، قائلين له: افعل ما يمليه عليك الإسرائيليين؛ فأكرهه اليهودي بيد غير اليهود حتى طلقها؛ فهذا أيضًا طلاقًا صحيحًا)[١٦] . وعلل حكمه بسؤال تعجبي أتبعه ببيان صحة فتواه؛ فقال: «ولم لا يكن هذا الطلاق باطلًا ؟! لكون الزوج أُكره عليه بيد اليهود وغيرهم معًا؛ فلا إكراه في شريعتنا إلا لمن أكره على فعل أمر لم تأمر الشريعة بفرضه، كمن أكره حتى باع، أو اشترى. أما من غلبته شهوته لتعطيل فرض أو لاقتراف جرم؛ وضُرِب حتى أدى الفريضة، أو ابتعد عما حرمته الشريعة؛ فهذا ليس بمكره، وإنما يرى نفسه مكرهًا؛ لفساد اعتقاده. لذلك من لم يرغب طلاق زوجته التي تبغضه، واستمسك بكونه واحدًا من بني إسرائيل، وأراد تأدية جميع فرائض شريعتهم، واجتناب جميع منهياتهم؛ لكنه لا يقدر على ضبط شهوته، وهواه؛ فلا مناص من إكراهه حتى تنكسر شهوته، ويستقيم هواه ؛ ويقول (أنا أريد) — طلاقها- فيكون طلقها بإرادته، لا رغمًا عنه»[١٧]

تعديل الحكم بتطليق الناشزة الكارهة لزوجها؛ بدلا من إكراه زوجها على طلاقها في شرع اليهود :

ومن ذلك ما ذهب إليه كثير من فقهاء اليهود، ورجال القضاء بترك الحكم بتشريع موسى بن ميمون سالف الذكر، على أن تقوم المحكمة بالتطليق بدلا من إكراه الزوج . يقول الحبر مسعود: (من منعت نفسها عن زوجها (لكراهتها له) فهي الموريدت (الناشزة) فليس لها عنده أي حق غير جهازها التي دخلت به، كما لا حق لها فيما اشتراه لها من ماله أو أهداه إليها. ولو أراد طلاقها، لكنها أبت استلام وثيقة طلاقها، وفضلت العيش معه مع بغضها إياه ؛ طلقتها المحكمة غيابيًا، وأعفت الزوج من كافة حقوقها؛ بشرطين، الأول : أن ينذرها بسقوط حقوقها مع إمكانية طلاقها غيابيًا . والثاني أن يمهلها عامًا كاملًا على نشوزها. بخلاف ما لو أرادت إنهاء نشوزها بتصالحها معه ؛ بعد إنذارها، وقبل انتهاء العام، والزوج يرغب طلاقها؟ فالشرع يقضي بطلاقها غيابيًا أيضًا؛ لكنه يلزمه بمؤخر صداقها، وتسليم جهازها (قائمة المنقولات). ولو مات أحدهما بعد انتهاء العام، وكانا على نفس حالتهما؛ هي على نشوزها، وهو يريد طلاقها؟ فهل لأحدهما نصيب في تركة الآخر؟ فإن مضى العام، ولم يحصل الصلح، وتوفت الناشزة ؛ فلا يؤثر هذا على ميراث زوجها . بخلاف ما لو توفى زوجها، وكان قد مضى شهر واحد بعد الإثنى عشر شهرًا (مهلة الصلح) ؛ فحقوق الناشزة ساقطة شرعًا، كما لا يجوز للرجل التزوج على زوجته الكارهة له قبل طلاقها شرعا [١٨].

حكم الكارهة لزوجها في شريعتنا الغراء: بحيث لا تقدر على القيام بحقّه ؛ لها طلب الطلاق منه، أو مخالعته . يقول ابن قدامة : «إن المرأة إذا كرهت زوجها، لخُلقه، أو خَلقه... وخشيت أن لا تؤدي حق الله تعالى في طاعته، جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه ؛ لقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾(البقرة:٢٢٩) ولزوجها طلاقها، أو الصبر على نشوزها[١٩] والأولىٰ تأديبها إن أساءت عشرته، ونشزت عليه ؛ إعمالًا للنص (النساء:٣٤). ويكون على مراحل مرتبة بألا تسبق مرحلة الأخرى، المرحلة الأولىٰ: الوعظ، والتذكير بعقاب الله

تعالى، والترغيب في ثوابه، فإن لم يفد، انتقل إلى المرحلة التالية؛ وهي الهجر في المضطجع، واختلف في كيفيته ؛ فمنهم من قال على مراحل تدريجية بأن يوليها ظهره بنفس المضطجع فإن لم يفد هجر فراشها فإن لم يفد هجر غرفتها، فإن لم يفد هجر البيت، فإن لم يفد ضربها ضربًا غير مبرح، لا يكسر عظمًا، ولا يشين جارحة، واختلف الفقهاء في معنى الضرب الوارد في الآية (النساء:٣٤) . فمن الفقهاء من أوّلَه على غير ظاهره على أنه (هجر مسكن الزوجية) وهو مرحلة ثالثة بعد هجر الفراش، ومنهم من أفتى بإباحة تأديب الناشزة بطردها خارج المسكن ؛ وعلل ذلك بكون النشوز (الفاحشة المبينة) الوارد ذكرها في قوله تعالى:﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (الطلاق:١) وعليه قالوا لا سكنى للناشزة[٢٠] . واتفق فقهاء الشريعتين على إسقاط نفقة الناشزة من على زوجها ؛ فليس لها عليه حق إطعامها، ولا كسوتها طوال فترة نشوزها .[٢١]

حكم الناشزة (سيئة الخلق) ؛ التي تَسُب زوجها في شرع اليهود:

يقول الحبر مسعود «إن تكرر من الزوجة شتم زوجها؛ وُبِخَت، ثم أُنذرت ؛ فإن عادت سقطت جميع حقوقها»[٢٢] ونص كتاب الأحكام العبرية بإباحة طلاق الزوج لزوجته إن كان بها عيبًا واحدًا من سوء الخلق؛ وأخذ يعددها على هذا النحو: الوقاحة، والثرثرة والوساخة، والإسراف، والشكاسة، والعناد، والنهمة، والبطنة، والتأنق في المطاعم، وحب الفخفخة، والبهرجة . **أما في شريعتنا** فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة يدعون الله، فلا يستجاب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها). وجاء عن الغزالي في الإحياء عن بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة (كثيرة الأنين والشكوى) ولا منانة (التي تمن على زوجها) ولا حنانة (تحن إلى زوج آخر) ولا حداقة (ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه) ولا براقة (تكثر من تصقيل وجهها فيكون لها بريق) ولا شداقة (كثيرة الكلام) وقال صلى الله عليه وسلم:إن الله يبغض الثرثارين[٢٣] وأجاز بعض الفقهاء عضل الناشزة

سيئة الخلق البذاء (السليطة اللسان) حتى تتنازل عن بعض حقوقها في سبيل طلاقها منه. واستندوا إلى تعريف البذاء بالفاحشة المبينة؛ المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (النساء:١٩) [٢٤].

موقف الشريعتين من ضرب الزوج لزوجته الناشزة:

خلى المصدر الأول للتشريع عند اليهود من وجود (نص صريح) يبيح للزوج تأديب زوجته إن منعته حقه ؛ بأن صارت ناشزة . وعلى الرغم من هذا أباح أحبار التلمود ضرب الناشزة ولا يمكنهم الإباحة إلا بنص صريح أو مجازي متشابهة، فلم يجدوا في التناخ سندًا يخول لهم صحة الفتوى بإباحة ضربها أفضل من النص الوارد في سياق العقاب الإلهي لحواء –عليها السلام– في قصة الخلق ؛ نظرا لخطيئتها بعد أكلها من الشجرة وهو (تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَداً) (تكوين ٣ :١٦) حيث كان ضرب الأزواج (الناشزون) لزوجاتهم الغير (ناشزات) ؛ ظاهرة متفشيّة في اليهود في عصر التلمود، فاجتهدوا في تقنينها، والحد منها مع عدم تحريمها ؛ حيث لم تحرمها الشريعة في مصدرها الأول بنص صريح، ولا متشابه ؛ فقيدوا إباحتها، ومن ذلك تسميتهم لها بمصطلحات مثل : (الضرب غير مقبول)، و(الضرب لأسباب غير منطقية)، وشبهوا عملية ضرب الزوج (الناشز) لزوجته غير (الناشزة) تشبيها مجازيًا فمثله كمثل (ضرب الرب لشعبه المختار) [٢٥]. ونقل عن الحبر موسى بن ميمون – والمسمى في العصر الحديث بعدو المرأة، وكاره النساء– قوله: (لا تعدّ المرأة متمردة (ناشزة) إلا إذا قصّرت في حقوق زوجها الشرعية، كأن أهملت في واجباتها؛ فهي بذلك تعدّ متمردة أو(ناشزة)، **وتجبر على أداء واجباتها، ولو بالسوط)** [٢٦]. **واستعمال الضرب بالسوط كأداه لتأديب الناشزة** ثابت عند بعض الشافعية والحنابلة الذين قصروا عدد الجلدات على عشر؛ وعلة حكمهم أن الناشزة قد اقترفت كبيرة من الكبائر يجب فيها التعذير على يد زوجها، استنادا على فهمهم لنص الحديث : (لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله) قياسًا على جواز معاملتها معاملة مرتكب الكبيرة . وقد أعطت شريعتنا الغراء الحق للزوج في ضرب زوجته إن نشزت، وجعلته ثالث أنواع التأديب حيث نص المصدر

الأول للتشريع على ذلك (النساء:٣٤). قال القرطبي :» واعلم أن الله عزوجل لم يأمر في شيء من كتابه بالضرب صراحًا إلا هنا، وفي الحدود العظام ؛ فساوى معصيتهن بأزواجهن بمعصية الكبائر، وولى الأزواج ذلك دون الأئمة، وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات؛ ائتمانا من الله تعالى للأزواج على النساء»[٢٧].

ثانيًا : أحكام الناشزين في شريعتي اليهود والمسلمين

موقف الزوجة تجاه زوجها الناشز (البخيل) عند فقهاء الشريعتين

يقول موسى بن ميمون : «يجب على الرجل الإنفاق على زوجته، وإعالة أبنائه، وبناته الصغار حتى يبلغوا السادسة ثم يطعمهم حتى يبلغوا ؛كما أفتى بذلك أحبار المشنا. وكانوا إذا امتنع الرجل عن إعالة أبنائه وإطعامهم ؛ وبّخوه، وسخروا منه ؛ فإن لم يستجب، فضحوه، وأذاعوا عنه: هذا الرجل غليظ القلب؛ لا يريد الإنفاق على أولاده ؛ فالطيور التي تسعى للإنفاق على صغارها لأفضل منه، ولا يكرهونه على الإنفاق عليهم إن تجاوزوا السادسة [٢٨]

ويقول الحبر مسعود: «إذا تكدرت المعيشة لسوء أخلاق الزوجة أو لتشدده في الإنفاق عليها ؛ جاز لزوجته طلب الطلاق. وماذا لو كرهته زوجته بسبب سوء خلقه، وإسرافه على نفسه، وتعمده إيذاءها ؛ كأن كان سكيرًا، أو مقامرًا، أو ساقط الأخلاق، أو مهددًا لها في نفسها أو في مالها؟ لا تعد في الشريعة ناشزة ؛ لكون كرهها له بسبب شرعي»[٢٩]. **ولم يترك فقهاء الإسلام الزوج البخيل دون مساءلة** ؛ فذهب الجمهور إلى إباحة طلب زوجته الطلاق بنفسها من القاضي رغمًا عنه إن لم ينفق عليها [٣٠]. وقد فرضت الشريعة الإسلامية على الزوج الإنفاق على زوجته ؛ ولو كانت غنية. وقدرت مقدار النفقة بحسب حالة الزوج من السعة أو الضيق؛ وهو قوله تعالى:﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾. (الطلاق:٧). والامتناع عن النفقة الواجبة مع القدرة عليها محرم، وعده بعض العلماء من كبائر الذنوب، لقوله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته)[٣١]. ويرى صاحب فقه السنة أن النفقة على الزوجة من الثوابت

التي قررتها الشريعة ؛ فهي حق ثابت للزوجة مادامت من الصالحات القانتات الحافظات للغيب؛ ولا يسقطها إلا النشوز . وأما قدرها فهو من المتغيرات المختلف في تقديره ؛ بحسب –العرف– المتعارف عليه بين كل جهة باعتبار ماهو الغالب على أهلها، وهذا يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأحوال، والأشخاص[٣٢]. **واتفق أكثر فقهاء الديانتين** على عدم القول بنشوز الزوج إن امتنع عن النفقة ؛ بسبب إعساره، أو بسبب عجزه عن الكسب، أو بسبب خروج زوجته للتكسب، ولم يمنعوا حقها في طلب الطلاق منه، إن طالت مدة حرمانها من نفقته . يقول الحبر مسعود بن شمعون «إذا عجز الرجل عن إيفاء ما لزوجته من الحقوق في عقدها وكان الطلاق واجبًا أو جائزًا شرعا فللسلطة الشرعية أن تقضي بالطلاق، وليس لها إلا ما هو في حيازتها مما دخلت عليه به، وإنظار الرجل إلى ميسرة «[٣٣] . واختلف فقهاء المسلمين في القول بنشوزه ؛ إن كان امتناعه عن الإنفاق عليها بسبب خروجها للعمل– وهو **الخلاف في القول بنشوزه، وإسقاط النفقة عنه ؛ فيما يخص (الزوجة العاملة أو المحترفة)** – فقالوا بنشوزه إن استأذنته في الخروج، ومنهم من قال بعدم نشوزه لإسقاطها حقه في احتباسها بخروجها، وقيل لها مصالحته على الخروج على عملها مقابل إسقاط نفقتها عملا بالنص﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ (النساء:١٢٨) ؛ ولا يحل لها إسقاط قوامته، أو عدم طاعته ؛ فتعصي أمره، لمشاركتها له في النفقة . وإن قيل : إن إنفاقها عليه يسلبه القوامة؟ قلنا : هو لم يمتنع عن النفقة بالكلية، بل تشاركه الإنفاق ؛ بسبب تفويتها حقه في احتباسها ؛ فسبب القوامة ليس راجع لإنفاقه، وإنما لتفضيله وولايته عليها ؛ وهو قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(النساء:٣٤) . **وتكره الشريعة اليهودية خروج المرأة من بيتها لغير ضرورة أو حاجة– كما تكرهها الشريعة الإسلامية ﴿ وَ قَرْ نَ في بُيُو تِكُنَّ ﴾ (الأحزاب:٣٣)**– وإن صرحت بإلزامها بالخدمة والعمل، ولو امتلكت أكثر من جارية ؛ فإن ذلك يكون داخل بيت الزوجية، وكراهة خروجها من بيتها لدى أحبار التلمود مستنبط في الأصل من مفسري التوراة لفقرة (وتخرج دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض) (تكوين ٣٤: ١) (فربطوا بين خروجها وبين غوايتها حتى

زنا بها شكيم بن حامور) ؛ فكان عاقبة خروجها خسرا [٣٤]. وعليه أفتى الحبر موسى بن ميمون بخروج الزوجة مرة واحدة كل شهر، أما باقي أيام الشهر فأفضل لها القرار في بيتها. وقد قرر أحبار الشريعة اليهودية حق الزوج فيما تكسبه زوجته من كدها، واختلفوا أيهما الأصل؟ إنفاق الزوج على زوجته، وإذا عملت يحصل على ما تكسبه من عمل يدها، أم إلزام الزوجة بالعمل وحق زوجها في الحصول على ما تكسبه مقابل الإنفاق عليها، وخلصوا إلى تحديد نوعين من الأعمال تقوم بهما الزوجة داخل بيتها، وكلهما لخدمة زوجها ؛ وهما أعمال المنزل، وغزل الصوف(عقود النكاح٥ :٥) [٣٥] .

موقف الزوجة من نشوز زوجها (الممتنع عن الجماع)

نصت شريعة التلمود على حرمة انقطاع الزوج عن جماع زوجته، إذ يلزمه المحافظة على جماعها دون انقطاع، وفق اتفاق متبادل بينهما، وربطته بأوقات فراغ الرجال من أعمالهم، وفي أيام عطلاتهم، وأثناء تواجدهم غالب الوقت في بيوتهم ؛ كما نصت على أن الجماع حق للزوجة على زوجها، عليه القيام به، وفق طريقة معينة، وأوقات زمنية محددة، وينص عليه في عقد النكاح . وقد أوجب التلموديون جماع اليهودي لزوجته كل سبت تبركا بلقاحه ؛ لأنه يعتبرونه يوم تمتع تشبثا بما جاء في أشعيا بالفصل الثامن والأربعين، أما القراؤون فاستحرموه لأنهم يعتبرونه يوم مقدس للرب، وأن التمتع فيع عقلي معنوي، لا مادي جسدي، وأن المباشرة تنافي ما أمر به من الراحة، فلا شك أنها منهكة ومضعفة، والمجمع عليه عند التلموديين أن الجماع واجب على العلماء كل سبت فحسب، أما باقي اليهود فهو محدد باختلاف مهنهم[٣٦] . وكما نص المصدر الأول للشرع اليهودي على تكليف الزوج بجماع **زوجته** (الخروج،٢١: ١٠) كذلك عند المسلمين ؛ فقال سبحانه: ﴿فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ (البقرة: ٢٢٢) وقد اتفقت الشريعتين على نشوز من منع نفسه عن جماع زوجته دون عذر، أو أكرهها على الجماع في حيض أو نفاس(اللاويون ١٥: ٢٤، ٢: ١٨) .

المبحث الثالث : فتاوى النشوز في الديانتين

أورد محرر مادة موريديت (الناشزة) بأوتسار يسرائيل(كنز إسرائيل) تحت

عنوان (الحجة الصادقة للناشزة) حالات كثيرة لا تنشز فيها الزوجة إن منعت نفسها عن زوجها، أو خرجت من بيته دون إذنه ؛ نذكر منها : الزوجة التي تمتنع عن زوجها ؛ الذي يريد إتيانها في الدبر ؛ فهذه حجة قوية للامتناع عنه، وليست بناشزة . وكذا الزوجة التي تخرج من بيت زوجها ؛ بسبب شجارها معه، ولا تريد العودة إلى بيتها حتى يأتي إليها زوجها ؛ لكونها تخجل من الرجوع إليه دون دعوته ؛ فليست هذه بناشزة أيضًا . وكذا الزوجة التي هربت من بيت زوجها بسبب ضربها لمرات عديدة، حتى وصل الأمر إلى أن ركض خلفها بالسكين ؛ حتى أمسكها، وكاد أن يجهز عليها؛ وبسبب خوفها منه قالت: لن أعود إلى بيته ؛ فهذه ليست بناشزة. وكذا الزوجة التي هربت من بيت زوجها بسبب ملاحقات أصحاب الدين لزوجها المديون، وعلمت أنهم يريدون التنكيل به مالم يقض ما عليه ؛ فخافت على نفسها أن يأخذوها إلى السجن بدلا منه، لذلك كان قولها : لن أعود إلى بيته ؛ فهذه ليست بالناشزة [٣٧] .كذلك أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية في أحد عشر مسألة تبين لنا صورا شتى لنشوز عدد من الناشزات ؛ جاءت عنده تحت باب النشوز، وبيانها مايلي:

سؤال زوج عن حكم زوجة تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تلبي دعوته للفراش ؟ وآخر يسأل هل يجب عليه طلاق زوجته ؛ التي لا تصلي ؟ وثالث يريد معرفة الحكم في امتناعه عن الإنفاق على زوجته التي لا تصلي ؟ ورابع يسأل عن حكم النفقه على زوجته التي تمنعه نفسها ؟ وخامس يريد معرفة ما يجب عليه فعله إن منعته نفسها إذا طلبها ؟ وسادس ينعت زوجته بالناشزة ؛ لسفرها مع أبيها دون إذنه، ولا يعرف ماذا عليه فعله؟ وسابع يسأل عن موقف رجل تزوج بزوجة أحسنت عشرته إحدى عشرة سنة، وبعد هذا الزمان تريد فراقه، وتناشزه ؟ وثامن يسأل هل يجب عليه نفقه من طعام وكساء لزوجة لا تطيع أمره ؟ وتاسع يسأل عن حكم زوجة قرب ولادتها، وأرادت البقاء عند أقاربها حتى تلد، ثم تبقى عندهم عدة أيام بعد ولادتها دون إذن زوجها ؟ وعاشر يسأله عن موقفه تجاه زوجته التي أغضبته ونشزت عند أبيها مدة ثمانية شهرًا ؟ والأخير أقسم على هجر زوجته التي لا تصلي ؛ فهل له عليه نفقة ؟[٣٨]

الخاتمة:

وقد خلصت الدراسة إلى اتفاق الديانتين على نص شريعتهما على قضايا النشوز بنصوص ثابتة وأخرى متغيرة ؛ تتغير أحكامها وفق العصر، واجتهاد الفقيه وفهمه لهذا النص . ومن الثوابت في الشريعتين القول بنشوز الزوج عند امتناعه عن النفقة والجماع، ونشوز الزوجة عند امتناعها عن طاعة زوجها، واختلفوا في مقدار النفقة، وهل يجوز مشاركة الزوجة له في النفقة، وكم عدد مرات الجماع، وهيئة الطاعة التي يجب أن تكون عليها الزوجة فيما يخص الجماع، والخروج من السكن إلى غير ذلك من النصوص التي لم تثبت بإجماع أو نص صريح واضح غير محكم أو متشابه في الشريعتين .

ثبت المصادر والمراجع:

١- أبراهام جروسمان: هإيشا بهاجووت شل هرمبام، معاليه أدوميم،مبريخت موشيه،٢٠١٢ ٢ - أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م .

٣ - أبو عبدالله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، المجلد الثالث، دار الفكر، ط١، ٢٠١٩ م .

٤ - أبو عبد الله محمد الخرشي : شرح الخرشي على مختصر خليل، المطبعة العامرة الشرقية،مصر١٣١٧ هـ، ط١.

٥ -أبو محمد عبد ابن قدامة : المغني، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي، ج١٠، دار عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م
٦ .
- أحمد ابن تيمية :مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،اعتنى بها وخرج احاديثها : عامر الجزار، وأنور الباز،١٩
٧ ٩م
٧ - السيد سابق : فقه السنة، دار الفتح العربي، ج٢،٢٠١٠م.

٨ - إليعيزر بن يهودا : ميلون هعبريت هيشنا فهحداشا، ماقور باعم، يروشاليم، ١٩٨٠م .
٩ - إيهود إزراحي:عيسر قلالوت نتقللها حفا، ديموي،ع٤،١٩٩٩م .
١٠ - تآريا ليب أفشتاين: ولدوت هكيتوفا بيسرائيل ؛ترجوم مآنجليت موشيه ميزلش، ١٩٥٤م.

١١ - حاييم الزعفراني : ألف عام من حياة اليهود في المغرب؛ نقله إلى العربية: أحمد شحلان :(يهود الأندلس والمغرب، مرسم الرباط، مطبعة النجاح الجديدة،

٢٠٠٠م).١٢ – حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم ؛ دار العلوم والثقافة،.١٩٨٧

١٣ –رائد نصري جميل: الثوابت والمتغيرات في التشريع الإسلامي ؛ دراسة أصولية تحليلية، رسالة دكتوراه في أصول الفقه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م .١٤ – رابح فغرور: حق تأديب الزوجة والأولاد، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج٣٣، ع٢ج، ٢٠١٩م.

١٥ – راؤبيم لتوف: عل حيروت في آحريوت بزوجيوت، مركاز آحفا لميدينيوت حبرتيت يهوديت، ٢٠١٩م.

١٦ – سوزان السعيد يوسف :المرأة في الشريعة اليهودية ؛ عين، للدراسات والبحوث الإنسانية،ط١،٢٠٠٥م.
١٧ – شلومو يوسيف زفيان : بعل هموريد عل إيشتو (الزوج الناشز)، إنسيكلوبيديا هتلموديت، لعنياني هلاخا،مائير برلين، بشيم فريدبرج، ج٢٩، ١٩٤٧م.

١٨ – عادين شتاينزلتس : تلمود لخول،عيدنيم،يوروشاليم، ١٩٧٩م.

١٩ – عادين شتينزلتس : معجم المصطلحات التلمودية ترجمة وتعليق: مصطفى عبد المعبود سيد مراجعة و تقديم: محمد خليفة حسن مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة ٢٠٠٦م .
٢٠ – عدنان محمد: حجية السنة النبوية من القرآن والسنة،مجلة دراسات إسلامية، كلية دار العلوم، ج ١٢، ع١، ٢٠١٧م .

٢١ – عمرو زكريا : الزواج والطلاق في إسرائيل بين الشريعة والمدنية، إمدكو، ٢٠١٦ م

٢٢ – صالح الشقيرات، ويوسف عبدالله الشريفين: نشوز البعل بين الشريعة والقانون الأسباب والعلاج، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،المجلد ٤٣، ع٢، ٢٠١٦م.

٢٣ – مجد الدين ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول، حققه : عبد القادر الأرناؤوط، ج١١، ١٩٧٢م.

٢٤ – مسعود حاي شمعون: كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيلين، مطبعة كوهين وروزنتال بمصر، ١٩١٢م .

٢٥ – مصطفى عبد المعبود: الحاخامات وصياغة الفكر الديني اليهودي ؛ بحث منشور ضمن كتاب إشكاليات المنهج في دراسة الأديان، دراسات مهداة لمحمد خليفة حسن، دار الثقافة العربية، ط١، ٢٠١٨.

٢٦ – قاسم سالم عبد النبي : نشوز الزوج وإعراضه في كتب التفسير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قطر، ٢٠١٧م

٢٧ – ليلى أبو المجد : المرأة بين اليهودية والإسلام، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧ م، ط١م.

٢٨ – محمد صبري : المقارنات والمقابلات، طبع بمطبعة هندية بمصر المحمية، ط١، ١٩٠٢م.

٢٩ – محمد ناصر الدين الألباني : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هجرية.

٣٠ – موشيه بن ميمون : مشنى تورا، سيفر ناشيم، هلاخوت إيشيوت .

٣١ – يهودا ديفيد أيزنشتاين :أوتسار مآميري هتورا، كونكوردانتسيا ، أيزنشتاين، ١٩٢٣م.

الهوامش:

١. جدير بالمقارنة قبل قراءة هذا البحث الرجوع إلى هذين البحثين في مظانهما : (صالح الشقيرات، ويوسف عبدالله الشريفين: نشوز البعل بين الشريعة والقانون الأسباب والعلاج، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٦، المجلد ٤٣ ، ع٢) ، و(قاسم سالم عبد النبي : نشوز الزوج وإعراضه في كتب التفسير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة قطر، ٢٠١٧)، وبالعبرية (الحبر شلومو يوسيف زفيان : بعل همورید عل إيشتو ، صفاته وأحكامه، مادة موسوعية بالموسوعة التلمودية لأمور الفقه والتشريع اليهودي، نشر الحبر مائير برلين، على شرف عائلة فريدبرج ، ج٢٩ ، ١٩٤٧) .

٢. حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي ، دار القلم ؛ دار العلوم والثقافة، ص ٥٧.

٣. عدنان محمد: حجية السنة النبوية من القرآن والسنة،مجلة دراسات إسلامية، كلية دار العلوم،ج ١٢،ع ١، ٢٠١٧، ص٩ -٣٤

٤. الحبر عادين شتاينزلتس : التلمود للجميع، نشر عيدنيم ، القدس، ١٩٧٩ ، ص١٩٠ .

٥. يهودا ديفيد أيزنشتاين :كنوز أقوال الشرع (كونكوردانتسيا) ،نشره المؤلف، ١٩٢٣،ص٤٥١ .

٦. مصطفى عبدالمعبود:الحاخامات وصياغة الفكر الديني اليهودي ؛ بحث منشور ضمن كتاب إشكاليات المنهج في دراسة الأديان، دراسات مهداة لمحمد خليفة حسن ، تحرير: د. أحمد محمود هويدي، دار الثقافة العربية ، ط١ ، ٢٠١٨.

٧. رائد نصري جميل: الثوابت والمتغيرات في التشريع الإسلامي ؛ دراسة أصولية تحليلية ، رسالة دكتوراه في أصول الفقه ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٤م ، ص ٨. وكذلك ينظر لليهودي المغربي حاييم الزعفراني بالعبرية (ألف عام من حياة اليهود في المغرب) ؛ نقله أحمد شحلان :(يهود الأندلس والمغرب، مرسم الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠) .

٨. مجد الدين ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول، حققه : عبد القادر الأرناؤوط ،١٩٧٢،ج١١ ، ص٥٣١.

٩. معجم العبرية القديمة والحديثة، ماقور باعم ، القدس ، ١٩٨٠ ، حرف الميم ، ج ٦ ، ص٢٨٦٢ -٢٨٦٣ .

١٠. معجم المصطلحات التلمودية ، ص٢٤٠ .

١١. سوزان السعيد :المرأة في الشريعة اليهودية ؛ عين ، للدراسات والبحوث الإنسانية،ط١ ،٢٠٠٥ م، ص٩٤ .

١٢. عبد المعبود ، مصطفى : معجم المصطلحات التلمودية ، ص ١٢٩ .

١٣. ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، باب الزاي، فصل النون، ص ٤١٧ -٤١٨ .

١٤. كمال السيد:صحيح فقه الكتاب والسنة وأدلته ، المكتبة التوفيقية،مصر، ج٣ ،ص ١٩٣.

١٥. أبراهام جروسمان: المرأة في فقه موسى بن ميمون، معاليه أدوميم،مبريخت موشيه ب،٢٠١٢ ، ص٢٠

١٦. المصدر السابق ، ص٢١ .

١٧. المصدر السابق .

١٨. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيلين ، ص٥١ -٥٢ .

١٩. ابن قدامة : المغني ، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي ، ج١٠ ، دارعالم الكتب ، ط١ ، ١٩٨٦م ،ص٢٦٧

٢٠. المصدر السابق

٢١. المصدر السابق

٢٢. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيلين ، المادة ٢٢٠ ، ص٦٤ .

٢٣. المقارنات والمقابلات ، ص٤٠٧ -٤٠٨

٢٤. حق تأديب الزوجة والأولاد ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، ص٤٤٨ – ٤٨٣ .

٢٥. آريا ليب أفشتاين: تاريخ عقد النكاح عند اليهود، نقله عن الانجليزية: موشيه ميزلش،الأكاديمية الأمريكية لعلوم اليهودية، نيويورك، ١٩٥٤،ص١٤١.

٢٦. مشنى تورا (مثاني الشريعة) ، الكتاب الرابع ، (كتاب النساء) ، فصل الأحوال الشخصية ، ٢١ : ١٠ .

٢٧. أبو عبدالله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الثالث ، دار الفكر، ط١ ، ٢٠١٩ م، ص١٢١ .

٢٨. مثاني الشريعة ، كتاب النساء ، الأحوال الشخصية ١٢ : ١٤ .

٢٩. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيلين ، مادة ٢٢١ ، ص٦٤ .

٣٠. أبو عبد الله محمد الخرشي : شرح الخرشي على مختصر خليل، المطبعة العامرة الشرقية ،مصر١٣١٧ هـ ، ط١ ،ص٣٣٧

٣١. الألباني : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، المكتب الإسلامي، ص ٢٧٠

٣٢. السيد سابق : فقه السنة ، دار الفتح العربي ، ٢٠١٠ ، ج٢ ، ص١١٩ .

٣٣. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيلين ، مادة ١٦٨ ، ص٥٠ ، ومادة ٢١٥ ، ص ٦٣

٣٤. إيهود إزراحي:عيسر قلالوت نتقللها حفا(البلايا العشرالتي ابتليت بها حواء) ، ديموي ، ع٤، ١٩٩٩.

٣٥. ليلى أبو المجد : المرأة بين اليهودية والإسلام، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧ م ، ط١ ، ص١٥ .

٣٦. المصدر السابق ، ص١٣ -١٤ .

٣٧. عمرو زكريا : الزواج والطلاق في إسرائيل بين الشريعة والمدنية ، إمدكو، ٢٠١٦ م ، ص١٠٥ .

٣٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،اعتنى بها وخرج احاديثها : عامر الجزار، وأنور الباز،ج٣٢،ص١٧٣ -١٧٨.

أثر الطلاق وتداعياته على الأسرة والتنمية واستقرار المجتمع في دولة قطر

رؤية اجتماعية إسلامية

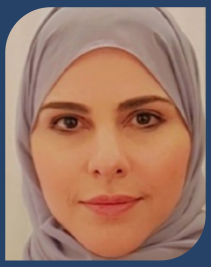

د. هند الحمادي *

الملخص:

هنالك تغيرات فكرية وثقافية واجتماعية طرأت على طبيعة حياتنا المعاصرة، ويعدّ الطلاق من القضايا العالمية العالقة والتي نتجت عن هذه التغيرات وأصبحت ظاهرة تنال من المجتمعات العربية والغربية، ودولة قطر ليست بمنأى عنها، الأمر الذي أحدث ضرورة في وجوب إعادة النظر في مفاهيم الزواج والطلاق والحقوق والواجبات. إذ اتخذت أشكالا جديدة مع الاحتفاظ بأصولها المستمدة من ديننا الإسلامي.

ويعدّ الطلاق مشكلة نفسية واجتماعية، وهو مكروه إلى الله، قال تعالى:» وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» (البقرة، ٢٣٧) ويرى علماء المسلمين أن الطلاق في الإسلام يعدّ من محاسنها لمنع وقوع الضرر على الزوجة أو الزوج، ويكون الفراق أولى من بقاء الرابطة الزوجية بما تحمله من خلاف ونفور وسوء عشرة وضرر على الأبناء، بينما يرى علماء آخرون أن الأصل في الطلاق الحظر، فقال ابن تيمية: «الأصل في الطلاق الحظر، وإنما أبيح منه قدر الحاجة» لذلك اباحه الله رحمة منه بعباده لحاجتهم إليه. إلا أنه بالرغم من ذلك أصبح ظاهرة عامة في جميع المجتمعات، ويبدو أنه يزداد انتشارًا في المجتمع

(*) باحثة متخصصة في القضايا الاجتماعية، وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر..

القطري في الأزمنة الحديثة، ممّا ترتب عليه آثار سلبية نفسية واقتصادية واجتماعية وأمنيّة متداخلة.

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المبني على احصائيات تبين الارتفاع المستمر في نسبة الطلاق في دولة قطر، لاستكشاف أهم أسباب الطلاق وأثره على الأفراد والأسر واستقرار المجتمع وتنميته

وخلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها الارتفاع المستمر لنسبة الطلاق سنه بعد أخرى لتصل الى ٦٦٪ في العام ٢٠٢٢ مما يدق ناقوس الخطر؛ وخرجت بتوصيات أهمها استرجاع مفهوم الزواج الحقيقي الذي يتماشى مع ما دعت اليه شريعة الإسلام، وخلق مفهوم جديد للزواج والأسرة يتماشى مع التغير الفكري والثقافي والاجتماعي المعاصر، والزام الشباب المقبل على الزواج بحضور دورات تعليمية تدريبية ما قبل الزواج، والقيام بإنشاء مكتب للزواج قائم على أسس علمية ليحقق التوافق المبني على الكفاءة بين الطرفين، والعمل على تحديث قوانين الأسرة وإصلاحها بما يتناسب مع عصرنا الحالي، وأخيرا دور الحكومة القطرية في إعادة توجيه الإعلام والتعليم لرفع مستوى الوعي بأهمية الزواج وتكوين أسرة والمحافظة عليها في ظل العولمة الثقافية العالمية التي تهددها.

مقدمة:

هنالك تغيرات فكرية وثقافية واجتماعية طرأت على طبيعة حياتنا المعاصرة، ويعدّ الطلاق من القضايا العالمية العالقة والتي نتجت عن هذه التغيرات وأصبحت ظاهرة تنال من المجتمعات العربية والغربية، ودولة قطر ليست بمنأى عنها، الأمر الذي أحدث ضرورة في وجوب إعادة النظر في مفاهيم الزواج والطلاق والحقوق والواجبات. إذ اتخذت أشكالا جديدة مع الاحتفاظ بأصولها المستمدة من ديننا الإسلامي.

ووضع الإسلام منهجا كاملا للزواج والطلاق، بداية بالاختيار السليم لشريك الحياة ثم حسن معاشرته فذلك ادعى لاستمرار الزواج، ثم وضع خطوات متسلسلة لمعالجة الخلاف والشقاق منها الوعظ والإرشاد أو الهجر والضرب الخفيف المعبر لرفض الوضع والسلوك، وإذا استمر الخلاف فالإصلاح بين الزوجين من قبل أهل الحكمة والعقل من كلا عائلة الطرفين؛ كما أن الإسلام جعل الطلاق ثلاث

مرات وذلك لإعطاء فرصة للتفكير والمراجعة، وحتى إذا تم الطلاق فيجب على المرأة المطلقة قضاء عدة الطلاق في بيت الزوجية عسى أن ترق القلوب وعسى أن يؤدم بينهما. (صبري، ٢٠٢٣)

إلا أننا علينا الاعتراف أولا بوجود التغير الطارئ الذي طرأ على مجتمعنا، وعلينا التعامل معه بما يقتضيه وما ينتج عنه، وقال تعالى:» وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء/ ٢١) هذا الميثاق العظيم الذي يعطي لمؤسسة الزواج الجلال والتقديس يمر بعواصف عاتية، ونجد ارتفاع في نسبة الطلاق عالميا بشكل عام وفي دولة قطر بين المواطنين بشكل خاص في الآونة الأخيرة، وعند ترجمة هذه النسبة والنظر في أبعادها، فيجب دقّ جرس الإنذار للتحذير من خطورتها، وبالتالي ضرورة النظر الجاد في سبل العلاج، لما لها من نتائج سلبية على الأسرة والمجتمع القطري، ممّا ينعكس سلبا على تقدّم دولة قطر في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ فهذه النسبة تخالف أهداف واستراتيجية التنمية الوطنية لدولة قطر ٢٠١٨ – ٢٠٢٢، وهي بناء أسرة متماسكة ومجتمع سالم وآمن ومستقر، في ظل حكومة ومؤسسات أسرية فعّالة.

فما هي أسباب تفشي ظاهرة الطلاق في مجتمعنا؟ وماذا تقول الإحصائيات حول ذلك؟

وما هي الحلول الحقيقية والعملية التي يمكن طرحها؟

وقبل الخوض في أسباب الطلاق وطرق علاجها ينبغي أن **نستعرض بعض الاحصائيات التي تبين لنا حجم الظاهرة:**

. يتميز المجتمع القطري بأنه مجتمع متوازن من حيث التركيبة السكانية للمواطنين حسب الجنس والفئة العمرية، حيث يتقارب فيه عدد المواليد من الذكور مع الإناث، كالآتي:

جدول (١) المواليد الأحياء القطريين حسب الجنس من ٢٠١١-٢٠٢٠

السنة	ذكور	إناث
٢٠١٧	٤١٢٧	٣٩١٣
٢٠١٨	٣٩٧٦	٣٨٨٦
٢٠١٩	٣٨٢٨	٣٧٥١
٢٠٢٠	٣٥٨١	٣٥٢٥
٢٠٢١	٤٠٦٥	٣٧٤٩

المصدر: جهاز التخطيط والإحصاء، المواليد والوفيات ٢٠٢٠، العدد ٣٧، فبراير ٢٠٢٢، الدوحة قطر

الهرم السكاني للقطريين بالألف ٢٠٢١

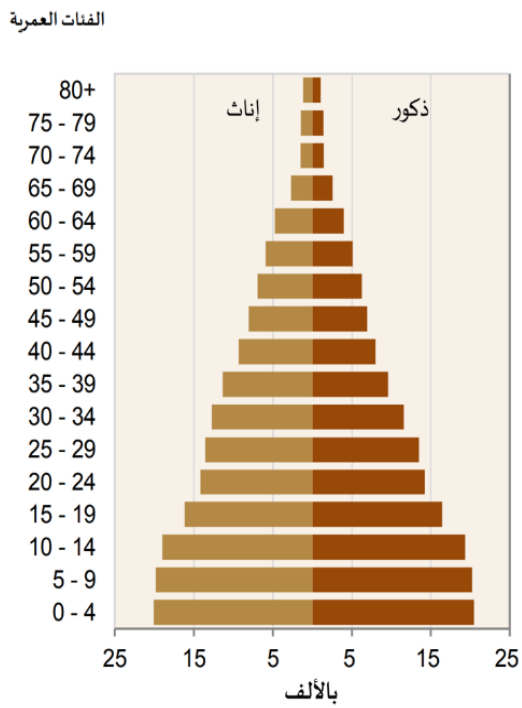

جهاز التخطيط والإحصاء، المرأة والرجل ٢٠٢٢

ويكشف الجدول (٢) ارتفاع نسبة الطلاق المستمر من ٢٠١٧- ٢٠٢٢ لتصل الى ٦٦٪ تقريبا في العام ٢٠٢٢ وهذا يدق ناقوس الخطر، كالآتي:

جـدول (٢) عقود الزواج وشـهادات الطلاق المسـجلة حسـب جنسـية الزوج (الـطلاق والخلع) من ٢٠١٥-٢٠٢٢

السنة	عقود الزواج	شهادات الطلاق	النسبة المئوية للطلاق
٢٠١٧	٢١٨١	٧٨٦	٪٣٦,٠٣
٢٠١٨	٢١٨٤	٧٩٩	٪٣٦,٥
٢٠١٩	٢٠٧٧	١١١٥	٪٥٣,٦
٢٠٢٠	٢٦٩٤	١١٤٤	٪٤٢,٤
٢٠٢١	٢٤٢٩	١٣٢٤	٪٥٤,٥
٢٠٢٢	٢٠٦٩	١٣٧٣	٪٦٦,٣

المصدر: جهاز التخطيط والإحصاء، الزواج والطلاق ٢٠٢٢، العدد ٣٩، يوليو ٢٠٢٣، دولة قطر

ووفقا لإحصائيات جهاز التخطيط والإحصاء نجد أن أكثر الطلاق يحدث في الفترة العمرية بين ٢٥-٢٩ سنة و ٣٠-٣٥ سنة كما هو موضح في الجدول (٣)، وهي فترة الخصوبة لدى المرأة مما يؤثر على النمو السكاني للمواطنين والذي له انعكاسات على التنمية في دولة قطر، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (٣) معدلات الخصوبة العمرية للقطريات لكل ألف امرأة من ٢٠١٧-٢٠٢٠

الفئات العمرية	2017	2018	2019	2020
19 - 15	5	3	3	3
24 - 20	74	68	67	59
29 - 25	152	154	145	135
34 - 30	143	159	151	138
39 - 35	115	122	110	109
44 - 40	50	48	46	47
49 - 45	4	3	3	5

جهاز التخطيط والاحصاء، الرجل والمرأة في دولة قطر ٢٠٢٢، ديسمبر ٢٠٢٢

وتشير الإحصاءات إلى انخفاض نسبة الخصوبة الكلية للإناث القطريات سنة بعد أخرى كما هو في الجدول (٤):

جدول (٤) معدل الخصوبة الكلية للإناث القطريات من ٢٠١٧-٢٠٢٠

السنة	المعدل
٢٠١٧	٢,٩
٢٠١٨	٢,٨
٢٠١٩	٢,٦
٢٠٢٠	٢,٥
٢٠٢١	٢,٦٥

جهاز التخطيط والاحصاء، الرجل والمرأة في دولة قطر ٢٠٢٢، ديسمبر ٢٠٢٢

وبالنظر الى الجدول رقم (٤) نجد الانخفاض المستمر لنسبة الخصوبة لدى المرأة القطرية من ٢٠١٧-٢٠٢٠ مع ارتفاع لا بأس به في ٢٠٢١؛ وعند النظر للموضوع من زاوية أخرى فإننا نجد أنه لم يتم التطرق لانخفاض نسبة الخصوبة لدى الرجال، فانتشار المثلية الجنسية، والضعف الجنسي، وعزوف الشباب عن الزواج وتعدد العلاقات غير الشرعية، بالإضافة الى أن نسبة وفاة الذكور أعلى من الإناث بسبب الحوادث المرورية أو غيرها، ترتّب عليه زيادة نسبة الطلاق والعنوسة[١] وانتشار الفوضى الاجتماعية والأمنية في المجتمع، دون أن نجد الرغبة الحقيقية للتصدي لهذه الظواهر تصديا حقيقيا ومعالجتها من جذورها بالاستعانة بكافة الوسائل التعليمية والإعلامية وبمؤسسات القطاع الحكومي والقطاع المدني.

١ - الطلاق والعنوسة وجهان لعملة واحدة، حيث يعدّ الطلاق نوع من أنواع العنوسة.

والجدول (٥) يبين نسبة وفاة الذكور إلى الإناث من القطريين:

جدول (٥) معدل وفيات الأطفال القطريين حسب النوع من ٢٠١٧– ٢٠٢١

السنة	ذكور	إناث
٢٠١٧	١,٢	١,٣
٢٠١٨	٢,٠	٠,٠
٢٠١٩	١,٣	٠,٨
٢٠٢٠	٠,٨	٠,٣
٢٠٢١	٢,٢	١,١

المصدر: جهاز التخطيط والاحصاء، الوفيات، العدد ٣٨، ٢٠٢٣

والجدول (٦) يبين المواليد والوفيات للمواطنين في فترات عمرية مختلفة كالآتي:

جدول (٦) المواليد والوفيات لكل ألف في العام ٢٠٢٠– ٢٠٢١

٢٠٢٠ ٢٠٢١	المواليد بشكل عام	الوفيات أطفال أقل من سنة لكل ألف	الوفيات من ١–٤ سنة لكل ألف	وفيات لكل الأعمار	أسباب خارجية للوفاة حوادث السيارات	العمر المتوقع
ذكور ٢٠٢٠	٣٥٧٧	٦,٢	٠,٨	٢,٧	٪١٠	٧٩,٥
إناث ٢٠٢٠	٣٥٢١	٤,٨	٠,٤	١,٨	٪١,٧	٨٣,١
ذكور ٢٠٢١	٤٠٦٥	٧,٩				
إناث ٢٠٢١	٣٧٤٩	٥,١				

المصدر: جهاز التخطيط والإحصاء، المواليد والوفيات ٢٠٢٠، ٢٠٢١، العدد ٣٨، فبراير ٢٠٢٣، الدوحة قطر

من خلال الجدولين (٥) و (٦) نجد أن معدل وفاة الذكور أعلى من الإناث مما ينتج عنه وجود عدد من الفتيات اللاتي لن يتوفر لهن الزواج إلا بالحلول المقترحة التي سنتناولها لاحقا.

ويوضح لنا الجدول (٧) أن المتزوجون يمثلون أكثر من نصف السكان القطريين تليها لم يتزوج أبدا لكلا الجنسين وهو أمر يزيد من نسبة العنوسة لكلا الطرفين، كما يلاحظ انخفاض نسبة المتزوجين الى السكان وارتفاع نسبة الذين لم يتزوجوا خلال الفترة من ٢٠١٨- ٢٠٢١

الجدول (٧) يوضح نسبة الزواج والطلاق والعنوسة للرجل والمرأة

الحالة الزواجية	2018		2019		2020		2021	
	الإناث	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	الذكور
لم يتزوج أبداً	39.0	39.3	39.4	39.9	40.7	41.3	38.2	42.2
متزوج	51.8	58.7	51.4	58.2	50.6	55.5	54.1	54.0
مطلق	3.7	1.3	3.8	1.3	5.1	2.9	4.0	3.3
أرمل	5.5	0.7	5.4	0.6	3.6	0.3	3.6	0.6
المجموع	**100.0**	**99.9**	**99.9**	**100.0**	**100.0**	**100.0**	**100.0**	**100.0**

المصدر: جهاز التخطيط والإحصاء، المرأة والرجل في دولة قطر ٢٠٢٢، ديسمبر ٢٠٢٢، الدوحة قطر

وبعد الاطلاع على جداول التركيبة السكانية المتكافئة من حيث الجنس والفئة العمرية للقطريين، نجد أن نسبة غير المتزوجات والمطلقات في ارتفاع مستمر، فكل شاب قطري يتزوج من غير قطرية يضيف فتاة قطرية إلى خانة العنوسة، وكل شاب يعزف عن الزواج يضيف إلى الخانة فتاة أخرى، وكل شاب يموت بسبب الحوادث المرورية يضيف ثالثة؛ كذلك هنالك عزوف لدى العديد من القطريات عن الزواج بغير القطري خوفا من عدم حصول أبنائهم على الجنسية القطرية، حيث ستبدأ مأساة جديدة تعاني منها الأم والأبناء، فتضطر إلى الوقوع في شرك العنوسة، ولا تقوم بدورها الذي خلقها

الله من أجله وهو أن تكون زوجة وأم.

ويعدّ الطلاق مشكلة نفسية واجتماعية وهو مكروه إلى الله، وجاء على خمسة أحكام شرعية وهي: واجب، ومكروه، ومباح، ومندوب، ومحرّم؛ ويرى علماء المسلمين أن الطلاق في الإسلام يعدّ من محاسنها لمنع وقوع الضرر على الزوجة أو الزوج، ويكون الفراق أولى من بقاء الرابطة الزوجية بما تحمله من خلاف ونفور وسوء عشرة وضرر على الأبناء، وفي ذلك أشار الشيخ ابن قدامة بقوله:» ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة وضررا محضا..فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح لتزول المفسدة الحاصلة منه» (قدامة، ٢٠١٦)

بينما يرى علماء آخرون أن الأصل في الطلاق الحظر، فقال ابن تيمية: «الأصل في الطلاق الحظر، وإنما أبيح منه قدر الحاجة» (المنجد، ٢٠٢٢) لذلك اباحه الله رحمة منه بعباده لحاجتهم إليه. إلا أنه بالرغم من ذلك أصبح ظاهرة عامة في جميع المجتمعات، ويبدو أنه يزداد انتشارًا في المجتمع القطري في الأزمنة الحديثة، **ممّا يترتب عليه من آثار سلبية نفسية واقتصادية واجتماعية وأمنيّة متداخلة منها:**

- الشعور المصاحب للطلاق من الحزن والاكتئاب أو الشعور بالذنب والخجل أو الاستياء والغضب مما يؤثر على تواصلهم مع الآخرين وعلاقاتهما الاجتماعية، وقد يؤدي إلى المرض العضوي كأمراض القلب وغيرها. (كسال، ٢٠٢١)
- آثار سلبية على نفسية الأطفال، بدءاً من الاضطرابات النفسية وحتى السلوك المنحرف في المجتمع. (كسال، ٢٠٢١)
- ضعف سلطة الأب والحرمان من الأبناء.
- إعالة الأطفال من جانب واحد قد يسبب ضغط نفسي ومادي على المعيل خاصة الأم.
- التفكك الأسري وحدوث شرخ في العلاقات بين أفراد الأسرة ينتج عنه التباغض والتنافر والقطيعة، وقد تمتد لتصل إلى العداء بين العوائل المرتبطة بهذا الزواج.
- الارتفاع المستمر لنسب الطلاق والعنوسة قد يهدد الأسر المستقرة، وقد يؤدي إلى سلوكيات منحرفة تضر الآخرين قد تنعكس سلبا على المجتمع من زعزعة استقراره من

خلال حدوث تشوهات في العلاقات الاجتماعية.

- زيادة نسبة غير المتزوجات يؤثر بقوة على النمو السكاني في الدولة وبالتالي على تنميته وتقدمه، حيث تعدّ الموارد البشرية القوة التي يعتمد عليها المجتمع للوصول لأهدافه ودفع عجلة التنمية في الدولة.

إذا، فمن خلال ما سبق ماهي أهم أسباب الطلاق في المجتمع القطري، وماهي الحلول التي قد تعالج هذه الظاهرة؟

هنالك مسببات عديدة لارتفاع نسب الطلاق والعنوسة، منها ما هو اجتماعي، أو اقتصادي، أو نفسي، أو بيولوجي، يستلزم منا وضع حلول تتناسب مع أحكام الشريعة الإسلامية، ومع الزمان والمكان الذي نعيشه، وفيما يلي عدد من هذه الأسباب المرفقة بالحلول المقترحة:

١- لسلبيات الرأسمالية والعولمة الثقافية الغربية أثر كبير في تدمير الأسر وانخفاض نسبة الزواج وزيادة نسبة الطلاق في الدول العربية، حيث وجدت لها مساحة كبيرة خاوية نتجت عن غياب الفكر الديني والثقافي والاجتماعي، وحضور التطرف في الممارسات القائمة على العادات والتقاليد وبعض القوانين غير المنصفة، فحطت رحالها دون أن تجد من يتصدى لها ونشرت أفكارها بحجة المضي بالشعوب قدما إلى الحداثة والانفتاح على العالم.

هذه الأيدولوجيات التي تركز على الفردية والمادية والحرية التي تتخطى حدود الآخر والاستقلالية والمساواة المزيفة والتخلي عن الثوابت الدينية غزت ثقافة الشعوب بشكل عام وغزت ثقافتنا المحلية بشكل خاص، فأدى إلى تغيير فكري وثقافي واجتماعي للأفراد في المجتمع القطري، هذا التغير شمل مفهوم الزواج والطلاق ومفهوم الحقوق والواجبات، والاتجاه نحو الفردية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالزواج أو الطلاق.

فنجد أن الرأسمالية مثلا ترفض دور المرأة التقليدي في الأسرة وشجعتها على الخروج للعمل والإنتاج على حساب أسرتها، وشجعتها عولمة الثقافة الغربية على التمتع بالشباب والجمال والمال والحرية الزائفة وكأنها أهداف كونية وغاية الوجود، ورفض التقيد بالأسرة وبالحمل والانجاب والرضاعة؛ وشجعت الرجل على تعدد العلاقات غير

الشرعية، والتخلص من الأعباء والقيود المرتبطة بالأسرة مما ساعد على ظهور مصطلح (الزوج العازب)؛ لذلك كان الطلاق أول الحلول لعلاج الهزّات الاجتماعية والاقتصادية والمشكلات الزوجية التي تواجه الأسرة.

٢- اهتمام الأنظمة العربية بالمرأة نتيجة لضغوط دولية ولإضفاء الحداثة والتقدمية على سياساتها، (غليون، ٢٠٠٥) ولتجد القبول الدولي وليس من أجل الإصلاح المجتمعي، فنجد أن هناك فجوة بين القوانين المتعلقة بالأسرة وبين تطبيقها، وهناك فجوة بين إصلاح الأسرة دينيا وأخلاقيا وبين مبادئ حقوق الانسان ومبادئ العولمة والرأسمالية.

٣- الدور السلبي للإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي بوسائلها الجذّابة على زرع قيم وأخلاق غريبة عن ديننا وموروثنا الحضاري منها عولمة العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة وعولمة حقوق المثليين وعولمة النسوية والمساواة المزيفة وحقوق المرأة ونشر صور سلبية عن الزواج وغيرها، أدت جميعها إلى تدمير الأسرة التي هي مصدر الأخلاق والدعامة الأساسية لضبط السلوك، مما ينذر بانهيار مجتمعاتنا الإسلامية، وكشفت دراسة حديثة، قام بها باحثون من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، مفادها أن الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن يتسبب بالفوضى في العلاقات العاطفية؛ (الأتام، ٢٠١٧) وجاءت القوانين لتقف صامتة أمام هذا الانحلال الأخلاقي، ولا تحرك ساكنا لحماية المجتمع والأجيال القادمة، مع رفع العقاب عن المفسدين (ومن أمن العقاب أساء التصرف)؛ لذلك وجب على المسؤولين من أعلام العلم والإعلام تأصيل الملامح الحضارية للشخصية العربية الإسلامية لمواجهة سلبيات العولمة الثقافية الغربية،. كما يتطلب من الجهات الرقابية متابعة ما يتم نشره والترويج له ليتناسب مع الفطرة السليمة والدين الإسلامي، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» (النور/١٩).

٤- وقد أكد استشاري الطب النفسي الدكتور طاهر شلتوت على أن الصراعات الزوجية تقف وراء الطلاق المبكر بشكل رئيسي في المجتمع القطري بسبب تكوين الزوجين صورة ذهنية عن

بعضهما البعض قبل بداية الحياة الزوجية، ومن ثمّ يتفاجآن بأن الصور مختلفة تماما ولا تتوافق مع الواقع، وبدلاً من تغيير الصورة الذهنية، يبدأ أحدهما بمحاولته تغيير شخصية الآخر لتتطابق مع الصورة الذهنية المتخيّلة؛ (شلتوت، ٢٠١٤) لذلك يجب التنبيه على أن الاختلاف بين البشر سنة كونية يؤدي إلى حدوث التكامل المجتمعي عامة وبين الزوجين خاصة، أما التماثل فيؤدي إلى جمود العلاقات وتقييد المعرفة؛ كما يجب التركيز على طيب العشرة والمودة والرحمة بين الزوجين لأنها أساس نجاح العلاقة الزوجية، قال تعالى:»وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» (البقرة/٢٣٧).

٥- سوء اختيار الشاب والفتاة لشريك حياته، وعدم الكفاءة والتوافق الفكري والاجتماعي بينهما، فالكفاءة في الزواج مطلب أساسي لنجاحه، فالزوجان المتساويان أو المتقاربان في الجوانب الدينية والاجتماعية والعلمية والثقافية والعمرية أدعى إلى نجاح الزواج واستقراره؛ وقال الدهلوي في حجة الله البالغة: «أن الكفاءة معتبرة وهي مما جبل عليه طوائف الناس، وكاد يكون القدح فيها أشد من القتل، والناس على مراتبهم والشرائع لا تهمل مثل ذلك، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لأمنعن النساء إلا من أكفائهن» (الدهلوي، ٢٠٠٥) وقد أثنى ﷺ على صاحب الدين والخلق من الشباب والفتيات حيث قال بسند حسن:» إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (أبوهريرة، ٢٠١٤) وقال ﷺ في الحديث الصحيح:» فاظفر بذات الدين تربت يداك» (ابوهريرة، ٢٠٢٣) كما أن وجود مكتب للزواج مختص بالتوفيق بين الرجل والمرأة في مجال الكفاءة قد يكون حلا مفيدا.

٦- العنف الأسري وما له من آثار سيئة تعود على المعنَّف والمعنِّف، وعلى الأسرة والمجتمع، كانعدام الثقة بالنفس والانطواء والعزلة والقلق والاكتئاب، والكسور والجروح والحروق، وتفكك الأسرة وتشرد الأولاد وغيرها، لذلك يجب نشر الوعي عن سلبيات العنف الأسري فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: « أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (عائشة، ٢٠٢٣) فالرفق بالأمور

والرفق بشريك الحياة يعدّ من جوهر الأخلاق الإسلامية، والله تعالى رفيق يحب لعباده الرفق؛ كما أن العنف محرّم شرعا لما يصاحبه من أذى نفسي وجسدي ينعكس أثره على الفرد والأسرة والمجتمع، ويجب معاقبة من يمارس العنف للحد من تفشي هذه الظاهرة. (بهنسي، ٢٠١٦)

٧- تحول قرار الزواج والطلاق من قرار جماعي إلى قرار فردي الذي قد يؤدي إلى سوء اختيار لشريك الحياة وعدم تكافؤ فكري واجتماعي وثقافي بين الزوجين، وبالتالي تراجع تأثير الأهل والشخصيات الدينية على قرار الطلاق.

٨- سهولة إجراءات الطلاق والخلع، والمستحقات التي تترتب على الطلاق ليست كبيرة وفي مقدور الرجل والمرأة.

٩- هنالك قصور لدى جيل الشباب حول مفهوم الزواج ، قال تعالى: ''وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «(سورة الروم/ ٢١) واختزال مفهوم الزواج في إشباع الرغبة الجنسية غالبا؛ وعدم تحمل أحد طرفي الزواج أو كلاهما للمسؤولية الأسرية وعدم إدراك قيمة الأسرة، (الشورى، ٢٠٢٣) كما أن الزواج ليس مجرد خطوة يتم الإقدام عليها والتراجع عنها بسهولة، بل هو محور ينتقل فيه الشخص من حياة إلى أخرى ذات أبعاد أعمق، تستند لفهم ووعي يفسران استقرار المجتمعات في حال حدوثهما، وإلا فإنّ الأمر لن يتجاوز إحداث فجوات تزيد من سطحية المجتمع في وعيه السليم. لذا لا بدّ من بلورة مفهوم الزواج لدى جيل الشباب، ونشر الوعي من خلال المؤسسات الإعلامية والتعليمية، وكذلك عمل دورات إلزامية ما قبل الزواج في مراكز اجتماعية مثل مركز الاستشارات العائلية أو في وزارة الأوقاف، ليصبح معنى الزواج واضحا فلا يقتصر على نزوات يبررها فهم شرعي في غير مكانه.

١٠- التساوي في القيمة الإنسانية والفاعلة بين الزوج والزوجة، حيث بنت المجتمعات العربية الزواج على مبدأ التضحية لا مبدأ التعاون والمشاركة، التضحية من قبل الزوجة، فتعد المرأة تابعة للرجل في المسيرة الحياتية سواء الأب أو الأخ أو الزوج وتتحمل الصعاب لأنها تربت في مجتمع ذكوري، وتصير كلمة تضحية الى كلمة واجب. (الجبالي، ٢٠١٦) كما تتحمل المرأة

النظرة الدونية قياسا بالرجل مهما تكن الشهادة الحاصلة عليها او المركز الوظيفي لها بل قد تشعل غيرة الرجل الشرقي، وهذا غير مقبول بالنسبة للمرأة في عصرنا الحاضر، لذلك وجب تعزيز التساوي في القيمة الإنسانية والفاعلة بين الرجل والمرأة، فقال ﷺ في الحديث الصحيح:»إنما النساءُ شقائق الرجال « (عائشة، الدرر السنية، ٢٠٢٣)

١١- إقبال المرأة على التعليم أمر إيجابي، ولكنه أحدث في بعض الأحيان فجوة ما بين الزوج والزوجة في مستوى التعليم، حيث تشير الإحصائيات إلى أنّ مستوى تعليم المرأة القطرية يفوق مستوى تعليم الرجل، (الأنصاري، ٢٠١٨) الأمر الذي يحدث توترا في العلاقة، أو عدم قبول من الفتاة في الأساس، أو ربما تردّدا لدى الرجل أن يتزوج بامرأة ذات مستوى أكاديمي أعلى منه. وهذه المشكلة تتطلب الحث على رفع المستوى التعليمي لدى الرجل.

١٢- استقلال المرأة ماديا وتبوؤها لمناصب عديدة يعد من أسباب الطلاق أيضا، وهذا الأمر يستوجب تغيير المفهوم التقليدي للزواج من حاكم ومحكوم إلى مفهوم التكامل في بناء الأسرة. فلم تعد أعمال المرأة تقتصر داخل المنزل، بل أصبحت على الأغلب عاملة ومشاركة في نفقات المنزل حيث تمثل ٥١٪ من القوى العاملة في دولة قطر، (الأنصاري، ٢٠١٨) وهذا يستلزم ضرورة زيادة التفاهم والتعاون ما بين الأزواج.

١٣- الانحراف الأخلاقي، فهنالك أسباب ترتبط بالخيانة الزوجية، قال تعالى:»وَأَخَذْنَ مِنكُم ميثاقا غَلِيظاً»(سورة الروم/ ٢١) فمع المظاهر السلبية التي تتيحها وسائل التواصل الاجتماعي وقلة الوعي الديني ظهرت سلوكيات غريبة عن المجتمع وبدأت تتفشى فيه. وهنا لا بد من زيادة نشر الوعي الديني والاجتماعي، وتوضيح خطورة السلوكيات المنحرفة.

١٤- الحياة المدنية وتشوه العلاقات العائلية أدى إلى ارتفاع معدل الجنس الثالث ومعدل العجز الجنسي وبالتالي زيادة نسبة الطلاق، قال تعالى: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ»(الأعراف/81) مما يستوجب نشر ثقافة جنسية ونفسية في المجتمع.

١٥- غياب التواصل وعدم وجود حوار حقيقي بين الزوجين لحل مشاكلهما

وليبين كل منهما احتياجاته أو متطلباته من الآخر، قال تعالى» وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ « (البقرة/٢١٦)؛ كما أن عدم وجود الاحترام المتبادل وانخفاض قيمة المرونة والتسامح والمغفرة والصبر في ثقافة الرجل والمرأة أدى إلى تسرب مشاعر الحب والمودّة والرحمة التي بهم يتم المحافظة على بيت الزوجية؛ فتفعيل دور الدين مهم جدا لسلامة القلوب والابتعاد عن الظلم، كما أن التفاهم والاتفاق والتجاهل والتغافل والتسامح، وروح المفاجأة وكسر الروتين، والغيرة الإيجابية التي تشعر الطرف الآخر بالحب، والإخلاص وهو أساس العلاقة الزوجية، جميعها تعدّ مفاتيح السعادة الزوجية.

١٦- كما أن تدخل الأهل في حياة الزوج والزوجة من الأسباب المهمة في ارتفاع نسبة الطلاق، (الشورى، ٢٠٢٣) لذا نحث الأهل على عدم التدخل إلا للضرورة القصوى، قال تعالى:»وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» (النساء/٣٥).

١٧- ارتفاع المهور وتكاليف الزواج في المجتمع القطري قد يؤثر على وضع الزوجين بعد الزواج، وهذا يستوجب نشر الوعي الصحيح حول ذلك. والحق يقال فإن الدولة ـ مشكورة ـ تقوم بمساعدة الشباب في تكاليف الزواج، كما يجب على أهل الفتاة الاعتدال في طلب المهر وترك تقيمها للزوج من باب المرؤة، فقال ﷺ في الحديث الصحيح: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة « (أحمد، ٢٠١٠).

١٨- قد يكون التعدد حلا في بعض الحالات، ولكن قد يزيد تعدد الزوجات من معدلات الطلاق وانهيار الأسر وتشتت الأبناء في حالات أخرى، خاصة في حالة الزواج من الفتيات الصغيرات في السن، إذ يؤدي إلى مشكلات اجتماعية عديدة، ولا يسهم في حل مشكلة العنوسة. لذا يجب دراسة التعدد من جميع الجوانب، ودراسة مدى تأثيره على الرجل وعلى المرأة وعلى الأبناء وعلى المجتمع قبل اتخاذ قرار التعدد.

١٩- لا توجد ثقافة الزوجة الثانية لدى النساء في معظم المجتمعات العربية والإسلامية، وأهميته في معالجة بعض حالات العنوسة والطلاق وقضايا مجتمعية أخرى، قال تعالى: « فَٱنكِحُواْ

وَرُبٰعَ» (النساء/٣)؛ كما لا توجد ثقافة الزواج الثاني لدى الرجال وما يتضمنه من شروط وحقوق وواجبات، قال تعالى:» أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ « (الطلاق/ ٦)، فتناول هذا الموضوع من خلال مؤسسات التعليم والاعلام ومراكز الاستشارات العائلية ووزارة الأوقاف قد يساهم في بناء هذه الثقافة.

٢٠- وكذلك لا بدّ من النظر في التغيّر الفكري والثقافي والاجتماعي للأفراد في المجتمع القطري، والانفتاح على العالم وتغيّر مفهوم الزواج ومفهوم الحقوق والواجبات في الأسرة، فبالإضافة إلى أن المرأة أصبحت أكثر تعليما وأكثر استقلالية، فإنها أيضا قادرة على إثبات وجودها أمام الزوج بزيادة قدرتها على طلب الخلع مثلا، «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» (البقرة/ ٢٢٩).

وبعد النظر في الأرقام والإحصائيات حول حجم الظاهرة وأسبابها، وبناءا على المعطيات السابقة يمكن طرح بعض التوصيات التي قد تساعد على حل مشكلة الطلاق وتبعاته على الأسرة والمجتمع كالآتي:

التوصيات المقترحة للتقليل من أسباب الطلاق:

أكد الإمام القرافي على عِظم عقد الزواج عن غيره من العقود بقوله: «إن الشيء إذا عظم قدره شدد فيه، وكثرت شروطه، وبالغ إبعاده إلا لسبب قوي، تعظيما لشأنه، ورفعا لقدره»، (القرافي، د.ت) لذلك وجب التصدي لهذه الظاهرة من خلال شن حملات تثقيفية عامة ومستمرة لتغيير السياق الاجتماعي للتعاطي مع مفهوم الزواج والطلاق والذي يؤدي بدوره إلى تغيير التوجهات والقناعات والمساهمة في إحداث تغيير في السلوك.

١- استرجاع مفهوم الزواج الحقيقي الذي يتماشى مع ما دعت اليه شريعة الإسلام، والمبني على المودة والرحمة والمشاركة والتعاون، ونبذ مفهوم الزواج القائم على العادات والتقاليد وعلى فكرة الحاكم والمحكوم، ومبدأ التضحية من طرف المرأة، فالفتاة القطرية في عصرنا الجديد لا تقبل أن تقوم بدور الضحيّة والمغلوب على أمرها، ووجوب إعادة النظر في مفاهيم الحقوق والواجبات لتتماشى مع التغيرات الفكرية والثقافية والاجتماعية المعاصرة.

٢- خلق مفهوم الأسرة وأهميتها كما هو الحال مع خلق مفهوم المواطنة مثلا. وكما أشار الدكتور طاهر شلتوت إلى فكرة خلق «المفهوم» والتي استخدمت في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ١٠ سنوات لتعميق مفهوم أن التدخين ضار بالصحة، وبالفعل نشأ جيل جديد لا يُدخن، قال: «إن ترسيخ مفهوم أهمية الزواج بين أفراد المجتمع أمر بالغ الأهمية، ويبدأ ذلك من مرحلة الطفولة وحتى سن البلوغ، عندها نتوقّع أن ينشأ جيل جديد على وعي تام وإدراك كامل بقداسة الزواج وأهمية الأسر» (شلتوت، ٢٠١٤).

٣- هناك العديد من الدراسات التي طرحت أفكارا وحلولا مبنية على أسس علمية، ولكن المشكلة تكمن في التنفيذ والتطبيق بشكل كامل متكامل تشمل كل قطاعات الدولة، وليس القيام بإصلاحات جزئية لا تغني ولا تذر؛ لذا نجد قصور من قبل الجهات العليا التي بيدها التنفيذ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد تمت المطالبة منذ ١٠ عاما أو يزيد على إلزامية تطبيق دورات ما قبل الزواج واعتبارها من شروط إتمام عقد الزواج كشهادة الفحص الطبي للطرفين قبل الزواج ولكن إلى الآن الموضوع تحت الدراسة، لذلك توصي هذه الدراسة الجهات المعنية بسرعة الموافقة على تنفيذ هذا البرنامج لصالح المجتمع.

٤- إلزام المقبلين على الزواج حضور دورات خاصة بالزواج، ولا يتم عقد الزواج إلا بشهادة الحصول على الدورة على غرار الحصول على الشهادة الطبية، ويجب أن تتضمن:

- غرس مبادئ وقيم دينية ونفسية واجتماعية واقتصادية، وتحديد الحقوق والواجبات للزوج والزوجة وبيان أهميتها في بناء الأسرة واستقرارها.

- تعليمهم كيفية إدارة الغضب، وكيفية تفادي المشكلات وسرعة حلها في حال حدوثها.

- بيان أهمية الحوار الصادق بين الطرفين مع وجود الرغبة الحقيقية لإنجاح العلاقة الزوجية.

- تقديم التنازلات من الطرفين والاندماج النفسي والفكري والرغبة الحقيقية في إنجاح الزواج، التركيز على أوجه الاتفاق وليس الاختلاف لانهما انحدرا من ثقافتين وبيئتين مختلفتين.

- عدم السماح للأهل من الطرفين

بالتدخل في المشاكل والتحديات التي يواجهها الزوجين إلا إذا لزم الأمر.

- تعليمهم المرونة والتسامح والصبر والتنازل لتستمر الحياة، وتقبل وتكيّف الزوجين لبعضهما.

٥- عدم السماح برفع القضايا والبدء بإجراءات الطلاق إلا بعد التوجه إلى مراكز الاستشارات العائلية، والاستعانة قبل وبعد الزواج بهذه المراكز التثقيفية والعلاجية لإيجاد الحلول للمشكلات التي تطرأ على الأسرة.

٦- العمل على تحديث قوانين الأسرة وإصلاحها بما يتناسب مع عصرنا الحالي، فالإسلام صالح لكل زمان ومكان، ولكن التقاعس عن التغيير والإصلاح يشير إلى عدم الرغبة في الإصلاح؛ لذلك يجب إعادة النظر في قضية:

- حرمان المطلقة من أبنائها في حالة الرغبة في الزواج مرة أخرى، مما يؤدي إلى أضرار نفسية واجتماعية وأمنية، وأيضا لها تأثير سلبي على النمو السكاني.
- عدم تجنيس أبناء القطريات مما يؤدي الى إلغاء فكرة زواج المطلقة أو التي لم يسبق لها الزواج من الارتباط بغير قطري، خاصة أن عدد الشباب الذكور في سن الزواج أقل من عدد الفتيات، مما قد يؤدي الى انحرافات سلوكية تهدد استقرار المجتمع.
- إعادة النظر في قانون الوصاية، فإن انتقال الوصاية للأم على الأبناء بعد وفاة الأب يساعد الأبناء على الاستقرار مما يساهم في التنشئة الاجتماعية السليمة.

٧- تقترح الباحثة إنشاء مكتب أو مركز لاختيار شريك الحياة مخصص للتعارف بين الطرفين يقوم على أسس علمية لتحقيق الكفاءة في التوافق الفكري والاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين الطرفين، تحت مظلة إحدى الجهات الرسمية المختصة بأمور الأسرة.

٨- اجراء الكشف الطبي النفسي بجوار الكشف الطبي العضوي قبل الزواج.

٩- وضع مناهج خاصة تتعلق بالزواج والأسرة في المراحل التعليمية المختلفة.

١٠- الدخول في مجموعات علاجية في المراكز المختصة لعلاج آثار الطلاق على النساء والأطفال والرجال.

١١- طرح برامج تثقيفية وأفلام ومسلسلات اجتماعية تتناول بإيجابية موضوع الزواج في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

١٢- الطلاق المشهود أو الغيبي يجب أن يكون مصحوبا بورقة تمثل حقوق الزوجة والأبناء، ومستحقات الطلاق تكون بنسب ثابته وعادلة، ولا تترك لمزاج القاضي، لأن الجانب المادي قد يكون له تأثير في مراجعة الزوج لقراره، والتقليل من نسب الطلاق.

١٣- دور الحكومة القطرية في إعادة توجيه الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، والتعليم، ومؤسسات المجتمع المدني والمساجد والمراكز الدينية للاهتمام بالأسرة والتركيز على حالات الزواج الناجحة وإيجاد القدوات الحسنة، وتصحيح الصورة الخاطئة عن الزواج والأسرة، وبيان أهميتهما في المجتمع وعلى التنمية، وبيان الحقوق والواجبات وتحديدها، وبيان مخاطر الانفصال أو الطلاق وتداعياته على المجتمع.

إن معالجة ظاهرة الطلاق مسؤولية متكاملة تقع على كاهل الأفراد والمؤسسات في القطاع الحكومي والمدني للحفاظ على أمن واستقرار الأسرة القطرية والمجتمع والدولة.

الخاتمة :

الطلاق هو تفكك أسري يصيب العائلة بأسرها ويؤدي إلى تمزيق روابطها، وله أثر سلبي على أفراد الأسرة وتماسك المجتمع وتنمية الدولة ينبغي تداركه أفرادا وجماعات ومؤسسات؛ ولمعالجة أسباب الطلاق يجب النظر إلى مسبباته من زاوية جديدة وفكر جديد للحصول على نتائج جديدة.

وإذا كان لابد من الطلاق فينبغي أن يكون طلاقا حضاري يحصل بموافقة الطرفين ورضاهما، وبالاتفاق المسبق على الإجراءات المتعلقة بتبعات الطلاق والحضانة والنفقة، ومراعاة الأطفال نفسيا واجتماعيا بحيث لا يؤثر الطلاق على تنشئتهم السويّة؛ وقد حذر ﷺ من الفجور في الخصومة والتقاضي أمام المحاكم واستخدام الأطفال كوسيلة للضغط، وقال تعالى: « وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» (النساء، ١٣٠).

المراجع:

– القرآن الكريم

– جهاز التخطيط والاحصاء، www.psa.gov.qa.

– أحمد. (18 اغسطس, 2010). الترغيب في تخفيف المهر وتقليل مؤونة النكاح. تاريخ الاسترداد 22 اكتوبر, 2023، من اسلام ويب: 139060/www.islamweb.net/ar/fatwa

– احمد بن عبدالرحيم الدهلوي. (2005). حجة الله البالغة (الإصدار طبعة أولى). بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة.

– برهان غليون. (2005). العولمة وأثرها على المجتمعات العربية. اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الصفحات 19 من 1–34). بيروت: الاسكوا. تاريخ الاسترداد 5 اكتوبر, 2023، من www.unescwa.org

– بشار عبدالرحمن مطهر. عارف عبده الأتام. (2017). اتجاهات المتزوجين نحو دور وسائل التواصل الاجتماعي في انتشار ظاهرة الطلاق. دورية إعلام الشرق الأوسط(23)، الصفحات 1– 37. تاريخ الاسترداد 15 اكتوبر, 2023، من https://www.qu.edu.qa

– حمزة الجبالي. (2016). سنة أولى زواج. عمّان: دار عالم الثقافة للنشر.

– رواه أبوهريرة. (14 ديسمبر, 2014). شرح حديث:(إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه..). تم الاسترداد من الاسلام سؤال وجواب: www.islamqa.info/ 222203/ar.answers

– رواه ابوهريرة. (2023). شرح حديث:(تنكح المرأة لأربع..). تاريخ الاسترداد 16 اكتوبر, 2023، من الدرر السنية: 138602/www.dorar.net/hadith/sharh

– شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي. (د.ت). كتاب الفروق–أنوار البروق في أنواء الفروق. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

– طاهر شلتوت. (25 مارس, 2014). 49% من حالات الطلاق في قطر..للشباب. تم الاسترداد من جريدة الراية القطرية: www.raya.com

– عائشة ام المؤمنين. (2023). تاريخ الاسترداد 23 اكتوبر, 2023، من الدرر السنية: www.dorar.net/hadith/sharh/66513

– عائشة ام المؤمنين. (2023). شرح حديث: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه..). تاريخ الاسترداد 22 اكتوبر, 2023، من الدرر السنية: www.dorar.net/hadith/sharh/17555

– ماجد الأنصاري. (٢٠١٨). تجربة الحكم الرشيد في قطر (الإصدار طبعة أولى). بيروت: مطابع الدار العربية للعلوم.

– مجلس الشورى. (٣ ابريل, ٢٠٢٣). مجلس الشورى يناقش مشكلة الطلاق في المجتمع . تاريخ الاسترداد ٢٢ اكتوبر , ٢٠٢٣، من مجلس الشورى: www.shura.qa

– محمد البيومي بهنسي. (2016). العنف الأسري آثاره–أسبابه– وعلاجه في الفقه الاسلامي. مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات في الاسكندرية، مجلد 9(العدد 32)، 57 من 165–229. تم الاسترداد من https://bfda.journals.ekb.eg

– محمد صالح المنجد. (6 سبتمبر, 2022). لماذا طلّق الصحابة مع أن الصل في الطلاق المنع؟ تاريخ الاسترداد 16 اكتوبر, 2023، من الاسلام سؤال وجواب: www.islamqa.info/ar/354170/answers

– مسعود صبري. (2023). منهج الإسلام في الوقاية من الطلاق. تاريخ الاسترداد 15 اكتوبر, 2023، من اسلام أون لاين: www.islamonline.net

– مسعودة كسال. (2021). الآثار المترتبة على الطلاق في المجتمعات وفي المجتمع الجزائري. مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، المجلد 13(4)، 425 من 421–432. تاريخ الاسترداد 5 اكتوبر , 2023، من https://www.asjp.cerist.dz

– موفق الدين عبدالله بن أحمد أبن قدامة. (28 سبتمبر, 2016). المغنى. القاهرة: مطبعة المنار

ترسيخ القيم الدينية للأبناء في ضوء وصايا لقمان:

قراءة في المقومات والآليات

د. جميلة نور الدين بلعودة *

الملخص:

تُمثِّل هذه الدراسة قراءة تحليلية في معرفة كيفية ترسيخ القيم الدينية للأبناء، انطلاقًا من تحليل معطيات نموذج الحكمة الذي استعرضه علينا القرآن في وصايا لقمان. إذ تتبوأ الحكمة موقعًا بارزًا في المنظور الديني. وإذا كانت القيم الدينية تمثل كمالات الله، باعتبارها قيم ملكوتية، تؤطر الشخصية الإنسانية. وتعرج بها في مدارج الحكمة. استعرضنا في هذا البحث جملةً من القضايا المؤثرة في بناء الإنسان المستقيم، انطلاقًا من قراءةً في المقومات الرئيسية التي يتأسس عليها منهج الحكمة، ثم رصد الآليات التي وظفها لقمان الحكيم في ترسيخ القيم الدينية لابنه، وما يحفظ قواعد السلوك الأخلاقي. في هذا السياق، ناقشنا مقوم الحكمة وأهميته في صوغ السلوك الحكيم للأبناء، ووقفنا على بعض الآليات التي تهدف إلى تثبيت الحكمة في سلوك الأبناء. كما قمنا بقراءة للمقوم التوحيدي ودوره في ترسيخ القيم للأبناء، لكونه يمثل الإطار النظري للحكمة، وعنه تتفرع القيم المؤطرة للحياة ببعديها الذاتي والاجتماعي. وأهم الآليات التي تثبت القيمة العليا في سلوك الأبناء. ثم عرجنا على قراءة في مقوم المحاسبة واستدعاء البعد الأخروي في ترسيخ قيمة المراقبة. وأهمية ترسيخ القيم للأبناء عبر آلية التعابير الحركية الموظفة في هذا السياق. وختمنا بآليات بناء القصد في ضوء معطيات الحكمة، بناءً على منهج يعتمد على التحليل للمقومات المركزية في خطاب

(*) باحثة في دراسات القرآن والسنة- دكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الحكمة. وآليات ترسيخ القيم ومن ثم، تحليلها في ضوء معطيات النصوص المؤطرة. اعتماداً على الدراسة السياقية.

مقدمة:

تحظى منظومة القيم بموقع مُهِمٍّ في المنظور الديني، وتتعزَّز قيمتها في كونها تجسد معطيات السلوك الأخلاقي؛ الذي انتقاه الله في صوغ الشخصية التي يتبناها القرآن لبناء معطيات السلوك الحكيم. ولما كانت أسماء الله الحسنى كمالات الله التي تتجلى في أخلاق عباده، فإنّ منظومة الأخلاق تفتح أبواب التعامل مع جهاز القيم. وتعيد صوغ العالم الملكي بصبغة ملكوتية، صدق الله إذ يقول: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾[البقرة: ١٣٨]؛ من هذا المعطى، يرتقي الإنسان في معارج الحكمة. وإذا كان مصدر القيم منحًا ومآلًا يعود إلى كمالات الله، فإنّ القيم لا تخرج إلّا من هذا المورد. ولا تعرف الحكمة إلّا بمعرفة مصدرها. وعليه، فإنّ القيم هي «المعاني الملكوتية التي يستمدها الإنسان من الأسماء الحسنى»[1]. فإن كانت الحكمة تُعَد من أبرز القيم؛ التي تجسد في منطلقاتها وأهدافها عروجًا بالإنسان في مدارج الكمال الأخلاقي، فإنّ القيم الدينية هي الآليات المتوسل بها لبلوغ الحكمة. وقد وسم الله الكتاب باليقين لأنّه السبيل الموصل لإدراك القيم، باعتباره المصدر؛ الذي تخرج من مشكاته. إذن، هناك فرق جلّي بين قيم يفرزها العقل في طابعه الملكي وبين قيم صادرة عن غيب في قالبه الملكوتي. تهدي الإنسان نحو الخلود، لما تحمله من دلالات اليقين والصدق في جوهرها، وتسير به نحو الأعلى. إذن، يفترض أن يكون تخلق الإنسان وعمله على مقتضى الدين.

إذا كانت الحكمة تقتضي تمثل القيم والارتقاء بها تخلقًا وعملًا، فإنّ بلوغ مخرجاتها يتطلب أن يعبد الله على مقتضى الإحسان، متجاوزًا الإنسان مقتضيات الواجب في رحلة السعي الأخلاقي. واستدعاء هذه القيمة، يحتاج إلى بناء الإنسان الحكيم؛ الذي يستشرف هذا المقام، متجاوزًا المنظور المادي للحياة، ومتفاعلًا مع المعطى الأخلاقي؛ الذي يغذي الروح ويقوم السلوك في أرقى صوره. ولا يمكن إقامة الحكمة، إذا لم يتوسل الحكيم بالقيم الدينية التي تؤطر السلوك في جميع جوانبه. ذلك أنّ هذه القيم تحيل إلى

مصدرها الغيبي ومقرراته. وقد عبر القرآن عن دلالات هذا الصعود في قوله جلّ شأنه: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[فاطر: ١٠]. كما أنّ الإنسان يصعد بهذا التخلق إلى الموطن الذي صدرت عنه القيم (الله)، لكن هذا الصعود لا يتم إلّا بإصعاد إلهي لمردود الإنسان من طيبات القول وصالحات الأعمال. بتعبير أدق، بلوغ الحكمة يقتضي الترقي الأخلاقي المتواصل. وهذا لا يحصل إلّا بالاستعانة بهدايات الكتاب. ونظرًا لأهمية القيم في صوغ السلوك. وما تتمتع به من خصوصية دينية مفارقة، لكونها ترتبط جذريًا بالخط الإلهي المستقيم؛ الذي تتأطر في ضوئه مسيرة الإنسان في الوجود. وتتحدَّد على إثره العواقب الإنسانية.ما يعطينا دفعاً أقوى لمناقشة موضوعًا مهمًا، يتعلق بكيفية تربية الأبناء على منظومة القيم وترسيخها في ضوء معطيات الحكمة.

ونتيجةً لما تزخر به وصايا لقمان من لطائف الحكمة، ستكون محورًا لهذه الدراسة. نناقش من خلالها المقومات التي يتأسس عليها منهج الحكمة، انطلاقًا من رصد الآليات الموظفة قرآنيًا في تثبيت القيم الدينية، وحفظ قواعد السلوك الأخلاقي للأبناء. تندرج هذه الدراسة ضمن توجه جديد في قراءة القيم بوصفها المضمون الأخلاقي؛ الذي تصاغ في ضوئه الشخصية الحكيمة، وهي بدورها جزء لا يتجزأ من البنية القرآنية المتكاملة. وكذا تجديد النظر في التعامل مع القيم الدينية بهدف إحداث نقلة نوعية في كيفية الاستفادة من الدرس القرآني لرصد منظومته القيمية. والغوص في أبنيتها السياقية وامتداداتها الأخلاقية. وعليه، تهدف الدراسة إلى الوقوف على كيفية ترسيخ القيم الدينية في الأبناء، انطلاقًا من وصايا لقمان التي انتقيناها كنموذج لدراسة القيم التي تؤثر في صوغ السلوك الحكيم في السياق القرآني. كما تعَد هذه الوصايا نقلةً نوعية بخطاب التربية على القيم في بناء النموذج الصالح في سياقات الحكمة. هذا النموذج؛ الذي يستشرفه الله ويتعهده الوالدين بالتربية في ضوء منهج الحكمة. لهذا تحاول هذه الدراسة رصد المقومات الرئيسية التي يبنى في ضوئها السلوك الحكيم للأبناء. وسنعتمد بدايةً على قراءة لهذه المقومات، انطلاقًا من مقوم الحكمة وأهميته في ترسيخ السلوك الحكيم

للأبناء، وتتبع الآليات الموظفة في تثبيت هذه القيمة في ضوء السياق. بعدها نعرج على المقوم التوحيدي ودوره في تأسيس القيم الدينية في سلوك الأبناء، وتجلية آلياته.

ثم نستعرض أهمية مقوم المحاسبة في ترسيخ قيمة المراقبة في الأبناء، وتجلية ثمارها في واقع السلوك. ونختم بآلية مهمةً اعتمدها لقمان في ترسيخ القيم. فقد وظف بعض التعابير الحركية في تعليم الأبناء القيم بهدف تأطير الكلام وحركة السير الإنساني. لقد روعي في هذه الدراسة توظيف المنهج التحليلي؛ بُغْيَةَ الكشف عن كيفية ترسيخ القيم الدينية في الأبناء، انطلاقًا من تتبع موارد القيم التي صيغ في ضوئها منهج الحكمة، وتحليل معطياتها. ثم رصد الآليات التي وظفها لقمان في تثبيت القيم في سلوك ابنه، باعتباره النموذج التطبيقي؛ الذي تتجلى فيه معطيات الحكمة. ومن ثم، تربية الأبناء على السلوك السوي؛ الذي استهدفته وصايا لقمان لتنمية البعد الأخلاقي في الشخصية، وإنماء عناصر الحكمة في الأبناء. والمُلاحَظ أنَّ هذا الموضوع بوصفه محاولة متواضعة لاستجلاء المقومات التي يبنى في ضوئها منهج الحكمة، فإنّه يهدف أيضًا إلى محاولة الوقوف على كيفية ترسيخ القيم الدينية في الأبناء. ذلك أنّ هذه الوصايا تعمل في صميم الفعل الأخلاقي. ومن ثم، تحليل جملة من التعابير الأخلاقية التي تشكّل مداخل مهمة في تكوين شخصية الأبناء.

أولًا: قراءة في المقومات التي يبنى في ضوئها السلوك الحكيم للأبناء/ وصايا لقمان نموذجًا:

١ – قراءة في مقوم الحكمة وأهميته في ترسيخ القيم الدينية للأبناء:

يدور السياق حول مفهوم الحكمة ودلالاته السلوكية في بناء النموذج المثال. وقد انتقى لقمان لتجسيد هذا المفهوم، بهدف إنماء شخصية ابنه ووضعها على طريق الحكمة. كما نلفت الانتباه، أنّ مدار الحكمة هنا، يدور حول تأسيس منهج التربية على قواعد الحكمة في المنظور الديني. لذا ينبغي أن نجلي بعض الحقائق المهمة التي تفيد في ترسيخ السلوك الحكيم للأبناء. انطلاقًا من أنّ مصدر الحكمة هو الله ومخرجاتها تنبعث من حقائق

الكتاب، يقول سبحانه: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ، هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ**﴾ [**لقمان: ٣/٢**]. هنا، تبدأ مسؤولية لقمان في تعهد الابن بمبادئ الحكمة، وما ينضوي تحتها من قيم تصوغ السلوك المستقيم. بتعبير أدق، ترسيخ قيم الكتاب وتجلياتها الأخلاقية في بناء مفردات الحكمة. لذا يبدو أنّ السلوك الحكيم لا ينبت إلا على مواقع الهدى. كما أنّ «وصف الكتاب ب: رحمة بعد هدىً، لأنه لما كان المقصد قصة لقمان نبه على أن ذكر القصة رحمة لما تتضمنه من الآداب والحكمة؛ لأن في ذلك زيادة على الهدى أنه تخلق بالحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والخير الكثير رحمة»[٢].

انطلاقًا من الآيات، وصف الله الكتاب بالحكمة والهدى والرحمة في قوله: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ، هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ**﴾ [**لقمان: ٣/٢**]، مقابل وصفه باليقين والهدى في قوله: ﴿**ذلك الكتاب لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى للمتقين**﴾ [**البقرة: ٢**]. فإن كان الخطاب الأول يستهدف النموذج المحسن، فإنّ النص الثاني يتقصد النموذج المتقي. فما دلالة هذه التوظيف؟ انطلاقًا من النصوص المؤطرة لخصائص الكتاب، أكد القرآن على خاصية اليقين، (لا ريب فيه) والهدى. كما وسمه بالحكيم، لأنّ السياق يناسب ذلك. فالكتاب مصدر الحكمة، ثم تحدث عن تجليات الحكمة الظاهرة والباطنة من خلال صوغ هذا النموذج. ومنه ينطبع السلوك الحكيم في الذرية الصالحة. هنا، يتأكد لدينا، أنّ مقام الإحسان لن يبلغه الإنسان إلّا عبر الإيمان. ومن لم يتحقق به، لن يأخذ حظه الكامل من الرحمة الإلهية. وعليه، فإنّ المتقي من «يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك»[٣]. أما الهدى هو»الدلالة الموصلة إلى البغية»[٤]. فلا يهتدي به إلّا المتقين، كما لا يرحم به إلّا المحسنين. ممّا يعني أن التقوى تقتضي مراعاة الحدود الإلهية المؤطرة للفعل. والإحسان هو الارتقاء في الصالحات لمزيد من الترقي الروحي والأخلاقي لبلوغ رتبة الكمال. بهذا تكون التقوى هي القاعدة المؤطرة للشخصية المؤمنة، ثم الارتقاء إلى مقام الكمال الإحساني. هذا بدوره، يعني أنّ التقوى شرط لتحقق الإيمان، أمّا الرحمة ثمرة للإحسان، يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ اللـه**

FAMILY

مَعَ الذين اتقوا والذين هُم مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

هنا، يتبين لنا أنّ من يتحقق بالإيمان، يضع النفس على طريق الإحسان. وينفتح على الزيادة في مدارج الكمال الأخلاقي، يقول عزّ شأنه: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]. كما ربط الله بين الرحمة والإحسان في قوله: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف:٥٦]. فإذا كانت الحكمة تقتضي استدعاء جملةً من القيم المحصلة لها كالهدى، الرحمة، الإحسان، العبودية، الإيمان، العمل الصالح، فإنّ الحكيم من تتجلى في سلوكه السمات المشكّلة للحكمة. لذا يتوجب علينا، أن نرصد التأسيس القرآني للقيم وآليات ترسيخها في سلوك الأبناء، انطلاقًا من نموذج الحكمة الذي يعرضه، كمنهج لتأسيس الفعل التربوي ومخرجات الحكمة من الناحية النظرية والعملية، يقول عزّ شأنه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ [لقمان: ١٢]. قدم القرآن توطئة رسم من خلالها تصورًا نظريًا لنموذج الحكمة وتجلياته على النموذج المثال (الأبناء) ليكون بذلك نموذجًا اقتدائيًا في تربية النشء الصالح وتأثير الحكمة في صوغ السلوك القيمي للأبناء، مؤكدًا أنّ الحكمة عطاء وهبي أكرم الله به لقمان؛ بل هي تجلي من تجليات حكمة الكتاب.

آليات ترسيخ الحكمة في سلوك الأبناء في ضوء وصايا لقمان:

اعتمد لقمان في تأسيس قيمة الحكمة على جملة من الآليات نرصدها على النحو الآتي:

أ: المزاوجة بين النظر والعمل في إرساء قواعد الحكمة:

يصوغ القرآن مفهوم الحكمة من خلال تجلياته على مستوى النظر والسلوك. فإنّ كانت الحكمة تعني «العلم المؤيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم... فإنّ مدارها على إصابة الحق والصواب في القول والعمل»[٥]. لذا عمد القرآن إلى بناء المفهوم من خلال الجمع بين معطياته، موظفًا القرآن شخصية لقمان لتجسيد صورة الأب الحكيم؛ الذي يعلم ابنه التفكير السديد تبعًا لمعطيات الحكمة نظريًا (النهي عن الشرك، التوصية بالوالدين، النهي عن الكبر...). وبناء السلوك الحكيم

عمليًا. فإن كان القرآن قد جمع بين معلم الحكمة (الأب) والمتعلم لها (الابن). هذا يعني، أن معلم الحكمة يجسد الجانب النظري. والابن يعكس الجانب التطبيقي. والهدف من وراء هذه المزاوجة، يكمن في بناء معطيات التفكير المتزن في ضوء منهج الحكمة، لأنّ الحكمة هي مادة التربية ومهمة الحكيم هي الكشف عن مدلولات الحكمة وآليات بنائها في واقع الأبناء. ثم نقلها من الفكر للعمل، يقتضي تأسيس منطلقات التفكير الصحيح للأبناء ثم تربية السلوك، تبعًا لمقتضيات الحكمة. يمكن أن نجلي مدلول الحكمة حسب التوصيف القرآني، انطلاقًا من كونها تجليًا للخير الإلهي، يقول سبحانه: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [**البقرة:٢٦٩**]. وقد خصّ الله بها ذوي الألباب، لأنها تمثل مجامع الخير وتجليات الكمال على الشخصية السوية. لذا تبدو عطاءً إلهيًا، يستوجب الشكر. ممّا يعني، أنّ الشكر من مقتضيات الحكمة، بوصفه من تجلياتها الظاهرة.

وعليه، فإنّ الله المعطي للحكمة (المنعم) يقابله الإنسان المعطي للشكر (المنعم عليه). يتوجب عليه منح الشكر حيال الكرم الإلهي. كما أنّ الحكمة (نظر) تثمر قيمة الشكر، يقول عزّ شأنه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾ [**لقمان:١٢**]. فضلًا على هذا، فإنّ شكر الله يورث شكر النفس، لأن عائد الشكر ينفع الإنسان؛ الذي تقوم به دواعي الاحتياج. هذا بدوره يثمر الاستزادة من النعيم الإلهي، يقول سبحانه: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[**إبراهيم:٧**]. كما أنّ الجحود يورث الخسران، لكونه يناقض المبدأ الأخلاقي في التعامل مع الله. والانكماش في بذل الخير، يجعل صاحبه يحوم حول ذاته. وما الحكمة إلّا وعاءً للخير، ومن لا يؤدي حق الشكر محروم منها، لأنّ التوجه بالشكر لله يعني صون الوصلة بين المنعم والمنعم عليه، ومنحها الامتداد غيبًا وشهادةً. وعليه، يحتل الشكر موقعًا بارزًا في سياقات الحكمة، باعتباره مادةً حيويةً تغذي سر العلاقة بين الله (الحكيم) والإنسان (مجلى الحكمة)؛ بما يجعلها

وصلةً منفتحة على مزيد من العطايا، يقول سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**﴾[**الأعراف:٩٦**]. بناءً على هذا، يقرّ القرآن أنّ الجحود يقطع الوصلة بين الإنسان وتعلم الحكمة، لأنّها من تجليات الخير الإلهي. والجاحد قاطع لوصلة الثناء بالحق؛ فأنى له أن تتجلى على قلبه أنوار الحكمة ويجود الله عليه بلطائفها؟ وهو لا يعترف بالفضل وجودًا وإنعامًا. يمكن أن نرصد طريقة صوغ الحكمة في شخصية الأبناء من خلال جملة من الملاحظ:

– صوغ مفهوم الحكمة من خلال تجلياته الظاهرة: مبدأ الشكر، مبدأ التوحيد، مبدأ الإحسان، المبدأ العبادي الذاتي(**الصلاة**) والاجتماعي (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**).

– جمع مفردات السلوك الحكيم وتصنيفها حسب المعيار القرآني: كشف عن القيم لإيجابية التي يبنى في ضوئها السلوك الحكيم منها: (قيمة الشكر، قيمة التوحيد، قيمة الإحسان، قيمة العبودية، المعروف والنهي عن المنكر، القصد في المشي، غض الصوت) وكذا القيم السلبية التي تهدم السلوك الحكيم منها: (الشرك، إتباع موروث الآباء، تصعير الخد).

– ربط الأبناء بجوهر الفكرة من خلال العناصر المشكّلة لها: يؤكد عبد الرحمن مرحبًا أنّ الإنسان لا يفسر إلّا في ضوء عالم الأفكار،»والذين لا يفكرون هم بلا عنوان ولا هوية»[٦]. لهذا حرص لقمان على تشكيل العقل من خلال تأسيس قيمة الحكمة في وعي الابن. وذلك ببناء العقلية والنفسية وفقًا لمتطلبات الحكمة. متخذًا منها إطارًا للحركة ومجالًا لاستثمار العقل، وتطوير خبرات الابن وإعادة صياغة الفكر والوجدان، تبعًا لمقتضيات هذا البناء وأدواته. إنّ المتتبع للآيات، يدرك أنه بدأ بتأصيل فكرة الوحدانية لضبط الاتجاه تبعًا لمفردات الحكمة. وربط الابن بالقيمة المؤطرة للوجود، ومن ثم، تنمية السلوك الحكيم في التعامل مع مختلف العلائق (العلاقة الشاقولية/ العلاقة الوالدية/ العلاقة الذاتية/ العلاقة الاجتماعية/ العلاقة الأخروية). وبناء وعي البنوة ونظم القيم في وحدة مصفوفة تبعًا

لأهميتها في الخطاب الإلهي. إذ تعد هذه الآلية من أنجع الطرق في تمثل القيم في الواقع. كما أنّ هذا التأسيس يغدو رافدًا فكريًا، ينسج جملةً من القيم الموجهةً للسلوك. ويلعب دورًا مهمًا في تشكيل المثل الأعلى، يقول عزّ شأنه: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[**لقمان:١٢**]. ثم ركز الخطاب على صوغ مفردات القول (**شكر الله، شكر الوالدين، غض الصوت**)، ثم انتقل إلى السلوك (**إقامة الصلاة، الأمر بالمعروف، الصبر، القصد...**) ليؤكد على تعاضدهما في بناء الحكمة.

يتأكد لدينا، أن لقمان لم يضع مسافة تفصل القول عن العمل أثناء القيام بالمهمة التربوية. فقد تبنى هذا المبدأ في عملية تخليق ابنه عملًا بمقتضى التخلق الرباني. وأرسى ذلك في قوالب الفكر والعمل، ذلك أنّ لقمان صاغ نموذج الحكمة في واقع متحرك، حتى يصل النظر بالعمل، والعلم بالقيم، كما ربط العقل بالغيب، حتى ينتفع الابن بالعلم والعمل معًا، يقول سبحانه: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [**لقمان: ١٦/ ١٧**]. في هذا السياق، يجمع لقمان لابنه الإمكان النظري والتمكن العملي لتحقيق عناصر التكامل في بناء شخصية ابنه. لعلّ هذا الأمر يطرح تساؤلًا عن دلالات الجمع وأبعاده في الشخصية الحكيمة. فإذا كان القرآن يؤكد على الجمع بين التخلق الحكيم وتنمية النظر البصير. فإنّ معلم الحكمة يريد تنمية التفكير حتى يؤهله لبلوغ مستويات الحكمة. لذا عمد إلى مبدأ المزاوجة، لأن تعليم الحكمة يقتضي عدم انفكاك العلم عن العمل. كما أنّ النظر يورث البصيرة، فإنّ العمل يورث الحكمة. إنّ المتأمل في فلسفة المعلم يدرك أنه لم يربط الابن بالسلوك. إنما بالفكرة الثاوية خلفه. ومن وظيفة العقل الاقتدائي استحضار جوهر الفكرة أثناء القيام بأي سلوك. هذا شأن العقل؛ الذي يقتدي بوعي وليس العقل المقلد، الذي لا يدرك أبعاد الفكرة.

ب: مراعاة الترتيب العلائقي

ودوره في ترسيخ منطلقات السلوك الحكيم:

يفتتح لقمان هذه الوصايا بالقيمة الجامعة لمقتضيات الحكمة (التوحيد)، باعتبارها مصدر الحكمة. وما دور لقمان سوى توريثها لابنه حتى يمتد السلوك الحكيم في منهج الحياة. فإذا كان التوحيد هو الفكرة الجوهرية؛ التي تبنى في ضوئها قواعد السلوك ولا تخرج الحكمة إلّا من مشكاة هذا النور. فإنّ الآيات تطرح أبعاد العلاقة الوالدية ودلالاتها الأخلاقية في ضوء منهج الحكمة، يقول سبحانه: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [**لقمان: ١٣/ ١٤**]. أكدّ القرآن أن العلاقات تبنى في ضوء النسق التوحيدي، هذا يعني أنّ التواصل مع الله، يتم في سياق توثيق العلاقة عبر الإيمان بالله، كبداية لتأسيس كينونة عبادية، يقول تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾[**لقمان:١٢**]. كما يعتبر اليوم الآخر محصلة لتقييم جهود الحركة العبادية، يقول سبحانه: ﴿**ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[**لقمان:١٤**]. فضلًا عن هذا، أعاد تأطير التصور النظري للابن من خلال نظم العلاقات، بناءً على معطى الإيمان. فإن كانت العلاقة الشاقولية تبنى على مقتضى العبودية، فإنّ العلاقة الوالدية تتم على مقتضى الإحسان والعلاقة الأخروية على مقتضى الصدق في مكاشفة صريحة بين الله والإنسان.

٢- قراءة في المقوم التوحيدي ودوره في ترسيخ القيم الدينية للأبناء:

إذا كان التوحيد «أساس جميع الكمالات، ومنشأ المقاصد السامية ومنبع الحكم المودعة في خلق الكون»[٧]. فإنّه يمثل القيمة العليا التي تتأسس عليها العلاقات الإنسانية. هنا، يصبح الإيمان خيارًا أخلاقيًا، يتحدد في ضوئه المنطلق والمآل. لهذا يقرّر لقمان أنّ الله مركز الوجود، تأكيدًا منه على المرجعية المانحة للوجود. فلا ت تصورات الإنسان وقيمه ولا يترسخ السلوك السوي إلّا في ضوئها. من هذا المنطلق، يؤكد لابنه أن مفردات الحكمة تبنى في

ضوء الشكر، لأنه اعتراف بالفضل الإلهي. ومن تجليات هذا الفضل الهداية للتوحيد. فكأن الشكر من مقتضيات الحكمة، ولا يمكن توريث الحكمة إذا لم يؤد حق هذه المزاوجة الأخلاقية. فأما شكر الله، فلأنه مصدر الحكمة، وأما الوالدين، فلأنهما يتعهدان منهج الحكمة في الأبناء بالامتداد، يقول سبحانه: ﴿**كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [**الإسراء:٢٣**]. وتقنين آلية الشكر كبرهان على الوفاء بالحق الإلهي والوالدي، يُعَد قيمة عملية، تهدف بدروها إلى توريث الحكمة على مقتضى السلوك. فلا توجد مسافة فاصلة بين القول والعمل في منهج الحكمة. من هنا، يتقرر لدينا مبدأ التكامل بين الحق الإلهي والوالدي على خط العمل. لهذا وصل الله بينهما في قوله: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [**الإسراء:٢٣**].

إذن، تركيز لقمان على تأسيس المنطلق التوحيدي في شخصية الابن، دلالة أنّ البناء العقدي يمثل الإطار النظري للحكمة، وعنه تتفرع جميع القيم المؤطرة للحياة الفردية والاجتماعية. ومن مقتضيات الإيمان توحيد الله عزّ شأنه. لهذا بدأ لقمان الحكيم بالنهي عن الشرك، لأنه أصل الإصلاح. وإصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل. ثم جاء البر بالوالدي، لأنه من الأصول الشريفة، يقول سبحانه: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [**الإسراء:٢٣**]. وتقدير الكلام «وأحسنوا إحسانًا بالوالدين، كما يقتضيه العطف، على (ألّا تعبدوا إلّا إيّاه)، أي وقضى إحسانًا بالوالدين. وعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله، لأنّ الله هو الخالق، فاستحق العبادة، لأنّه أوجد النّاس، ولما جعل الله الأبوين مظهر إيجاد النّاس أمر بالإحسان إليهما، فالخالق مستحق العبادة لغناه على الإحسان، ولأنّها أعظم الشكر»[٨]. بينما الوالدين تقوم فيهما دواعي الاحتياج. لذا أمر بالإحسان إليهما. بناءً عليه، يمكن أن نرصد جملةً من المعطيات لتجسيد مفهوم الحكمة. أبرزها تحديد الوجهة والمقصد لابنه في مسار الحركة الدنيوية، بهدف تأسيس المبدأ (الإيمان بالله)، يقول سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾[**لقمان: ١٥**]. والمآل (اليوم الآخر)، مقررًا أنّ مرجع الأعمال تعود إليه، يقول سبحانه:

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[لقمان: ١٥].

رسم لقمان التصور العقدي لابنه، باعتباره الأساس؛ الذي تبنى في ضوئه الشخصية. إذ لا يمكن فهم الوجود إلّا في ضوء التوحيد، حتى يتصالح الابن مع مصدر وجوده في سياق الإيمان ومقتضيات العبودية. ذلك أنّ الله هو المانح للوجود أصالةً. هذا يقتضي الاعتراف بفضل الله (نعمة الايجاد) وأداء حق الشكر له. وأبرز مظاهره إفراد الله بالعبودية ونبذ الشرك. ثم أداء حق الوالدين، لكونهما مظهرًا لهذا الايجاد. ومن هنا، فإنّ ما قام به لقمان في منهجه التربوي لتأسيس منطلقات الحكمة في ذريته، يستهدف بناء العلاقات الوالدية في ضوء المنطلق التوحيدي. ذلك أنّ مركزية التوحيد تتأثر بها جميع العلائق، فكلها تنطلق منه وتؤول إليه. من هنا، يتأكد لدينا أهمية هذا المقوم، كهدف مركزي للإنسان بوصفه مخلوقًا. وإن كانت القيمة قد وردت في سياق سلبي (الشرك بالله)، معللًا ذلك بالظلم العظيم، لأنه اختزال للنفس في إمكاناتها الروحية والأخلاقية. وانحصارها في الوجود المادي دون التطلع إلى آفاق الملكوت. لهذا ما ينبغي أن يدركه المتعلم أن الإنسان في وجوده لا يتكامل إلّا في ضوء هذا المقوم. هذا الأخير؛ الذي يمنح الإنسان وحدةً مصفوفةً بين عالم الغيب والشهادة، فأما جهاز القيم فيؤطر الوجود المعنوي للإنسان. وعالم الشهادة إمكانية مفتوحة لمباشرة الإيمان والعمل الصالح، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان:٩]. وقد ورد هذا المقوَم في سياق آلية الوعظ التي تناسب الخطاب للأبناء.

أ: أهمية آلية الوعظ في ترسيخ قيمة التوحيد: وظف أسلوب الوعظ لأهميته في بناء الحسّ الوجداني للطفل. وتطوير مشاعره تجاه الله، حتى ينفتح قلبه على هذا الخطاب. استخدم (يا بني) لتقريب المسافة الوجدانية بينهما (الوالد/ الولد)، واستثمار هذا البعد في استحضار الذهن، القصد منه حفز المشاعر للإقبال على الخطاب الرحيم، لأن الكلام عن مدلول عظيم (الله) يتطلب التهيئة النفسية، كخطوة مفتاحية لسكب هذه القيمة في القلب.

وَالتَّصْغِيرُ «فِيهِ لِتَنْزِيلِ الْمُخَاطَبِ الْكَبِيرِ مَنْزِلَةَ الصَّغِيرِ كِنَايَةً عَنِ الشَّفَقَةِ بِهِ وَالتَّحَبُّبِ لَهُ، وَهُوَ فِي مَقَامِ الْمَوْعِظَةِ»[٩]. كما أنّ هذه القيمة تشكل حلقةً جوهرية، تبنى في ضوئها جميع الأفكار والأعمال، لكونها النسق الموجه لحركة الحياة، صدق الله إذ يقول: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ**﴾ [**لقمان: ١٢**]. واعتماد هذه الطريقة يولد القدرة على الإحاطة بتجليات القيمة على السلوك الظاهر. فقد أعاد لقمان سكب مفردات السلوك ضمن هذا التصور التوحيدي. وربط السلوك بدافع ديني، يجعله سلوك هادف (قيمي) وينقله من الوضع الشكلاني إلى التمحور حول قيمته في المعيار القرآني. هذا التوجيه الأبوي، وإن كان يستهدف وجدان البنوة، فإنّ هذه الآلية مناسبة لمرحلة الطفولة ومقتضياتها الوجدانية.

لقد أدرك لقمان أهمية هذا الخطاب، لأنّ الوظيفة التربوية تقتضي استدعاء الآلية المناسبة لهكذا مرحلة عمرية مراعاةً لاحتياجاتها النفسية وتغذية مشاعر الأبناء بعواطف الأبوة وحنانهم الدافء. كما أنّه يخاطب جزءً من كيانه النفسي، ويقدم القيمة التربوية في قالب وجداني، يحفظ شخصية الأبوة وجماليات التخاطب. ويعكس أصالة الرحمة التي تكتنف الوالدين. كأن لقمان فتح العلاقة بينهما لاستقبال موحيات الجمال والدفء الوالدي، حتى تتهيأ للنظر الأخلاقي الأسمى لتأسيس قيمة التوحيد في كينونة الابن. فإذا كانت العلاقة الوالدية، تقتضي ممارسة الحنو حيال الأبناء، فإنّ إفراد الله بالألوهية وتخصيصه بالربوبية، وإدانة الشرك ممّا يقتضيه الإيمان بالله، باعتباره مانح الوجود للوالد والولد معًا. هنا، يتأكد لدينا، أنّ الله أولى بالحق، لأن الشرك يتعارض مع النسق التوحيدي. كما أنّه ظلم للنفس، لأنّه تضليل لها عن السبيل القويم. عصارة القول، أنّ مفردات السلوك الحكيم، تعتبر مدخلًا لبناء التوازن في الابن من خلال التركيز على جملة من السلوكات الذاتية والاجتماعية؛ التي تعتبر بمثابة لبنات أساسية تشكل الضمير وتبنى في ضوئها هويةً عبادية وأخلاقيةً للأبناء؛ بل تشكل الخلفية الفكرية والقيمية لهم.

ترسيخ قيمة الحكمة في ضوء النسق التوحيدي:

يبدو من السياق، أنّ لقمان أراد بناء

نموذج قيمي على مستوى النظر والعمل. فقد رسخ في ذهن المتعلم مدى تأثير قيمة التوحيد في صوغ العلاقة الوالدية، لكونها مبنية على المعطى العقدي؛ الذي يرسم الإطار النظري للمعاملة. والحكمة تصوغ السلوك السوي؛ الذي ينسجم مع المبدأ التوحيدي. بتعبير أدق، التوحيد يرسخ فلسفة النظر الصحيح، والحكمة تثبت السلوك المستقيم. هنا، ينبغي أن نشير أن القرآن ركز على التوحيد لأهميته في صوغ الأسلوب الحكيم حتى يرسخ النظر التكاملي لمفهوم الحكمة. لم يتوقف عند هذا الحد؛ بل قام بتربية الذهن على ضرورة إعمال النظر في الموروثات الفاسدة، وعدم قبولها لافتقادها للبرهان الذي يثبت صحتها. كما أنّه أتاح للأبناء فرصةً لتبني موقف أخلاقي إزاء الله والوالدين. هنا، نلفت الانتباه، أنّ من تجليات الحكمة أنّه أوصى ابنه بصون الإيمان عبر توحيد الله. وهذه مبادرة أخلاقية، تؤكد أنّه من الضروري ترتيب عناصر الحكمة في صوغ العلاقات وترتيبها مراعاةً للحق الأكبر. فكما عامل لقمان ربه، عندما أوصى ابنه برعاية حق الله، عامله الله بذات المبدأ، فأوصى ابنه برعاية حق والديه. كأن هذه التوصية ثناء من الله على معلم الحكمة في سياق تبادل أخلاقي بين (الله/ الإنسان). كما أكد الله على محورية الشكر كقيمة مركزية في خطاب الوالدين، يقول سبحانه: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [**لقمان: ١٤**]. فقد وردت التوصية بهما في سياق شكر الله. هنا، يعلم الله الأبناء التعامل الأخلاقي مع الوالدين.

حرص القرآن على تثبيت قيمة الشكر، كمشترك جامع في بناء العلاقة الشاقولية والوالدية، لكونها تجسد تواصلًا أخلاقيًا بين الأبناء والله، وتبني معيارًا قيميًا في صوغ العلاقة الوالدية، تبعًا لمعيار الحكمة. وإن كان النبي عليه السلام يؤكد على قيمة المسؤولية في بناء السلوك العقدي للأبناء في قوله صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»[١٠]. نقل الحديث الوالدين من المسؤولية المادية الصرفة إلى عمق التنشئة السوية للأبناء. وأكد على المرجعية العقدية الصحيحة للأبناء، ونقل الدور الوالدي إلى إضفاء القيمة المعنوية على قيمة المسؤولية في تربيتهم للأبناء. هذا ما يفتح المجال لتقييم

القيمة في الواقع الأسري، حتى نتبين مدى النجاح في ترسيخ القيمة للأبناء. أشار الله إلى أصل هذه المسؤولية في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [**التحريم: ٦**]. هنا يؤكد على المصدر القيمي لمسؤولية الوالدين على التنشئة السوية للأبناء. وكلّ نهج يعارض هذا المبدأ هو إخفاق في تحملها. قد يحدث انتهاكًا للقيمة في شقها المعنوي، فينهج الوالدين نهجًا معارضًا للأصل الفطري. هنا، وضع التدابير الاحترازية لما يتعلق الأمر ببناء المعتقد الديني. ومنح الأبناء الحق في عدم الطاعة في حالة انتقاء الآباء وجهة غير صحيحة. هنا، تتدخل مسؤولية الأبناء في رفض المقررات الوالدية إذا عارضت التوحيد.

تأطير العلاقة الوالدية في ضوء مفردات السلوك الحكيم:

جمع لقمان في هذه الوصايا أصول الشريعة» الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة وأدب النفس»[١١]؛ بل قدّم القرآن الحق الوالدي في سياق التوصية، فما دلالات هذه التوصية؟ من المعلوم، أنّ النهي عن الشرك، يعني أن النفس مهيأة للكمال والتزكية على طريق العبودية. والإصلاح يبدأ من إِصْلَاحَ الِاعتقاد، لأنّه أصل لصلاح العمل. ولا شيء يفسد الجوهر الإنساني سوى الشرك. لهذا أدانه القرآن. تكتسب هذه التوصية موقعًا محوريًا، لأنه لما أوصى لقمان ابنه بالتنزه عن الشرك في الإلهية «بَيَّنَ اللَّهُ أَنَّهُ أَسْبَقُ مِنَّةً عَلَى عِبَادِهِ، إِذْ أَوْصَى الْأَبْنَاءَ بِبِرِّ الْآبَاءِ فَدَخَلَ فِي الْعُمُومِ الْمِنَّةُ عَلَى لُقْمَانَ جَزَاءً عَلَى رَعْيِهِ لِحَقِّ اللَّهِ فِي ابْتِدَاءِ مَوْعِظَةِ ابْنِهِ فَاللَّهُ أَسْبَقُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِرَعْيِ حَقِّهِ. وَيُقَوِّي هَذَا التَّفْسِيرَ اقْتِرَانُ شُكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ فِي الْأَمْرِ»[١١]. وجُمْلَةُ «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ فِي مَوْضِعِ التَّعْلِيلِ لِلْوِصَايَةِ بِالْوَالِدَيْنِ قَصْدًا لِتَأْكِيدِ تِلْكَ الْوِصَايَةِ لِأَنَّ تَعْلِيلَ الْحُكْمِ يُفِيدُهُ تَأْكِيدًا، وَلِأَنَّ فِي مَضْمُونِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا يُثِيرُ الْبَاعِثَ فِي نَفْسِ الْوَلَدِ عَلَى أَنْ يَبَرَّ بِأُمِّهِ وَيَسْتَتْبِعَ الْبِرَّ بِأَبِيهِ،﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [**الإسراء: ٢٤**]، فَجَمَعَهُمَا فِي التَّرْبِيَةِ فِي حَالِ الصِّغَرِ، مِمَّا يَرْجِعُ إِلَى حِفْظِهِ وَإِكْمَالِ نَشْأَتِهِ»[١٢]. رسم القرآن صورة كاملة للتعامل مع الوالدين في سياق الحكمة. فإن كان الجامع بينهما المنطلق التوحيدي، فإنّ المعاملة تتم في سياق الإحسان، يقول سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعْ**

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾[لقمان:١٥]. والمرجع اليوم؛ الذي تقيم فيه جهود الوالدين إزاء أبنائهم وجهود الأبناء حيالهم. ثم تتحدّد مقررات الفلاح والخسران.

هنا، يحق لنا أن نتساءل لماذا وردت هذه الآيات في سياق الحكمة؟ قال النسفي «قد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك، يعني إنا وصيناه بوالديه وأمرناه ألا يطيعهما في الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه»[١٧]. كشف القرآن عن التعامل الحكيم حيالهما في حال اتحاد الوجهة أو العكس. تتجلى الحكمة في نوع التعامل؛ الذي يفرضه القرآن على الأبناء، عندما يكون الإيمان هو المشترك بينهما. فقد أوجب التعامل الإحساني في سياق التوصية. ثم أبرز الموقف المضاد، لأن الحكمة لا تكتمل إلّا بإبراز الجانب السلبي في حالة اتخاذ موقفًا مضادًا للحق. فقد أوجب على الأبناء أن تتم المعاملة في سياق الصحبة بالمعروف تقديرًا من الله للوالدين لكونهما مظهرًا لايجاد الأبناء. لكن القرآن وإن كفل لهما ذلك، فقد أصدر قرارًا أخلاقيًا بعدم إطاعة الوالدين في التوجه الفاسد. وقد أدان القرآن إتباع فكر الآباء دون برهان. لم يكتف بترتيب العلائق؛ بل حرص على ترسيم صيغةً للتعامل الأخلاقي وفق مقتضيات الحكمة. كما ناقش القرآن هذا المعطى، كاشفًا عن مسارات التعامل الحكيم؛ تبعًا لموقفهما العقدي. وثبات التواصل الرحيم إن كان المسار مؤسسًا على مبدأ الإيمان. فإن انحرفا الوالدين عن المسلك، فإنّ الوصلة تثبت دنيويًا وتتفارق أخرويًا. وختم الكلام، بأنّ تقييم الأعمال يعود إلى الله لمواجهة مقررات الجزاء، نظرًا لمناقضة مخرجات الشرك على الصعيد الأخروي.

٣- قراءة في مقوم المحاسبة وأهميته في ترسيخ المراقبة:

فتح لقمان نافذة في وعي الحكمة. إذ توجه لابنه بضرورة تقييم جميع الأداءات الوظيفية في ضوء معيار المحاسبة، حتى يتم المنجز على كفاءة أخروية عالية، انطلاقًا من قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٥]. كما أسس منطلقات الحياة في ضوء متطلبات

الفلاح، حتى يتحسّس الابن أنّ الدنيا والآخرة امتداد واحد. وحضور فعل الله في فعل البشر أمر ديمومي، وإن اختفى خلف الأسباب الظاهرة. هذا ما نصطلح عليه بالمراقبة التي ترعى حركة الإنسان، فلا يغيب عنه سبحانه مثقال ذرة، وكلّ شيء يخضع لتقييم أخلاقي. هذه المتابعة الدقيقة تستدعي بالمقابل حساسية شديدة من قبل الإنسان، حتى لا يغفل عن مسؤولية الميزان؛ الذي يرصد حركاته الظاهرة والباطنة، ويقيم جهوده العبادية والمعاملاتية. كأن لقمان يربي الابن على فقه الموازنة ويقيم السلوك في ضوء المعيار الأخلاقي، حتى ينضبط مسار الحياة. كما أنّ المهمة التربوية تقتضي استظهار القيمة في الواقع. لذا ذكره بمستلزماتها وشرائطها. فأما **مصدرها هو الله**، بوصفه الرقيب على أعمال خلقه، يقول سبحانه: ﴿**يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾. وقد اصطلح عليها طه بالشاهد البياني «الذي يرى في ربه رقيبًا عليه، ويتفكر في راقبيته إحاطةً بكلّ شيء، وحفظًا من كلّ شيء، ولزومًا لكلّ شيء... يغدوا مراقبًا نفسه بوصفه مأمورًا، مراقبته لربه بوصفه آمرًا»[١٣]. كما تتحقق بجملة من الشروط، أبرزها **الحضور** في قوله: ﴿**يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾.

فضلًا عن ذلك، **دقة العمل** في قوله: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ**﴾، **والمتابعة له** في قوله: ﴿**فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾. وأخيرًا **الإحاطة بالعمل**، سواء كان خفيًا أَوْ ظاهرًا، صغيرًا أو كبيرًا، فإنّه يخضع لتقييم الأخلاقي. هنا، نقل القيمة من النظر إلى العمل حتى يعلمنا معطيات بناء القيمة في الواقع، حرصًا منه على استحضار البعد المفقود في ضمير النّاس، حتى يتبصروا في مسار أعمالهم، ويحفظوا منجزاتهم تبعًا لفقه الآخرة. كما أشار إلى **ثمار القيمة ومخرجاتها** من خلال استدعاء الخلق إلى ميزان المحاسبة، وتقييم جهود الصالحين في الأرض. هذا التذكير يحمل الابن على استشعار الرقابة في حركة أفعاله، فيحسن الأداء؛ الذي يرفع مقامه يوم القيامة. هذا الحضور وحده، يولد القدرة على مراجعة الأخطاء، وأداء الأعمال بكفاءة عالية. ذلك أنّ المحاسبة هي بمثابة القنديل؛ الذي يضيء الأعمال ويرفعها، يقول سبحانه: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ**

الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. إنّ ترسيخَ قيمة المراقبة يقتضي وضع الإنسان بأبعاده الثلاثة (الوجدانية، القولية، السلوكية) على محك الفحص. وذلك باستحضار المسؤولية. وممارسة الضبط الأخلاقي للكلمة وتجويد العمل حتى يصعد طاهرًا مزكى. كما أنّ استحضار المعيار الأخروي، يعني تحقيق الموازنة بين الأعمال وثمراتها.

د: شخصية الأبناء بين المبدأ العبادي والتأطير الأخلاقي: انطلاقًا من قوله: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾** [لقمان: ١٦]، يوجه لقمان ابنه إلى محورية العبادة في بناء الشخصية (الصلاة/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، سعيًا منه إلى تحقيق التوازن الحكيم. ذلك أنّ تكوين الفردانية يسير في مصفوفة متسقة مع المبدأ الجمعي. في ذات اللحظة، التي طالب فيها الابن ببناء السلوك العبادي، أمره بأداء الواجب الدعوي (المجتمع). وهذا يحتاج إلى مُكْنَة روحية وأخلاقية عالية. بدأ بالصلاة، لكونها تجسيد للوصلة النامية بين الله والإنسان.

فكم يحتاج الإنسان من جهد لتطوير مشاعره تجاه الله، والترقي في مدارج الكمال. ذلك أنّ الغرض من الشعائر هو تحصيل القيم. إذ لا تنفصل العبادات عن الخلق؛ الذي يجلى حقيقتها. وتعظم الصلاة عندما تحقق المقصد التزكوي منها، فتصبح طاقة روحية تحارب السوء الذاتي. وتحول دون المنكر المجتمعي، لكونها تشكلّ مناعةً ضد الباطل. كما تؤسس لقيم أخلاقية لا تقوم الذات في وجودها إلّا بها. هذا يعني أنّ العبادة قادرة على ترسيخ البنية الداخلية للخلق في الأبناء. وقد بنى لقمان هذا التخلق على مرجعية الخلق الرباني. فلا يمكن بناء النظر الأخلاقي بمعزل عن النظر في قوالب العمل. وعليه، اعتبرت الصلاة معراج العبودية، فهي بأبعادها العميقة قادرة على تصويب حركة المسلم على مستوى الذات والمجتمع حتى يحيا بمقاييس الرفعة، ويتخلص من جميع التشوهات، متحررًا باتجاه الفلاح.

توظيف التعابير الحركية في ترسيخ القيم للأبناء:

في خطوة مُهِمَّة، لم يتوقف لقمان في تعليم القيم العبادية الموجهة للسلوك الذاتي، إنّما فتح منافذ الحسّ، ليعيد

تربية الابن على أهمية ضبط السلوك الانفعالي عبر آلية روحية، تنمى القدرة على ممارسة الضبط الفكري والنفسي ، وتعكس السلوك الحكيم في أرقى صوره.

١- الانطلاق من الواقع إلى التجريد: انطلق لقمان في بناء القيم من خلال جمع مفردات الواقع، وصولًا إلى تجسيد المفهوم في وعي المتلقي. أمّا توظيفه للتعابير الحركية، فتعكس الخبرة التي يتمتع بها، ودورها في بناء العقلية المتوازنة. لهذا انطلق في بناء مفهوم الكبر من خلال إبراز تمظهراته الخارجية، وتفاصيل يعرفها المتلقي من واقع الخبرة. رسم سمات المتكبر (تصعير الخدّ، المشي مرحًا) وصولًا إلى المجهول التنظيري (إعادة بناء السلوك المتواضع). إن استيعاب هذا المسار، يرفع التناقض المتوهم الناتج عن سلوك العجرفة، ظنًا أنه السلوك الأفضل؛ بل حدّد لقمان للسلوك الأمثل مجالًا يؤطره، وذلك بعدم إدارة الوجه عن الخلق، والمشي دون استعلاء. انطلق من الواقع في تقرير مواصفات السلوك المتكبر، مستثمرًا عناصر التركيبة المتكبرة، بهدف بناء الوعي بأبعاد هذا السلوك؛ الذي أدانه الله في مقرراته التشريعية. وهذا يتطلب أنّ ينبذ الابن الكبر من داخله، لأنّ محله القلب وإن تمظهر في السلوك الخارجي. هكذا فقط، يمكن أن يرسم مسارًا صحيحًا في بناء السلوك القاصد (طريق الحكمة). هنا، يضع لقمان فارقًا بين السلوك المتوازن والمتعجرف. فأمّا تصعير الخد، فإنّه يجسد صورة للإعراض عن النّاس، وإلغاء كيانهم النفسي يحجم النّاس ويقلل من قدرهم ويهين القيمة فيهم، بقدر ما يدوس على الكرامة، تبعًا لهذا النمط الاستعلائي؛ الذي ينهجه المتكبر، يقول عزّ شأنه: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾[**لقمان:١٨**]. وأمّا المشي مرحاً، فيُمثِّل استدعاءً للاهتمام، بهدف استظهار السلوك المتعجرف، يقولِ سبحانه: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ [**لقمان:١٨**]. ولَا يصدر إلّا عن إنسان يمنح نفسه قدرًا مضافًا لمزيد من الإشباع، كتعويض عما ينهشه من الداخل من قلة التقدير الذاتي. فيضطر للبحث عنه في الإمكان الخارجي، لتعزيز عنصر الثقة في داخله. ثم ختم ذلك بإدانة الكبر كقيمة سلبية يبغضها الله، ولا يتبناها إلّا من يتخذ من الخط الشيطاني مجالًا للإستعلاء؛ بل انتقد السلوك المتعجرف في تجلياته الخارجية؛

التي تشكلّ اعتداءً صارخًا على الكرامة الإنسانية.

الأبلغ من هذا، أنّ من يدخل دائرة الكبر يلبس الثوب الإبليسي لذا تبدو فكرة التوازن جوهريةً في خطاب الحكمة من خلال ترسيخ القصد في سلوك الأبناء. وما ينبغي أن يتسم به المتعلم من رزانة أخلاقية وانضباط في التفكير. إنَّ الانطلاق من الواقع لرصد الحقائق النظرية، أمر ملفت في منهج الحكمة حتى يعزز القيم في واقع الأبناء، باعتبارها قواعد ناظمة للسلوك. لهذا أبرز الحكمة المتوخاة من هذا السلوك، وما يحققه التواضع من التوازن النفسي والانضباط الرفيع، الذي يكبح التصرفات المتهورة. بهذا التوجيه يكون لقمان قد رسخ المعنى في البنية العقلية والسلوكية لابنه حتى يعطيه دربةً على الانضباط. فلا يحكمه الهوى ولا يترصده الغرور أو الانفعالات المتهورة. وعليه، فإنّ السلوك الاقتدائي ليس سوى تمظهر للقيمة في الواقع ومحاكاة لفعل الله. فإنّ الإسلام اتخذ «من الحلم قاعدة لنظامه الأخلاقي»[١٤]. لذا تبدو المفارقة كبيرة بين الشخصية الانفعالية ذات الطابع المتكبر وبين الشخصية الهادئة. إنّ ما فعله لقمان ليس سوى استظهار لمواصفات الحكمة في الواقع. كما يجدر بالملاحظة، أن الصبر أحد الأسلحة الفاعلة في ضبط «حركة الإنسان وسعيه، فطبع العجلة السالب للحكمة، وهو دافع يتحرر من القيود والمعيقات يشحن الإنسان بفاعلية روحية ورغبة في التجاوز والانتصار، تدفعه إلى الانطلاق نحو الكمالات»[١٥].

٢- آليات بناء القصد في ضوء معطيات الحكمة: بعدم أدان القرآن الكبر لأنه مضاد لسلوك الحكمة. أورد الصورة المثلى للحكمة من خلال توظيف الحركات التعبيرية، حتى يعزز لقمان في ابنه مسؤوليته الأخلاقية على انتقاء السير القاصد، وما يعكسه من دلالات استواء الشخصية، والقدرة على ضبط الانفعالات حتى يستوي على قواعد السلوك الحكيم، يقول عزّ شأنه: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ [لقمان:١٩]. لهذا دعاه إلى ضبط حركة المشي بالقصد، والصوت بالغض، ذلك أنّ المشي المتواضع يؤدي إلى بناء حركة متوازنة، قاصدة في منطلقاتها وأهدافها. كما أنّ خفض الصوت يُعَدُّ آليةً تربويةً تسدد الكلام نحو مقاصده العليا. ونظراً إلى خطورة

رفع الصوت؛ فقد حذَّر الله من رفعه في غير موضعه. لهذا قام بتأطير حركة المشي بالقصد ودلالات الاستواء على مستوى الظاهر، وتتجلى في تعديل السلوك بين السرعة والتؤدة. أمّا الدلالة الباطنية تتمثَّل في استقامة القصد لتحقيق قيمة التواضع. ومن ثم، التعبير عن أقصى حالات الاستواء. ومن هنا، «يُعَدُّ المشي القاصد تعبيراً حركياً عن السير بهدفٍ، ويتَّضِح جلياً أنَّ السلوك العبادي يتجلّى في حركة قصدية، ويتبلور في ضوء قيمة التواضع. وكل سير يحمل سمة الكبر لا يعدو أنْ يكون مظهراً منافياً لصفة القصد؛ لذا نجد القرآن يُرَكِّز على السير القاصد لكونه تعبير حركي عن فكرة التوازن والتطلُّع إلى آفاق الوحدانية»[١٦]. فإذا كان الله قد وصف السبيل بالقاصد، فإنَّ الإنسان هو المُستهدَف بالخطاب، والواجب أنْ تقع حركته مُماثِلةً تماماً للطريق القاصد»[١٧]. وفقاً لهذا المعطى، ينبغي أن نؤكد أنّ كل جهد لا يرعى الحق منطلقًا، والقصد هدفًا، يعد فعلاً مبتورًا في ساحة الفعل الأخلاقي. مهما يكن، فإنَّ القصد في الحركة والكلام، يبدو مُهِمًّا؛ لأنَّها ترتبط أصالةً بصوغ الهدف الوجودي، حتى يستوي التفكير ويترتب الكلام تبعًا لمقتضى الحكمة. من المعلوم أنَّ الله لا يأمر بفعل مُعيَّن إلّا قصد من ورائه قيمة مُحدَّدة (التواضع)[١٨]. كما قام بتأطير حركة الصوت للدلالة على الاقتصاد في الكلام، لذا ألمح الرازي إلى العلاقة بينهما في قوله: «إشارة إلى التوسُّط في الأقوال والأفعال، والأحوال الثلاث أنَّ لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية»[١٩].

خاتمـــة:

إذا أردنا أن نجمل خلاصة لهذا البحث وأهم نتائجه، يمكننا القول، أن القرآن قدم للأمة نموذج تربويًا، يجسد معطيات الحكمة في صوغ السلوك على امتداد الحياة. وقد حرص القرآن على تربية النوع الإنساني، الذي يحفظ القيم ويستلهم الخير ويستهدف الصلاح، مركزًا على الثروة المعنوية للمجتمع (الأبناء)، فهم مادة البناء والإبداع. إذ لا يمكن إذكاء الحياة، إذا لم يتزود المجتمع بمنهج قيمي، يملك القدرة على إحداث نقلة نوعية في المنظومة التربوية، وخدمة الهدف العبادي الأسمى. وتنمية الحس الأخلاقي، وتطوير المؤهلات الذاتية، وصقلها بالتجارب والخبرات

المجتمعية. ومن ثم، توظيف جميع الآليات في إعداد النشء الصالح. وقد تجلت في شخصية لقمان معالم الحكمة، وهو يوجه المجتمع من خلال خطابه التربوي لابنه إلى أهمية الاعتناء بالمنظومة القيمية للأبناء، وترسيخ السلوك القويم في نفوسهم. والانفتاح بعوالمهم الفكرية، الروحية والوجدانية على خطاب الحكمة. لعل الناظر في الخطاب، يدرك مدى التنوع في آليات بناء القيم، وتعدد أساليب الخطاب التربوي في توجيه الأبناء. والتفاعل مع قضاياهم. لذا رصدنا سلسلة من التوجيهات القيمية في صوغ السلوك الحكيم للأبناء، ومعالجة بعض السلوكيات السلبية أيضًا. ومن ثم، بناء القيم من خلال إرساء منهج الحكمة لبناء قواعد السلوك السوي. والكشف عن جملة من الآليات الموظفة في هذا السياق.

فضلًا عن هذا، فإن التفاعل بين المتعلم ومعلم الحكمة بوصفه القدوة التي انتقاها القرآن في بناء السلوك الحكيم. أخذ أبعادًا متنوعة، فقد أراد أن يغرس فيه قيمة التوحيد، للدلالة على مركزية مفهوم الله في خطاب المنهج. هذا الأخير الذي تتأثر به كلّ العلاقات التي ينسجها الإنسان، وتبنى في ضوئه جميع القيم والمواقف. إذ لا يمكن أن يتعلم أدب الحكمة إلّا في هذا السياق. وقد كان التواصل بارعًا بين المعلم والمتعلم. فقد أظهر الله تقديرًا عظيمًا مع معلم الحكمة، عند أوصى بالحق الوالدي، تمامًا مثلما وضع لقمان الحق الإلهي في أعلى مراتب الحكمة. فقد أرسى المنطلق العقدي، ثم التشريعي، ثم ختم بالبعد الأخلاقي، مركزًا على أهمية التكامل بين أبعاد الدين في بناء النموذج الحكيم الذي يستهدفه القرآن في نهجه. إن الناظر في هذا التوجيه بعين تربوية، يلاحظ أنه يحتوي على إشارات تربوية هادفة منها، تعزيز مبدأ الاعتدال في تعليم الأبناء القيم، بأسلوب فيه اليسر والاحتواء العاطفي للأبناء. والابتعاد عن التشدد في التعامل معهم، بهدف تحبيبهم في القيم. وتذكية نشاطهم وقدراتهم حتى يتفاعلوا مع التوجيهات الأخلاقية. وما أحوج الأمة اليوم إلى نماذج تربوية، تحسن التواصل وتملك القدرة على الاحتواء لعالم الطفولة بكل جمالياته. كما عرضت الدراسة لبعض المسائل المهمة، أبرزها قراءة في المقومات التي يتأسس عليها منهج الحكمة، ورصد الآليات الموظفة قرآنيًا في ترسيخ القيم للأبناء وحفظ قواعد السلوك الأخلاقي، انطلاقًا من دراسة معطيات نموذج الحكمة الذي استعرضه علينا القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

١. طه عبد الرحمن، دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، بيروت: مؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، ٢٠١٧م، ص٧٢.

٢. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس : الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج١٥، ص٦٧.

٣. سعيد حوى، الأساس التفسير، القاهرة: دار السلام، ط٦، ١٤٢٤ه، ص٦٨.

٤. سعيد حوى، الأساس التفسير، مرجع سابق، ص٦٨.

٥. إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب السور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د، ط، د، ت، ص١٦٥.

٦. مرحبا، محمد عبد الرحمن، الفكر العربي في مخاضه الكبير، بيروت: دار الجيل، د، ط، د، ت، ص٢٧٥.

٧. النورسي، سعيد، حقيقة التوحيد، ت: إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول: سوزلر للنشر، د، ط، ٢٠٠٥م، ص٩٦.

٨. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية،١٩٨٤ م، ج١٥، ص٦٨،٦٧.

٩. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢١، ص٥٥.

١٠. سعيد حوى، الأساس في التفسير، مرجع سابق، ط٦، ١٤٢٤ه، ج٨، ص٧٦.

١١. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٩٤، رقم الحديث: ١٣٥٨.

١٢. التحرير، مرجع سابق، ج٢٥، ص٥٠.

١٣. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٩م، ج٢، ص١٥.

١٤. طه عبد الرحمن، دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، مرجع سابق، ج١، ص١٤٨.

١٥. انظر: توشهيكو، إيزوتسو، المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن، ترجمة: عيسى علي العاكوب، سوريا: دار الملتقى، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص١٤٥.

١٦. الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، القاهرة: دار الشروق، ط١١، ٢٠١٠م، ص٥٣٦.

١٧. الزبيدي، حمّد بن محمّد، تاج العروس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د، ط، د، ت، ج٣١، ص٥١٣.

١٨. جميلة بلعودة، إبراهيم زين، القصد والاستقامة/ قراءة في التعالق الدلالي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد : ١٠٣، ربيع ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، ص٤٧.

١٩. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٥، ص١٢٣.

حوار الأديان والعولمة وأثرهما على محددات القيم الأسرية

د. أحمد عبد الرحيم *

الملخص:

كلنا يرى التحديات المتلاحقة التي تواجه الأسرة في عالمنا المعاصر ومتغيراته، بما يؤثِّر- ولا شك- على المنظومة الأسرية وتماسكها سواء القيمي أو حتى الهُوية الأسرية نفسها؛ وهذا أدْعَى للباحثين والمؤسساتِ الثقافيةِ والأكاديمية أن تبحث بجديةٍ واهتمام عن سُبل الحفاظ على تماسكِ المنظومةِ القيميةِ للأسرية؛ لأنه السبيل الأول للحفاظ على الذات أولًا، ثم على المجتمعات والأوطان؛ خاصةً في عالم اليوم المتغير تغيرًّا سريعًا، يحتاج منا وقفة الثابت المتفحِّص لما نقبله منه فنتأقلم أو نتغير معه، وما يجب أن نرفضه ونظل ثابتين بقيم ديننا ولا نتزحزح عنه.

وإن كانت الرسالة التي يقدمها حوار الأديان تتأسس على فهم أفضل للمبادئ والتعاليم الدينية لتسخيرها لخدمة الإنسانية، باعتبار منشأه قائم على كونه الحقل الجامع للقيم المشتركة المتفق عليها بين الأديان، وإن كان عالم اليوم أغلب مجتمعاته أصبحت مجتمعات تعددية تتنوع فيها الثقافات والأديان؛ فإن ذلك يدعونا للاستفادة من حوار الأديان لتعزيز القيم الأسرية.

وقبل هذا نحتاج أن نعرفَ ما هي محددات القيم الأسرية التي من خلالها يتم تحقيق التفاهم والوئام بين أفراد الأسرة من جهة، ثم انعكاس هذا بالطبع على المجتمع من جهة

(*) باحث أول- مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان.

أخرى؟ ثم نحاول أن نجيب: هل يمكن لحوار الأديان أن يكون له دورٌ في تعزيز القيم الاسرية؟

كلمات مفتاحية: القيم الأسرية، حوار الأديان، الحضارات القديمة، العولمة.

تمهيد– تحديد المصطلحات:

أعني **بمحـــددات القيـــم**: أي المنابع الأولى التي من خلالها يتم تحديد قيمِ ومعاييرِ التوجيه للأسرة وأفرادها، حتى وإن وُجد هناك تنوع أو حتى اختلاف في الوسائل والأساليب المؤدية لترسيخ هذه القيم.

والقيم من قـــوَم وهي في اللغة تحمل دلالات عديدة تدور حول «العزم والثبات والدعم و الاستواء وحسن القوام والاستقامة»[1] يقول تعالى ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِـــي رَبِّـــي إِلَـــى صِـــرَاطٍ مُّسْـــتَقِيمٍ دِينًـــا قِيَمًا مِّلَّـــةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَـــا كَانَ مِنَ الْمُشْـــرِكِينَ**﴾[2]

.

أما في الاصطلاح فيعد مفهوم القيم من المصطلحات التي تعدد دلالاتها وتنوع مفهومها لتعدد المنطلقات النظرية التخصصية لها[3] سواء كانت دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو حتى اقتصادية، فيعرفها علماء النفس والاجتماع بأنها المعايير والمبادئ والأصول التي تحدد الصواب والخطأ، سواء في السلوك أو الاختيارات، وهي المثل العليا الأساسية التي تفسر السلوك العقلي للأفراد، وهي عبارة عن اختيار يقوم به الإنسان في مختلف ميادين الحياة التي تضم اتجاهاته الأساسية والقيم تتأثر بللمجتمع الذي يتفاعل فيه الفرد وما يتضمنه هذا الوسط من نظم وتقاليد وعادات اجتماعية وأنماط سلوكية، تم التوافق .

وكل إنسان في حقيقته هو مجموعة من القيم التي تُمسك بزمامه وتُوجِّهُه، والتي من خلالها يتم الحكم عليه وتقييمه أو تقويمه، وكما يقول الفيلسوف الدكتور زكي نجيب محمود: «القيم تقوم في نفس الإنسان بالدور الذي يقوم به الرُّبان في السفينة، يجريها ويرسيها عن قصد مرسوم، إلى هدف»، و»القيم هي ما تعطيك «الاتجاه» ولا تمل عليك كل خطوة على الطريق ويقاس عليها ما يصح وما لا يصح»[4]؛ ففهم الإنسان على حقيقته هو فهم القيم التي تمسك بزمامه وتوجهه.

من هنا يمكن أن نحاول استنباط تعريف **للقيـــم الأســـرية**: بأنها «مجموعة من القيم الدينية والاجتماعية التي تشكِّل إطارًا مرجعيًّا للأسرة عند نشأتها وفي استمراريتها، وفي سلوك أفرادها».

فعلى سبيل المثال لا الحصر: عند نشأة الأسرة تأتي قيمة (**الوفاء بالميثاق**). قال تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[٥].

وفي استمراريتها تأتي قيم (**السكن والمودة والرحمة**). قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٦].

وأما في سلوك أفرادها فتأتي قيم (**العدل والحق والمساواة**).

وعن **القيم الدينية** فيثبت فيها المفهوم السابق بأنها مجموعة من الثوابت والأصول التي تؤسس لسلوك الفرد والجماعة؛ إلا أن هذه الأصول تبنى على العقائد والأحكام الدينية التي يؤمن بها أتباعها؛ ففي الإسلام نجد مثالا أن (الأخلاق) أساسًا في التكوين القيمي للمسلمين بنص الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[٧] وارتباط الدين بالقيم أمر يكاد يكون مسلم به في توجيه الحياة القيمية للإنسان حتى عند مفكري الغرب؛ وفي ذلك يقول أليكس كاريل: «لا تصبح الأفكار المجرّدة عاملاً فعالاً إلاّ إذا تضمنت عنصراً دينياً، وهذا هو السبب في أنّ الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حدّ يستحيل معه المقارنة ،ولذلك لا يتحمّس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق ، إلاّ إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية»[٨].

وأما ارتباط حوار الأديان بالقيم الأسرية فمفهومه في جوهره يهدف إلى تفعيل القيم الدينية والأخلاقية التي توافقت عليها شرائع الأديان؛ لتحقيق التعايش وحسن تعامل الناس بعضهم مع بعض في أمن وأمان وعدل وإنصاف، تتأسس معه ثقافة إنسانية أعمق وأشمل تقوم على تقبل الاختلاف والتنوّع وتؤمن بالحوار والتعاون بين البشر، وهذا المفهوم أوقع أثرًا حينما ينسحب على دائرة الأسرة التي قد تختلف أديان الزوجين فيها أو الأسر التي تعيش في مجتمعات متعددة الأديان والثقافات.

وهنا أشير إلى أن هذا البحث لن يقدم سردًا تفصيليًّا ولا تحليليًّا للقيم الأسرية كما جاءت في الأديان، وإنما سأحاول من خلالها تناول نقطتين:

أولا: المنظومة الأسرية ومحددات

قيمها في الأديان وأثر حوار الأديان عليها.

ثانيًا: تأثير العولمة في المحافظة على القيم الأسرية أو تغيّرها.

المحور الأول: المنظومة الأسرية ومحددات قيمها في الأديان وأثر حوار الأديان عليها

في البداية نحتاج إلى الاقتراب لمعرفة محددات القيم الأسرية؛ ليس فقط في الإسلام- وإنما فهم هذه القيم بحسب ما جاءت به الحضارات والشرائع الأخرى؛ ذلك لأن المنظومة الأسَرية بينها تشابه كبير في الحضارات القديمة وفي الأديان كذلك، سواء أساس تكوينها أو في قيمها ومبادئها، باعتبارها البذرة الأولى المشكِّلة لعُرى المجتمع، وعنوان تماسكه وقوته أو ضعفه، لا سيما في التنشئة، والتربية، والترابط، والصلة، والألفة، وإن كان ذلك لا يعني عدم وجود اختلاقات، إما وَفق بعض المبادئ الاجتماعية، أو التشريعات الدينية، لكنها كلَّها تظل متوافقةً في الإطار الكلي للنظام الأسري، وقيمه الثابتة.

ولعل الأسرة العربية على اختلاف دياناتها وقومياتها مثالٌ نموذجيٌّ لذلك، يُقتدى به في الدراسات.

الأسرة في الأديان (قِوامُها وقيمُها):

عرف المجتمع البشري نظام الأسرة منذ بداياته الأولى؛ بل ومنذ عهد آدم عليه السلام الذي خاطبه الله تعالى في القرآن في غيرما مَحِل خطابًا أُسريًّا لا فرديا: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**»[٩].

فنظام الأسرة إذن هو نظامٌ فطري، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**»[١٠]، ويقول سبحانه: «**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وجَعَلَ مِنها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها**»[١١].

ولذلك فليس من المستغرب أن يشهدَ نظام الأسرة بالغَ الاهتمام، وينتقل من حضارة إلى أخرى كمصطلح مشترك يجمع كل الأقوام.

وحتى تتكون الأسرة وتُبنى لا بد من توفُّر مجموعة من الأسس والضوابط؛ إذ في غيابها لا يمكن للمرء أن يبني أسرة

قوامها الاستقرار، وإن اختلفت تلك الأسس ومعانيها وتشريعاتها من تجمُّعٍ بشري إلى آخر، إلا أنها تظل حاضرة في كل العشائر التي مرت عبر الأماكن والأزمان المختلفة.

فنجد نظام الأسرة حاضرًا في الحضارات القديمة، فعلى سبيل المثال عند **الفرس** تحتل الأسرة مكانةً مقدسةً ومنزلةً عُليا، فكان البيت الذي يشتمل على زوجةٍ وأبناء هو أعظم بيت، «وكان الآباء هم الذين ينظمون شؤون الزواج لمن يبلغ الحلم من أبنائهم، وكانت المرأة لا تستطيع الزواج إلا برجل واحد،، وفي ذلك تقول الإفستا: «الرجل الذي له زوجه يفضل كثيرا عن الرجل الزاهد بالزواج، والرجل الذي يعول أسرة يفضل بكثير على من لا أسرة له، والذي له أبناء يفضل كثيرا على من لا أبناء له»[١٢]، وحينما تكلم **زَرادِشت ناصحا شابًا، يرغب في الزواج وإنجاب البنين والبنات قال:** «لا بد أن تشيّد ما يفوق منزلتك؛ لكن لا بد أن تكون أنت ذاتك تام البناء مستقيم البنيان جسدًا وروحًا»[١٣]، ويفهم من هذه النصيحة أن زرادشت كان يرى أن الزواج يعلي من منزلة المرء.

الأسرة في الأديان السماوية:

أولَت جميع الشرائع السماوية عنايةً فائقةً بالأسرة، وبالرغم من الاختلاف الديني والثقافي والاجتماعي بين بني البشر؛ إلَّا أننا- في الوقت ذاته- نؤمنُ جميعًا بالقيم الدينية المشتركة التي كرَّسَت لمفهوم الأسرة، وأسَّسَت لقيم التراحم والتكافل والتعاون بين أفرادها، ورسَّخَت للعلاقة المقدسة بينهم- أزواجًا وزوجات- أبناء وبنات.

- الأسرة في اليهودية:

وفقا لما جاء في التوراة فالأسرة كيان يتكون بتزوج الرجل من امرأة كي ينجب أبناء وتخليد ذكره في إسرائيل، في جماعة تعيش ضمن قبائل، مثل الشعب العبري القديم،و لم تكن العلاقات الزوجية قضية ثنائية بين الرجل والمرأة فقط، بل قضية العائلة كّلها، وقوة العائلة كانت متعلقة بعدد أبنائها، فالعائلة التي عدد أبناءها كثيرا كان احترامها أيضًا كبيرًا داخل القبيلة، لأن الأبناء يدافعون ويحتلون»[١٤]، من هنا يظهر أن الزواج بحسب الشريعة اليهودية من أولى المطالب التي أمر الله بها اليهود، وحثهم عليها وأمرهم بتزويج أبنائهم في سن مبكرة، ومن النصوص التوراتية المؤيدة لذلك: «**خلق الله الإنسان... ذكرًا وأنثى خلقهم.**

وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها»[١٥]. ومن هذه النصوص أيضًا: «**زوِّج أولادَك ولو كانت يداك لا تزال على رقبتهم**»[١٦]، وطبقا للتلمود تستطيع السلطات إكراه الشخص على الزواج، لأن الذي يعيش دون زواج حتى سن العشرين يكون ملعونا من الرب، و «**من لم تكن له زوجة ليس برجل حقيقي**»، حتى أننا لنجد تشبيه الممتنع عن الزواج بمرتكب جريمة القتل، يقول النص التوراتي: «**الأعزب يرتكب جريمة لا تقل عن جريمة القتل؛ لأن عدم الزواج سبيل لإطفاء نور الله**»[١٧].

– الأسرة في المسيحية:

اهتمت المسيحية بالزواج– كأساس لتكوين الأسرة المسيحية المؤمنة المرتبطة بالرب– اهتمامًا كبيرًا، وأعطته بعدًا دينيًا فلا يتم إلا بمراسم كنسية، ورفعته إلى درجة السر المقدس، مما جعل للأسرة صفة القداسة التي لا تنفك للأبد باعتبار أن الرب هو المنشأ لها ولا يمكن هدم هذا البناء بيد غيره؛ سأل الفريسيين المسيح ذات يوم ما إذا كان طلاق الرجل لزوجته يتفق والشريعة. وأجابهم المسيح: كلا، «**أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ**»[18]

ومن يتصفح الكتاب المقدس يجد في ثناياه كثيراً من التعاليم التي تدعو الأسرة إلى احترام الحياة الأسرية التي تقوم على المحبة والتفاهم والترابط والحفاظ على الأبناء، وتربيتهم تربيةً صالحة. يقول بولس الرسول:»**أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ**»؛ «**لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ**»، «**أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ**»[١٩].

– الأسرة في الإسلام:

جاءت الرسالة الخاتمة فأرْسى الإسلام للأسرة دعائمَ قِيميةٍ روحيةٍ وفكريةٍ وأخلاقيةٍ تستند عليها في التأسيس والبقاء والتطوُّر، وتحقيق الترابط والنجاح، وتحدَّدت هذه القيم بنصوصٍ صريحةٍ مُحكمة من القرآن الكريم، والسنة

والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة الثابتة؛ فقدَّمت حلولا لمشاكل الأسرة الاجتماعية والتربوية والنفسية.

والمقام يطول في استقصاء ما جاء عن الأسرة في الإسلام، وما ورد من قيمها ودور الفرد فيها، يقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٢٠]. وقال سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾[٢١].

المحور الثاني: تأثير العولمة في المحافظة على القيم الأسرية أو تغيّرها

أعتقد أنه ليس بخافٍ على أحد أننا اليوم نعيشُ في عالمٍ تَحوطه المخاطرُ العظيمة المهدِّدة للمنظومة الأسرية، مع تأثير العولمة والثورة المعلوماتية والتكنولوجية وقيمها غير المنضبطة التي يمثِّل الكثير منها تهديدًا جَدْيًّا على كيان الأسرة، التي أصبحت مُكبَّلةً في التعامل معها، وضعيفةً في مواجهتها، وحماية أفرادها من سلبياتها، وأضرارها.

ويمكن لنا معرفة تأثير العولمة والحداثة على منظومة القيم الأسرية من خلال البحث في التغيرات التي طرأت على كيان وهُوية الأسرة، وانعكاس ذلك على الأسرة **ومنظومتها القيمية** وعلى أفرادها وعلى المجتمع.

وهناك تغيرات كثيرة أحدثتها العولمة وأثرت بها على القيم الأسرية وهي تحتاج كلُّها لدراساتٍ مُعمَّقة.

سأقتصر هنا فيها على ذكر ثلاثة تغيرات:

أولا: التغير الفكري:

كما أوضحت في البداية أن محددات القيم الأسرية (في الأديان وفي الحضارات القديمة) كانت ثابتة وواضحة، وهي التي تشكل كيانها، وتحدد هُويتها، وتؤسس لقيمها ومرجعيتها.

أما اليوم فقد أتت العولمة والحداثة بتغيُّر فكري أحدث أثره العنيف على هذا النظام الأسري وقيمه، وهذا التغيُّر يتمثل في (**انحراف مسار السلطة المركزية لقيم الأسرة**)؛ فبعد أن كانت- كما ذكرنا في الأديان- ترتكز على (**سلطة الأمر الإلهي**) من خلال التشريع الديني، انحرفت عن هذا المسار، وأصبحت ترتكز على

(**مركزية سلطة الإنسان**) القائمة على حقوقه الفردية المنصوص عليها في القوانيين الوضعية، وهذا بالطبع أحدث خللًا كبيرًا في الترابط والوحدة التي كانت قائمة في كيان الأسرة.

ولعل ما نشهده من تحديات وإشكاليات يواجهها المهاجرون في الغرب من انحسار السلطة الأبوية على الأطفال في الأسرة، ومنح الدولة حق انتزاع الأطفال من أسرهم؛ لهو أوضح مثالٍ على ذلك.

وينسحب على ذلك أيضًا **الأشكال الأسرية** التي أنتجتها العولمة، وتدافع عنها وتدعو إليها بشكل ملفت ومخيف، والتي أوجدت أنواعًا من الأسر المشوهة كأسر المساكنة، وأسر السفاح، وأسر المثلية، وأسر السحاق، وكل هذه النماذج أصبحت تشكل خطرًا كبيرًا على الكيان الأسري الطبيعي، كما أفرزت للعالم قضايا أسرية لم تكن موجودة من قبل، مثل: تأخر الزواج، وارتفاع معدلات الطلاق، والإجهاض، وادعاء الحرية والاستقلالية للزوجة عن الزوج.

ثانيًا: التغيرات التكنولوجية والانفتاح المعرفي في عصر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

ثالثًا: اتساع دائرة الهجرة واللجوء وما يُحدثه ذلك من آثارٍ ثقافية وقيمية على الفرد والأسرة.

خاتمة:

حاول البحث فيما سبق أن يكوّن صورة ولو كلية- بحسب مقتضيات التناول البحثي القصير- حول كون منظومة الأسرة منظومة فطرية عرفها المجتمع البشري منذ بداياته الأولى؛ بل ومنذ عهد آدم عليه السلام، كما حاول أيضًا أن يرسخ بالنصوص والأدلة لمفهوم الأسرة ومنظومتها المتكاملة التي بها السكن والمشاركة والتفاهم، مع الوقوف على بيان مفهوم (هُوية المنظومة الأسرية ومحدداتها القيمية) ذلك المفهوم الذي بات يواجه في عالمنا اليوم تصدعات غير مسبوقة تواجه معها الأسرة- مع غياب الحوار والتفاهم بين أفرادها والرقابة المسؤولة من الوالدين- حملاتٍ مغرضة يتم فيها السعي بلا كلل لهدم كل ثابت أسري (ديني وأخلاقي)؛ بما يؤثر على المنظومة الأسرية وتماسكها سواء القيمي أو حتى الهوية الأسرية نفسها؛ نتيجة لتأثير العولمة والحداثة والثورة المعلوماتية والتكنولوجية وقيمها غير المنضبطة التي يمثِّل الكثير منها تهديدًا جَدْيًّا على كيان وهُوية الأسرة،

وانعكاس ذلك على أفرادها وعلى المجتمع، حتى أصبحت الأسرة مكبلة في التعامل معها، وضعيفة في مواجهتها، وحماية أفرادها من سلبياتها، وأضرارها.

وقد حاول البحث كذلك إلقاء الضوء على الرسالة التي يقدمها حوار الأديان التي تتأسس على فهم أفضل للمبادئ والتعاليم الدينية لتسخيرها لخدمة الإنسانية، فإن كان حوار الأديان هو الحقل الجامع للقيم المشتركة المتفق عليها بين الأديان، وإن كان عالم اليوم أغلب مجتمعاته أصبحت مجتمعات تعددية تتنوع فيها الثقافات والأديان؛ فإنه أولى بنا الاستفادة من حوار الأديان لتعزيز القيم الأسرية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (العهد القديم والأناجيل ورسائل الرسل).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١ ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م ، مادة (قوم) وما بعدها.
- أحمد الأشقر، ترجمة باب الزواج من الموسوعة العبرية.
- ألكسيس كاريل ، الحضارة الحديثة في الميزان- تأملات في سلوك الإنسان ، مكتبة مصر، ١٩٩٤م- تر محمد القصاص.
- البخاري، الأدب المفرد، الأدب المفرد، بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، باب حسن الخلق، حديث ٢٧٣.
- بول فريشاور، الجنس في العالم القديم (الحضارات الشرقية)،تر فائق دحدوح، دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٩م.
- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- فريدريش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت،تر علي مصباح، منشورات الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٧م.
- محمد شكري سرور، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، ١٩٧٩.
- مرعي، توفيق وأحمد بلقيس، الميسر في علم النفس الإجتماعي، دار الفرقان ، ص ص ٢١٦-٢١٧، ١٩٨٤،الجزائر.
- https://alkhakani najaf.com/book/book/asheaa8/seerah8.htm#_ftn3

الهوامش:

١. انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١ ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م ، مادة (قوم) ج١٢، ص٢٤٤ وما بعدها.

٢. سورة الأنعام: الآية ١٦١.

٣. مرعي، توفيق وأحمد بلقيس، الميسر في علم النفس الإجتماعي، دار الفرقان ، ص ص ٢١٦-٢١٧، ١٩٨٤،الجزائر.

٤. زكي نجيب محمود، قيم من التراث، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص٧

٥. سورة النساء: الآية ٢١.

٦. سورة الروم: الآية ٢١.

٧. أخرجه البخاري، الأدب المفرد، بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، باب حسن الخلق، حديث ٢٧٣ ، ، صفحة ٦٢.

٨. ألكسيس كاريل ، الحضارة الحديثة في الميزان- تأملات في سلوك الإنسان ، مكتبة مصر، ١٩٩٤م- ترمحمد القصاص ، ص ١٤٠.

٩. سورة البقرة: الآية ٣٥.

١٠. سورة النساء: الآية ١.

١١. سورة الأعراف: الآية ١٨٩.

١٢. بول فريشاور، الجنس في العالم القديم (الحضارات الشرقية)،ترفائق دحدوح، دارعلاء الدين، سوريا، ٢٠٠٩م، ص٨٠.

١٣. فريدريش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت،ترعلي مصباح، منشورات الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٣٧.

١٤. أحمد الأشقر، ترجمة باب الزواج من الموسوعة العبرية ، ، ص٣٨١.

١٥. سفر التكوين (١: ٢٧-٢٨).

١٦. https://alkhakani-najaf.com/book/book/asheaa8/seerah8.htm#_ftn3

١٧. محمد شكري سرور، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، ١٩٧٩، ص٦٢-٦٣.

١٨. متى (١٩: ٤-٦)؛ أيضاً تكوين (١: ٢٧؛ ٢: ٢٤).

١٩. رسالة بولس الرسول إلى أهل أَفْسُس (الأصحاح: ٥: ٢١-٣٢)

٢٠. سورة الروم: الآية ٢١.

٢١. سورة النحل: الآية ٧٢.

Family Time

الأسرة المسلمة بين الواقع الافتراضي، والواقع المفروض

د. شفاء مأمون ياسين *

الملخص:

هذا بحث بعنوان: «**الأســـرة المســـلمة بين الواقع الافتراضي والواقع المفروض**»، يحاول الكشف عن أهمية عودة الأسرة المسلمة إلى ثوابتها، وإعادة النظر في قيمها وأصالتها في ظل الواقع الافتراضي الذي تعيشه اليوم، وضرورة فهم الواقع المفروض، وأثره في الأسرة العربية، وخطره عليها، ويهتم بإظهار نماذج من الواقع الافتراضي، ويقف على تبيين أهميته، وما يُفترض أن يكون لا ما هو كائن، أو ما مفروض عليها، ذلك أنه بات حقيقة لا مفر منها؛ وتكمن فرضية البحث في آلية تعامل الأسرة المسلمة مع واقعها المفروض، وآثاره الناجمة عنه؛ التي تعمل على ذوبان النسيج الأسري، والمجتمعي، وتتجلى مشكلة الدراسة في الاحتراس من انغماس الأسرة المسلمة في الواقع المفروض والتماهي فيه، ما قد يتسبب في بعدها عن ثوابتها الدينية، وقيمها الأخلاقية والإنسانية.

(*) منسقة ومدرسة مادة اللغة العربية، في كليات التقنية العليا - جامعة زايد سابقًا..

مقدمة:

أدى الواقع المفروض في كثير من دول العالم اليوم إلى وجود مسافة جلية بين الواقع الحقيقي، والواقع الافتراضي الذي نعيشه اليوم، وتكمن الخطورة في أن كثيراً من أبناء الأُسر العربية المسلمة، يَرِدون على الواقع الافتراضي، وهم يظنون أن بعض تقنياته اليوم، تعني واقعًا أساسيًا لا بد من الانغماس فيه بكل أبعاده، ومعاييره، وقيمه، معتمدين في ذلك على ما خلده فكرهم في أن الواقع الافتراضي، ووسائل التواصل الاجتماعي –التي باتت اليوم بديلاً عن وسائل الإعلام المعروفة–، ما هي إلا أداة للتواصل الهادف البنَّاء، إلى أن وصلوا إلى واقع فُرض عليهم، بل هم فرضوه على أنفسهم، متناسين بذلك آثاره المدمرة، ونهاياته الوخيمة التي وقع فيها كثير من أبناء مجتمعاتنا، ضاربين بقيم الأسرة عرض الحائط، فغدا الواقع الحقيقي اليوم ضربًا من الوهم، مستندين في ذلك إلى عالمهم الافتراضي الرحب الذي يعيشون فيه، فانفصموا انفصاماً تاماً عن واقعهم الحقيقي؛ لتماهيهم مع الواقع المفروض، وبات من المهم عودة الأسرة المسلمة إلى ثوابتها، وإعادة النظر في قيمها وأصالتها في ظل الواقع الافتراضي الذي تعيشه اليوم، وما تركيز الشرائع السماوية على الأسرة إلا تأكيد على ضرورة حماية المجتمع وركيزته الأولى الأسرة.

التمهيد:

سيتم في باب التمهيد تناول أهمية البحث، ومشكلة الدراسة، وأسئلة البحث، وأهدافه، ومنهجه:

*__أهمية الدراسة__: تتجلى أهمية هذه الدراسة في الوصول إلى سبل عودة الأسرة المسلمة إلى ثوابتها، بهدف إعادة النظر في قيمها وأصالتها في ظل الواقع الافتراضي الذي تعيشه اليوم.

*__مشكلة الدراسة__: أدى انخراط الأسرة في الواقع الافتراضي إلى وجود شرخ هائل، بين الواقع الحقيقي، وواقع الأسرة المفروض عليها اليوم، معتمدة في ذلك على التطور التكنولوجي بكافة أبعاده؛ وهذا بدوره أفضى إلى آثار ذات ملمح سلبي خطير آتت الأسرة أُكُلها، وحصدت جراء ذلك آثارًا على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وهذا ما ستتناوله الباحثة بالدراسة والتفصيل. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التي مضمارها: كيف يمكن التعامل مع

الواقع الافتراضي في ظل الواقع المفروض؟ وما خطورة الانخراط في الواقع المفروض، وما أثره في الأسرة؟ وكيف يمكن الحد من الوقوع فيه؟

*أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان أثر الواقع المفروض في الأسرة. وتبيين طرق الحد من الانغماس فيه، واتخذت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي أساساً في سيرها؛ واعتمدت المصادر والمراجع الأصيلة ذات الصلة؛ للتوضيح والتبيين؛ للوصول إلى الهدف المنشود. ويسعى هذا البحث إلى الوصول إلى نتائج نراها مهمة.

*الدراسات السابقة: ثمة دراسات تناولت العلاقات الأسرية، وأثر العالم الافتراضي الحديث نذكر منها:

-خليفاتي، وهيبة الجوزي، «مستقبل العلاقات الاجتماعية بين العالم الأصيل التقليدي والعالم الافتراضي الحديث»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكاكي، ع٢٠، (٢٠١٩). المغرب. إلا أن مجملها ركز على الجانبين التربوي أو التقني، فكان تناولها للمشكلة محدودًا. ومنها:

-المزوغي، حنان، «العالم الافتراضي وأثره في تشكيل الهوية الاجتماعية للمراهقين»، مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة مصراتة، س١، ع١، (٢٠١٥) ليبيا. اهتمت تلك الدراسة بجانب واحد عند شريحة محدودة في الدراسة. وتمتاز هذه الدراسة بتناول الأسرة العربية المسلمة بين الواقع الافتراضي، وأثر الواقع المفروض فيها، وصولًا إلى المجتمع برمته.

*موقف دين الإسلام، والشرائع السماوية من الأسرة:

تأتلف الشرائع السماوية في كثير من الأمور ولا تختلف فيما بينها، ذلك أن هدفها الأسمى، هو الحفاظ على الأسرة، عماد المجتمع، وركيزته الأساسية، فقد قال تعالى في شأن الوالدين: {وبالوالدين إحسانًا}[١]، وقد ركَّزَ التلمود البابلي على احترام الآباء وإكرامهم، فقال: «واحترام الآباء وإكرامهم، وكذلك الأمهات، كان واجبًا لزامًا على الأولاد»[٢]، وقال سبحانه وتعالى في شأن الأبناء: {يوصيكم الله في أولدكم}[٣]، ووافق ذلك ما جاء في «التثنية» في شأن الاهتمام بالأبناء: «وأنتم أيها الآباء، لا تغيظوا أولادكم، بل ربوهم بتأديب الربِّ وإنذاره»[٤]، وقال تعالى في حقهما معًا في كتابه المبين: {آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم

نفعًا}[٥] وقال تعالى في حق الوالدين: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}[٦]، ويؤيد ذلك كله ما جاء في التوراة وفي الوصايا العشرة، ومنها :»أكرِم أباك وأمك؛ لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك»[٧] ، وجاء في «الخروج»: «تاج الشيوخ بنو البنين، وفخر البنين آباؤهم»[٨] . وقد حرص الإسلام على ترابط المجتمع بجنسيه: الذكر والأنثى، فقال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا}[٩]، وكذلك جاء في الكتاب المقدس في سفر التكوين: «...ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله»[١٠]، فالأسرة هي القاسم المشترك الأعظم الذي يجمع المجتمعات، ويحث عليها الدين الإسلامي، والشرائع السماوية الأخرى، فإذا ما تلاحم النسيج الأسري، تلاحمت المجتمعات وصلحت. ولعل من أبرز ما يُعزز اللُّحمة بين المجتمعات هو الأسرة.

وبنظرة سريعة إلى أحوالها اليوم، نجد أن التقدم التكنولوجي أثَّر فيها، وبات يهدد كيانها، ويقطع أوصالها؛ ما جعل «الواقع الافتراضي» يلقي بظلاله إلى تلك المجتمعات، فراحت الأسرة ضحية تلك التكنولوجيا، وانغمس أفرادها فيما يسمى بـ(الواقع المفروض)، ويُقصد به: ما يصعب الخروج من قبضته، ويُلزم التعاطي معه لأهميته في ظل التقنيات المعاصرة، كالتطور التكنولوجي بشكل عام، والذكاء الصنعي بشكل خاص-، فتخبَّطت الأسرة العربية المسلمة بين أمرين: الواقع الحقيقي، و»الواقع الافتراضي»، الذي تنوعت تعريفاته وتعددت:

فأصل **الفـــرض** في اللغة: «الحز في الشيء، والقطع، والفرض: الواجب، وكل واجب مؤقت فهو فرض»[١١] ، وأما **الواقـــع الافتراضـــي** أو «الميتافيرس» فالمقصود به اليوم: «استبدال الاتصال الوسيطي بالاتصال الحقيقي، وتحوّل الشخص إلى فرد افتراضي يتفاعل ضمن مجتمع افتراضي»[١٢] . ولعل تعريفات الواقع الافتراضي المتنوعة، تلتقي مع مفهومها اللغوي في ملمح جامع بينهما وهو الإلزام، ذلك أنَّ الأُسَرَ والمجتمعات انخرطت بشكل كبير فيه، فوصلوا إلى واقع فُرض عليهم، وغدا الواقع الحقيقي

اليوم ضربًا من الخيال، أو وهمًا من الأوهام، مستندين في ذلك إلى عالمهم الافتراضي الرحب الذي يعيشون فيه، فانفصموا انفصاماً تاماً عن واقعهم الحقيقي.وهنا تبقى المساءلة التي مضمارها:

ما المجال الذي يشهده الواقع المفروض ؟

يكتنف الواقع المفروض مجالات لا حصر لها، -وسنلمح إليها إلماحة سريعة، إذ ليس من مهمات هذا البحث تناولها جميعًا- إذ إنه دخل حياتنا في جميع المجالات: وحقق «الويب ٠,٢ » اليوم ثورة تكنولوجية عظيمة فدخل «**الذكاء الصنعي** الذي هو: «نظمٌ تكنولوجية قادرة على معالجة المعلومات بطريقة تماثل السلوك الإنساني، وتنطوي عادة على خصائص تضم الاستدلال، والتعلم، والإدراك، والتنبؤ، والتخطيط، والتحكم أو السيطرة»[١٣]، في كافة مناحي الحياة، وعلى كافة الأصعدة، فمن عالم الفضاء إلى عالَمَي البر والبحر، إلى الطب وإدارة الأعمال والهندسة والاقتصاد، والعلوم بأنواعها... إلى أن وصل إلى أدق تفاصيل المواد، وإلى جزئيات المادة نفسها، إذ إنه يعد محور البحوث والتنمية المهمة، «ومن الشركات الكبرى: بايدو، وفيسبوك، وجوجل، ومايكروسوفت، إذ تنبه الدراسات الاستقصائية لمشروعات الذكاء الاصطناعي العام إلى ما سيحدث عندما سيصبح الذكاء الاصطناعي أكثر تقدمًا مما هو عليه، يقول «باوم سيث»: «إنَّ المنظور المرَوّعَ هو أن الآلات التي يقودها الذكاء الاصطناعي سوف تفوق الإنسانية وستسيطر على العالم وتقتلنا جميعًا»[١٤]، وكذلك الأمر فإن «النانو تكنولوجي»[١٥]، يعد عالمًا مستقلًا في حد ذاته عن عالم السوشل ميديا، إذ توصل الباحثون إلى كيفية فهم المواد والتعامل معها بتعمق كبير، فوصل «النانو تكنولوجي» إلى تقدم خطير في فهم الأشياء وماهياتها، واستفاد العالم كثيرًا من هذا التطور.

واللافت أن لشبكات **التواصل الاجتماعي**، والسوشل ميديا -ونعني بها: «مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت، ظهرت مع الجيل الثاني «للويب ٠,٢»، تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه

انتماء، يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية، المتاحة للعرض»[١٦]- لها أبلغ الأثر في انزياح أفراد الأسرة إلى واقع افتراضي بشكل ملحوظ: إذ إنها وسيلة فعَّالة، من وسائل التواصل الاجتماعي سواء أكانوا مجهولي الهوية أم معلوميها. وبعد ذلك دخل ما يسمى بالويب ٣,٠، فصار يركز على الخصوصية (برسناليشن)، وأصبح يعرف تمامًا كل مستخدم ماذا يريد، وما هي اهتماماته، (ونلاحظ ذلك عمليًا عندما نجري حسابًا خاصًا فإننا نجد أن «الويب ٢,٠» يعرف مباشرة اهتماماتنا، وما الأمور التي تخص كل شخص، وكذلك اليوتيوب، بمجرد الدخول إليه يعطي كل شخص ما يرغب فيه عادة، وما الأمور التي يهتم بها، فصار مُبَرمجًا على معرفة خصائص المتعاملين معه... ثم ظهر بعد ذلك «الويب٤,٠»، «والويب٥,٠»... «[١٧]، -وليس من مهمات الدراسة الخوض في تفاصيلها- «وهناك علماء كثيرون مثل: ديفيد ج.تشالمرز من جامعة نيويوك، وبيركلي ونيك بوستروم من جامعة أكسفورد، وغيرهم، يشعرون بالقلق من أن الذكاء الاصطناعي العام يشكل تهديدًا خطيرًا أو حتميًا للإنسانية»[١٨]،

ولا مناص من تغلغل أبعاد ذلك التطور التكنولوجي في حياتنا، فقد باتت «الويكابيديا»، و»السوشل ميديا»، الأكثر تأثيرًا في المجتمع من وسائل الإعلام الأخرى، فَصُنَّاعُ المحتوى، والأشخاص الأعلى شهرة اليوم، هم الأكثر تأثيرًا في الأسر والمجتمعات؛ ولأنَّ جمهورهم ضخمٌ، فقد أصبحت الكلمة لهم، والتأثير لهم، فهم أصحاب القرار، والتأثير، والتبعية لهم بغض النظر عن دينهم، وأخلاقهم، وهويتهم، وانتماءاتهم، فتسارعت الأخبار، وترهلت المعلومات إلى حد الزخم المعلوماتي، فباتت اليوم أغزر، وأسرع انتشارًا من غيرها على منصات التواصل الاجتماعي، وبالفعل فإن لهؤلاء المشاهير (البلوجرز) تأثيرًا قويًا في المجتمعات يفوق تأثير القنابل الذرية، ناهيك عن تأثيرها في الأسرة.

والجدير بالذكر فإن الأسرة العربية المسلمة -وغيرها- بات جل اهتمامها استقطاب أكبر قدر ممكن من المعجبين والمتابعين؛ ذلك أن «السوشيل ميديا»

أصبحت اليوم الأكثر تأثيرًا ومتابعة؛ لذلك يلجأ إليها كثيرٌ من الإعلاميين والمشاهير؛ كي يستطيعوا الاقتراب من جماهيرهم؛ فيكون لهم صدى واسع، وبات جزء كبيرٌ منها يخوض في الحرب الإعلامية، وحرب المعلومات وغيرها، ولعله من المهم التعرف إلى الواقع الافتراضي لمعرفة أثره في الأسرة والمجتمع:

أنواع الواقع الافتراضي:

وتجدر الإشارة إلى تبيان الفرق بين «السوشل ميديا» وبين «الميتافيرس»: إذ يُعد «الميتافيرس» هو الأساس الجامع للواقع الافتراضي، وجميع متعلقات التفاعل الافتراضي،»**فالميتافيرس** (Metaverse): مصطلح يُستخدم لوصف بيئة افتراضية ثلاثية الأبعاد تجمع بين الواقع الافتراضي والعالم الواقعي. ويمكن أن يتضمن الميتافيرس عوالم افتراضية مشتركة يتيح للأشخاص اجتماعهم فيها والتفاعل مع بيئاتها وبعضهم بعضًا عبر الإنترنت، ويُمكن أن تشمل هذه البيئات: ألعاب الفيديو والعوالم الافتراضية والاجتماعات الافتراضية، والكثير من التطبيقات الأخرى [١٩]، ولتبيان «**السوشل ميديا**»، فقد تنوعت تعريفاتها، لكنها بالإجمال، «هي كل أنواع التفاعل الذي يتم بين الناس، وذلك من خلال إنشاء ومشاركة وتبادل المعلومات فيما بينهم»[٢٠]، ويُعد «الفيس والتويتر واليوتيوب، **ومواقع التواصل الاجتماعي** "Social Networking Sites" كال»الأنستجرام، والتلجرام، واليوتيوب، والتيتوك...»، **ومجتمعات المحتوى**، وال»سوشل نت وركينك سايدس»، مثل الفيس بوك، وهناك عوالم الألعاب الافتراضية» Virtual Game Worlds» (فيرتشوال جيم ووردز)، مثل: «وورد أوف وار كرافت»، وهناك عوالم الحياة الافتراضية "Virtual Social Worlds"، (فيرتشوال سوشل ووردز)، مثل **السوشل لايف**، جزءاً منها»[٢١]، وبمعنى جامع لما سبق: فإن **العوالم الافتراضية** بشكل عام قد تشير إلى الإنترنت ككل، بما في ذلك النطاق الكامل للواقع المعزز «[٢٢]، بمعنى أن الواقع الافتراضي أساسه الإنترنت.

الأسرة المسلمة بين سندان الواقع الافتراضي، ومطرقة الواقع المفروض:

غزا الواقع الافتراضي حياتنا، وعلى الأخص الأسرة إلى درجة خروجها من واقعها الحقيقي إلى واقع فُرض عليها،

دون أن يكون لها يد في ذلك، والخطورة التي تهدد الأسرة المسلمة وغيرها، أنه سيأتي اليوم الذي تصبح فيه «السوشل ميديا» شيئًا قديمًا، وقد تختفي في يوم ما، فنحن اليوم نتعامل معها ونحن خارجها، أي أننا في عالم واقعي نعيش فيه، والتكنولوجيا هي الأمر الافتراضي، لكن الواقع المفروض، والمخيف مستقبلًا: أننا سنعيش ونحن داخل الواقع الافتراضي، من خلال التكنولوجيا برمتها، ولن يعود هناك ما يسمى بالعالم الافتراضي، لأنه سيكون حتمًا واقعًا مفروضًا على الأسرة والمجتمعات، وليس فقط في «السوشل ميديا» بل في العالم الافتراضي قاطبة، أو «الميتافيرس»، فهو عالم افتراضي لكنه سيكون واقعًا إلزاميًا، ففي دراسة أجريت على طلاب الـ إم بي إي في جامعة عمان «حول جلوس الطلاب أمام الشاشات على اختلاف أنواعها، تراوحت نتيجة المتابعين للسوشل ميديا بين (٨٠-٩٠٪) إذ إنهم يتابعون الميتافيرس بين (٦-٨) ساعات يومياً على مختلف أنواع الشاشات الذكية»[٢٣]، وتجدر الإشارة إلى **أهمية تبيين بعض تلك الآثار**، فقد أظهرت دراسات علمية إحصائية، أن «المستخدمين يقضون معظم الوقت مع وسائل التواصل الاجتماعي، ومعظم أولئك الذين يقضون ذلك الوقت هم من الشرق الأوسط وأمريكا، (٣,٥ بمعدل ٣ساعات ونصف) يومياً»[٢٤]، وبناء على تلك الدراسات فإننا نرى أن أبناءنا ينزاحون تدريجياً إلى الواقع الافتراضي بشكل ملحوظ أكثر من الواقع الحقيقي، دون أن يشعروا بذلك، فنحن اليوم نعيش نصف حياتنا، أو أكثر في العالم الافتراضي، واللافت أن خطر تلك التقنيات بات يهدد الأسرة والمجتمع بشكل كبير، على كافة الأصعدة: المعلوماتية، والدينية، والنفسية، والعمرية، سلبًا، أو إيجابًا، ويبدو أن مجتمعنا يعيش في عصر بات يخوض حربًا ضارية مع الغرف الرقمية، والمعلومات، وزخم غزير ومتسارع فيها، فقد يتلقى الفرد في الأسرة كمًّا هائلًا من المعلومات المتضاربة، أو المتوافقة في صحتها، ولا حول له فيها ولا قوة، ولعل الحروب اليوم تلعب دورًا واضحًا جليًا في بث الرعب من خلال «السوشل ميديا»، ومن خلال حذف، أو نشر ما يَرغبُ صُنَّاع القرار بحذفه، أو نشره، وقد تتوقف بعض الحسابات لغاية في أنفس أصحاب القرار، أو بعض المنصّات، أو نشر سردية معينة من خلال الغرف الرقمية...ولنا أن نقول: إنه من الخطورة بمكان أن يُلقى الأمر

هكذا على عواهنه، وتبقى المساءلة التي مضمارها: إلى أين نحن ذاهبون في ظل الواقع المفروض؟

لقد أثبتت دراسات حديثة أن للعالم الافتراضي تأثيراتٍ معلوماتية، ومعرفية،..وأيديولوجية واجتماعية،- تعمل على تدهور منظومة القيم- ،وظهور الانعزال الذاتي[٢٥]، إذ إن الفرد يشعربأنه يعيش في عالم حقيقي وأن كل من هم حوله -من العالم الواقعي- إنما هم وهميون، فلا يتعاطى معهم، بل ينعزل في مجتمعه الافتراضي فيعيش فيه متوهمًا أنه عالمه الحقيقي، ناهيك عن الاغتراب الثقافي، والتنميط الاجتماعي، والانحطاط الأخلاقي والقيمي ، فالفرد في أسرته ينسلخ انسلاخًا تامًا عن ثقافته ومجتمعه، فيتملّص من الروابط الاجتماعية كلها، ويتقمص أخلاقيات المجتمعات الافتراضية التي يعيش في واقعها. والجدير بالذكر أن الانفجار المعلوماتي في ظل الواقع الافتراضي في تزايد متسارع، وبات الواقع المفروض اليوم يؤثر في هوية الأفراد في الأسرة، « فمحددات الهوية في العالم الحقيقي تتباين ومحدداتها في العالم الافتراضي، فلكل مستخدم في العالم الافتراضي صفحة شخصية تحدد هويته، وتختلف بالطبع من موقع إلى آخر، «وقد أثبتت دراسات إحصائية كثيرة «أن ما يحتاجه المتعامل من بيانات الخصوصية للفرد، عندما يكون التعامل وجهًا لوجه أقل بكثير من تفاعل المستخدمين مع الشبكة، ولا يكون في الثقة نفسها»[٢٦]، وفي هذا دليل واضح على أن الواقع الافتراضي يفرض على أبنائنا تعاملًا لا يبرز شخصيتهم الحقيقة بخلاف الواقع الحقيقي، وشخصياتهم التي تتبلور بشكل صادق وواضح.

والسؤال المهم الذي يتبادر إلى الذهن: لماذا يلجأ أغلب الناس إلى الميتافيرس، أو العالم الافتراضي؟ ففي مقابلة أجريت مع المهندس الدكتور «أحمد شتات»، تبيَّن أن هناك سببين رئيسَين يدفعان معظم الناس إلى الميتافيرس،أولها:

-أن الواقع الافتراضي، أو «الميتافيرس» يمنح الإنسان شعوراً بأنه يعيش ذلك الواقع الذي رام الوصل إليه، أو رغب فيه، فعند شراء سيارة معينة، فإن «الميتافيرس» تعطي الفرد شعوراً وكأنه يلمس السيارة ويركبها ويقودها، بل وتمنحه الشعور بالرائحة التي تنبعث من إطارات أو عجلات السيارة، كما أنه يمنحه الولوج إلى جميع التفاصيل التي يرغب فيها.

-وثانيها: أن الإنسان يجد نفسه فيه، فكل ما يحلم به الإنسان يستطيع أن يحققه من خلال الميتافيرس أو العالم الافتراضي، كحضور الحفلات، أو الزواج، أو السياحة، وتجميع الأحباب، والأصحاب، والثراء الفاحش من خلال الألعاب الإلكترونية»[٢٧]، فالعالم الافتراضي عالم متكامل وصل إلى مرحلة كبيرة من التطور والتقدم، لا يمكن الاستغناء عنه.

أثر الواقع الافتراضي في الجانب الآيديولوجي والعقائدي لأفراد الأسرة:

تتجلى معظم الآثار الإيجابية للواقع الافتراضي بشكل واضح، يعلمه الجميع، ولا يمكن إنكارها حتمًا، إلا أنه وعلى الصعيد العمري، فقد تبين في دراسات عدة، أن هذا الواقع الافتراضي أصبح يشكل خطرًا يهدد الأسرة، ولا مفر منه، فهناك مواقف كثيرة تعرض لها بعض الأطفال في أثناء اللعب الإلكترونية، عبر «الإنترنت»، ومن خلال حوارات كثيرة معه، فقد أوصلوه إلى تكفير عائلته، وأن طريق الجنة يبدأ بقتلهم، أو أن وجود الله، أو الدين خرافة»[٢٨]، ومن هنا صار للأديان مفهوم **العنف**، فانسلخ الجيل من دينه وهويته، وغدا لقمة سائغة تتلقفها الأدمغة المتطرفة.

أثر الواقع الافتراضي، و«السوشال ميديا» في الجانب النفسي لأفراد الأسرة:

غزت وسائل الإعلام الحديثة «السوشل ميديا»، والعالم الافتراضي، واقعنا الحقيقي؛ فأصبحت مصدرًا رئيسًا يغذي وسائل الإعلام العادية، ويرفده بأحدث، وأغزر، وأسرع الأخبار، بل يزيد على ذلك في أنها ترصد آراء المتابعين، بشكل مستمر، كما تسهم وسائل الإعلام الحديثة «السوشل ميديا» في تشكيل الوعي الجديد لدى أفراد الأسرة، وأبناء مجتمعاتنا، أكثر من وسائل الإعلام القديمة.

وقد أظهرت دراسات متنوعة أن هناك آثارًا خطيرة ظهرت نتيجة انخراط أفراد الأسرة في الواقع المفروض، ناهيك عن **التنمر الإلكتروني** الذي هو: «استخدام التكنولوجيا ووسائل الاتصال الإلكتروني مثل الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي لقمع، أو إيذاء

الأفراد، أو المجموعات عبر نشر المعلومات الضارة بهم»[٢٩]، فقد أثبتت كثير من الدراسات أن انغماس أفراد الأسرة –آباءً وأبناء– في العالم المفروض، قد يقودهم إلى مخاطر لا يمكن الخروج منها إلا بعد فوات الأوان، ويعد التنمر الإلكتروني ظاهرة خطيرة تؤثر على الصحة النفسية والعاطفية للضحايا، وتشكل تهديدًا للأمان الشخصي، وهناك أنواع للتنمر الإلكتروني يجدر بنا أن نذكر منها:

–التخويف: عندما يرسل المتنمر رسائل للتخويف، هدفه من ذلك إخافة الضحية وإرعابها.

–الطرد والاستقصاء: يتضمن الإزالة للشخص من المجتمع، وغالباً ما يحدث بين الشباب والمراهقين.

–التحرش: نوع من المحادثة حيث يرسل المتنمر وبشكل مستمر رسائل مهينة للمستخدمين»[٣٠]، وفي هذا خطر جسيم على الأسرة والمجتمعات، وقد أفضى ذلك إلى آثار لا يمكن التغاضي عنها، فكان من أهمها: الآثار المتعلقة بالتنمر الإلكتروني، ونذكر منها على سبيل العد لا الحصر: «٤١٪» الأرق الاجتماعي. و»٣٧٪» الاكتئاب المتطور، و»٢٦٪» أفكار الانتحار»[٣١].

ومن جانب آخر، فقد أثبتت عدة دراسات أن نسبة ٦٠-٧٠٪ من أفراد الأسر يتعاملون مع العالم الافتراضي أو الميتافيرس (كالفيس بوك أو الواتس أب) بطلاقة وأريحية تامة، وعندما تقابلهم في العالم الواقعي الحقيقي، تجدهم **منعـــزلين انطوائـــيين**، أو قد يتصفون بالخجل، وضعف الشخصية... وقد يكون العكس تماماً، فهناك أشخاص قد لا يتكلمون كثيراً في الواقع الافتراضي، لكنهم في الواقع الحقيقي يتصفون بقوة الشخصية، فالشخصية الافتراضية قد تكون ضعيفة تارة، أو قد يكون العكس تارة أخرى. ناهيك عن بروز **الازدواجيـــة** في كثير من الشخصيات بين عالمي الواقع والافتراض؛ ما يؤدي إلى «تحويلها إلى شخصيات غير متزنة، تصدر انفعالات سلبية تجاه المجتمع؛ ما يسبب حالة من الصراع النفسي والفكري مع الذات، ويعزز الإحساس بالعزلة والتوحد مع الذات»[٣٢]، وقد يأتي اليوم الذي تنتهي معه تلك الشخصية الحقيقية، لتحل محلها الشخصية الافتراضية، وشيئًا فشيئًا قد **تـــذوب الأســـرة** الحقيقية معها؛ لتحل محلها الأسرة الافتراضية.

*وعلى الصعيـــد العالمي: فقد تحول العالم إلى عالم افتراضي كامل، والشركات إلى شركات افتراضية، حتى إن كثيرًا من الشركات الافتراضية ترغب وتستقطب وتلتقط الشخص الذي يقوم بالدعاية والإقناع على الجانبين معًا –الواقعي والافتراضي–، وهذا ما ترغب فيه الكثير من الشركات، فتتولد الرغبة لدى الشخص أن يدخل العالم الافتراضي، أو «الميتافيرس» بكل حماس، لأنه يتعلق بعمله، وترقيته في عمله، واحترام مدرائه له، فهناك كثير من الموظفين، أو المدرسين قد خسروا أعمالهم بسبب خيبتهم وعدم تمكنهم من الانخراط في العالم الافتراضي، أو الميتافيرس، وهناك من تشكلت لديه عقد نفسية بسبب فشله في الضلوع بتلك التكنولوجيا الحديثة. وقد يتعرض الأستاذ الجامعي، أو الطبيب أو المهندس إلى إنهاء خدماته، إن لم يكن ملمًا بتقنيات الميتافيرس، أو الواقع الافتراضي، ولا يمكن غض الطرف عن دورها الكبير في حركة الجسد ولغته، إذ كيف يستطيع المدرس ممارسة دوره، دون أن يكون هناك دورٌ للغة الجسد؟ ما يؤدي إلى فقدان كثير من مقومات اللغة الإشارية ولغة الجسد في أثناء الكلام. والأهم من ذلك كله أننا سنفقد الإحساس الذي يربط بين عملية الاتصال، فما يؤثر في عمل المرء ينعكس بالطبع على أسرته وأفراد المجتمع تباعًا، ناهيك عن إضاعة الوقت والجهد والمال لإنتاج محتوى، يتلاءم مع الشهرة المزمع الوصول إليها، فهو يتطلب «مكساجًا»، و»مونتاجًا» معينًا، وإضاءة، وخلفيات، ومؤثرات صوتية ومرئية... لمواكبة لتطور العصر،ويصبح شغل الفرد الشاغل ليل نهار: كيف يصنع محتوى؛ ليبرز، ويثبت دوره في عالم الشهرة؟ ولهذا فكثيرًا ما يُصاب الفرد بما يسمى: «هَوَسِ الشهرة».

–يعد «مريض الشهرة»من أخطر ما يهدد الأسرة المسلمة اليوم، إذ إنه يستهلك جُلَّ وقته لاستقطاب المتابعين؛ وقد يدفعه ذلك إلى التماهي مع الواقع المفروض، وهناك من يصل به الجشع والطمع –في سبيل الحصول على أكبر نسبة من تأييد المتابعين له– قد يصل إلى نسيان المبادئ والقيم، فيَبُثُّ ما يشاء من أفكار مغلوطة، قد تودي بحياة ومبادئ الملايين من أفراد المجتمع؛ كل ذلك ليصلَ إلى عرش الشهرة، فتتفكك اللُّحمة الأُسَرية.

– والأخطر من ذلك أن هناك «غرفًا رقمية لها دور خطير في التضليل الإعلامي، أو الفبركة، وكذلك الأجهزة المبرمجة»[٣٣]، التي تعمل لمصالح من يسعى إلى هدم الأسرة العربية المسلمة، يجدر التنبه إليه.

إيجابيات الواقع المفروض:

لا يمكننا إنكار ما للواقع المفروض على مجتمعنا من إيجابيات كبيرة على كافة المستويات نذكر على سبيل المثال:

–على صعيد الأطفال: «ظهور شريحة كبيرة من الأطفال، ومن صغار السن الذين لا يثقون بالسرديات الإعلامية وما تبثه في ثناياها من أفكار مغلوطة، فقد بدأ **يكتشف تضليل الغرب**، استطاع طفل الواقع الافتراضي أن يميز بينها، ويدرك خطورتها؛ فعلى سبيل المثال: فقد مارس كثير من الأطفال تظاهرات افتراضية من خلال الألعاب الافتراضية كال»روبلوكس» للتعبير عن الرأي عند الأطفال»[٣٤]، وفي ذلك دلالة واضحة على تأثر الأطفال إيجابيًا في مجال التقني، –كما أن صناعة المحتوى الجيد يُعَدُّ ميزة يمكن من خلالها الوصول إلى ما يفيد الأسرة المسلمة والمجتمعات.

–ويبدو أنه لا ينبغي للفرد في أسرته أن ينخرط في الواقع المفروض، إلا لأمرين: إما للتأثير، أو للتأثُّر، فإن كانت الأولى فعليه أن يكون مشهورًا؛ ليكون له تأثيرٌ في الواقع الافتراضي المفروض، وفي هذا عناء طويل... وإن كانت الثانية فليس من الضروري ملازمة «السوشل ميديا» والتماهي في دوامتها، ويكفي متابعة المهم منها بين الفينة والأخرى، لأن الخبر قادم قادم، عاجلاً، أم آجلًا فلِمَ إضاعة الوقت؟

كما لا يمكننا أن نغض الطرف عن مزاياها، ففي مجال الأسرة –على سبيل المثال– أعاد كثير من الآباء النظر في تربيتهم مستفيدين من من خصائصها الإيجابية وكثرة المعلومات، كما عادوا إلى رُشدهم بعد معرفتهم بخطورتها.

–ونرى ضرورة التعرف إلى طبيعة الزمن الذي نعيشه وطبيعة الأفكار التي يتم تداولها من قبل الأطفال، وعلى الوالدين اليوم أن يكونا مستعدَّين لمثل هذه المرحلة التي نعيشها، ولمواجهة هذا التحدي التربوي، علينا أن نفكر بعمق في مصير الأجيال القادمة فكريًا وثقافيًا ودينيًا؛ لأن التطور التكنولوجي سريع،

ودخولنا الواقع المفروض غدا واقعًا لا مفر منه، **ينبغـــي الحـــذر** في أثناء التعاطي معه.

إستراتيجيـة المحافظـة على عقـول أبنائنا: وتتم من خلال سياستين:

-الأول: أن نشارك أبناءنا الفعاليات التي يقومون بها سواء أكانت من خلال البرامج التي يتفاعلون معها، أم الألعاب التي يلعبونها، أو الكتب التي يقرؤونها ، أو المسلسلات والأفلام التي يتابعونها؛ لأنه من أكبر الأخطاء التربوية اليوم أن نترك الحبل على الغارب، أو أن نفوض أبناءنا بإدارة حياتهم كما يريدون حتى ولو كانوا صغارًا. فالأفكار المتطرفة والمنحرفة صارت تدب دبيب النمل، لا تفرق بين كبير، أو صغير.

-والثاني أن يهتم الوالدان بتطوير أنفسهما علميًا وتكنولوجيًا وتربوياً، ويتعرفا على طبيعة زمانهما، ويفهمانه جيدًا، حتى يواكبا طريقة تفكير أبنائهم؛ لأنهم خُلقوا لزمان غير زمانهم؛ فلا بد من النزول إلى مستوى الحوار مع الأبناء الذين تم هجرهم فترات طويلة حول القيم والأخلاق والشرائع، لأخذ ما يتوافق، ويأتلف مع دين الإسلام وشرعه، ونبذ ما هو متناقض ومختلف معه، والحوار الدائم عما يشاهدونه ويسمعونه؛ للتعرف على الأفكار التي تصلهم، وتحويل الأولويات إلى الأسرة أولاً، وإعادة ترتيبها، ونصيحة الوالدين بجمع الأدلة في حال التنمر بين الأطفال، واحتواء مشكلاتهم وحلها.

-يُعَدّ إيصال الصور والأفكار الحقيقية للغرب، واجب المجتمع وأفراد الأسرة قاطبة، حتى يُوثَّق للغرب ما يفعله أعداء الإسلام من خلال حروب الإعلام، وأكبر شاهد على ذلك «طوفان الأقصى»، وما منَحَنا من قيم، ودروس عبر التاريخ.

خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال جوهري: كيف يمكن التعامل مع الواقع المفروض في ظل الواقع الافتراضي؟ وقد أجابت عنه من خلال تبيان موقف دين الإسلام والشرائع السماوية من الأسرة، والمجال الذي يشهده الواقع المفروض، وبينت أنواع الواقع الافتراضي، وجوانبه السلبية والإيجابية، وأثرها في الأسرة على الجانب الآيديولوجي والعقائدي، والجانب النفسي لأفراد الأسرة، وأهم الاستراتيجيات المتبعة للمحافظة على عقول أبنائنا، والعمل

على إخراجهم من الواقع المفروض ما أمكن، وحسن التعاطي مع الواقع الافتراضي.

وخلصت إلى أهم النتائج والتوصيات التي حققتها، ولعل من أهمها:

-هناك غزو قيمي لل»السوشال ميديا»على كافة المستويات، يحيط بالمجتمعات وبالأسرة، له أبعاده الفكرية والقيمية، تعمل لمصالح من يسعى إلى هدم الأسرة العربية المسلمة، يجدر التنبه إليه.

ويمكن كبح جماح هذا الطوفان المتسارع من خلال:

-إخراج الناس من الواقع المفروض؛ لأنهم بطبيعة الحال هم يعيشون فيه، لا أن نحذرهم من الدخول فيه، فهم في داخله لا محالة، والذي يُفترض اليوم أن نُخرجهم من ذلك العالم الذي انغمسوا في الانخراط فيه؛ لِيَعُوا متى وكيف يتعاملون معه.

-تحديد الشاشة الذكية التي يعيش المرء فيها في عالمه الافتراضي، وتقنين عدد الساعات وحصرها فيما هو جديد ومُلِح، لا أن يتابع كل شاردة وواردة، حفاظًا على الوقت والجهد، والعقل والمال.

-إن اجتناب الواقع المفروض لا يحدث من تلقاء نفسه، إذ إنه يحتاج إلى جهد واع يقوم به الآباء، والأبناء، والعلماء، والمفكرون، أو تقوم به المجامع والهيئات المختصة بالتطور التكنولوجي، والتقنيات الحديثة، والغرف الرقمية، وتصبح الحاجة مُلحَّة إلى وضع مخطط تربوي، من قبل مراكز الأسرة، والتنشئة الاجتماعية والمدارس والجامعات، يخدم الأسرة العربية، ويحفظها، ويبين معالمها وجمالها، ويعيدها إلى أصالتها وقيمها، فهو مطلبٌ من مطالب الأسرة العربية المسلمة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب والمصادر:

٣-التلمود البابلي، (٢٠١١)، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١، الأردن.

٤-الكتاب المقدس، سفر التكوين، موسوعة العيون المعرفية، الأصحاح الخامس.

https://www.christian-lib.com

– ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين، لسان العرب، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.

ثانيًا: الأبحاث العلمية:

– باوم، سيث، «**منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي**»، مجلة فكر، ع٢٤، يناير(٢٠١٩)، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، السعودية.

–خليفاتي، وهيبة الجوزي، «**مستقبل العلاقات الاجتماعية بين العالم الأصيل التقليدي والعالم الافتراضي الحديث**»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكاكي، ع٢٠، (٢٠١٩). المغرب.

– رحماني، نعيمة، وآخر، «**الإنترنت (العالم الافتراضي) والعنف الرمزي**»، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع١١، سبتمبر ٢٠١٤، الجزائر.

– صوالحة، مجدي شاكر، «**ندوة الذكاء الاصطناعي وأثره في خدمة العلوم الشرعية واللغة العربية**»، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، سبتمبر ٢٠٢٢، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مج٣٧، ع١٣٠، الكويت.

– المزوغي، حنان، «**العالم الافتراضي وأثره على تشكيل الهوية الاجتماعية للمراهقين**»، مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة مصراتة، س١، ع١، (٢٠١٥)، ليبيا.

ثالثًا: المصادر الأجنبية:

١- Anoud Mohammed Al Al ,Duailaj and Aymen Belghith Detecting Arabic Cy-“).2023(berbullying Tweets Using Machine Learning”, Saudi Electronic University, Saudi Arabia

2- Dianne M. Timm, Carolyn J. Duven. (2008): Privacy and Social Networking Sites, Wiley .Inter Science, no. 124

رابعًا:المواقع الإلكترونية:

– gro.aidepikiw.ra//:sptth

«ويكابيديا الموسوعة الحرة»، الميتافيرس. جامعة الزقازيق، مؤتمر جامعة الزقازيق، ٢٥، مارس، ٢٠٢٠.

http://metaverseroadmap.

org/inputs4.html

https://www.youtube.com/watch?v=Yx-pwZ-2t0aM "ماهي السوشل ميديا"، (Media 4:30pm (Star Group

https://www.alnilin.com/12731276.htm، المطوع، جاسم، «**هل وصل الإلحاد إلى أبنائنا وأطفالنا؟**».

moc.cude-wen.www//:sptth- «التنمر الإلكتروني»

خامسًا: البرامج التلفازية، والمقابلات الشخصية:

أ: البرامج التلفازية:

- حلاوة، بهية، «برنامج حروب الإعلام»، قناة الميادين، الأربعاء ٢٥-١٠-٢٠٢٣، الساعة ٥:٣٠ صباحًا.

ب:المقابلات الشخصية:

-شتات، أحمد صالح علي، أستاذ **«نظم المعلومات الإدارية»، مقابلة شخصية حول** «نسبة اتخدام طلاب (MBA) في مادة «IT for Management» للشاشات الذكية -دراسة إحصائية-، جامعة صحار، عُمان، الأربعاء: ١٩-٤-٢٠٢٣.

الهوامش:

١. (الأنعام:١٥١).

٢. التلمود البابلي، (٢٠١١)، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١،الأردن، مج١، «واجبات الزوجين، وحقوقهما»، «وشأن الأبناء» (الخروج ١٢:٢٠؛ لاويين ٣:١٩، تثنية ١٦:٥).

٣. النساء:١١).

٤. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الأصحاح الخامس. الكتاب المقدس، سفر التكوين، موسوعة العيون المعرفية، الأصحاح الخامس. https://www.christianlib.com

٥. النساء:١١).

٦. (لقمان: ١٥).

٧. الوصايا العشرة، الكتاب المقدسhttps://nosos.net

٨. التلمود البابلي، (٢٠١١)، مج١، ص١٦٣ومابعدها، (سفر الخروج:١٦،٢٢)، (١٢:٢٠)

٩. (الحجرات:١٣).

١٠. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الأصحاح الخامس: (٢٧:١-٢٨).

١١. ابن منظور، محمد بن مكرم ، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت: ٢٠٢/٧-٢٠٣. مادة: فرض.

١٢. خليفاتي، وهيبة الجوزي، «مستقبل العلاقات الاجتماعية بين العالم الأصيل التقليدي والعالم الافتراضي الحديث»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة شعيب الدكاكي، ع٢٠، (٢٠١٩). المغرب. (ص١٤٩).

١٣. صوالحة، مجدي شاكر، «ندوة الذكاء الاصطناعي وأثره في خدمة العلوم الشرعية واللغة العربية»، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، سبتمبر٢٠٢٢، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مج٣٧، ع١٣٠، ص٤٠٤.

١٤. باوم، سيث، «منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي»، مجلة فكر، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، ع٢٤، يناير(٢٠١٩)، السعودية.ص١٣٦-١٣٧.

١٥. https://mawdoo3.com، رقية وليد، (٢٠١٩) ، «ما هو علم النانو تكنولوجي».

١٦. Dianne M. Timm, Carolyn J. Duven (٢٠٠٨): Privacy and Social Networking Sites, Wiley Inter Science, no P٩٠,١٢٤.

١٧. شتات، أحمد صالح علي، أستاذ «نظم المعلومات الإدارية»، مقابلة شخصية حول «نسبة اتخدام طلاب (MBA) في مادة «IT for Management» للشاشات الذكية -دراسة إحصائية-، جامعة صحار، عُمان، الأربعاء: ١٩-٤-٢٠٢٣.

١٨. باوم، سيث، «منع حدوث نهاية العالم بسبب الذكاء الاصطناعي»، (ص١٣٦).

١٩. https://ar.wikipedia.org «ويكابيديا الموسوعة الحرة»، الميتافيرس. جامعة الزقازيق، مؤتمر جامعة الزقازيق، ٢٥، ٣، ٢٠٢٠.

٢٠. https://video.search.yahoo.com/search/videماهوالعالم الافتراضي،حنان مشقوق، ١٠-يوليو-٢٠١٩.

٢١. https://www.almrsal.com/post/1059738- ، «العالم الافتراضي».

٢٢. https://ar.wikipedia.org «ويكابيديا الموسوعة الحرة»، «الميتافيرس». جامعة الزقازيق،

٢٣. شتات، أحمد صالح علي، أستاذ «نظم المعلومات الإدارية»، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

٢٤. Alanoud Alduailaj and Aymen Belghith,)٢٠٢٣(. "Detecting Arabic Cyberbullying Tweets Using Machine Learning", Saudi Electronic University, Saudi Arabia. (pag30.

٢٥. المزوغي، حنان، «العالم الافتراضي وأثره على تشكيل الهوية الاجتماعية للمراهقين»، مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة مصراتة، س١،ع١، (٢٠١٥)، ليبيا. ص١٦٢.

٢٦. خليفاتي، وهيبة الجوزي، «مستقبل العلاقات الاجتماعية»، مرجع سابق، ص١٥٢.

٢٧. شتات، أحمد صالح علي، أستاذ «نظم المعلومات الإدارية»، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

٢٨. https://www.alnilin.com/١٢٧٣١٢٧٦.htm، «هل وصل الإلحاد إلى أبنائنا وأطفالنا؟»، جاسم المطوع.

٢٩. Alanoud Mohammed Al duailaj and Aymen Belghith,)٢٠٢٣(. "Detecting Arabic Cyberbullying Tweets Using Machine Learning", pag ٣٣-٣٠.

٣٠. المصدر السابق نفسه.

٣١. رحماني، نعيمة، وآخر، «الإنترنت (العالم الافتراضي) والعنف الرمزي»،ص٣٧٥.

٣٢. المرجع السابق نفسه.

٣٣. حلاوة، بهية، «برنامج حروب الإعلام»، قناة الميادين، الأربعاء ٢٥-١٠-٢٠٢٣، الساعة ٥:٣٠ صباحًا.

٣٤. المرجع السابق نفسه. ١١:٣٠ مساءً.

نحو مقاربة لقيمة الزواج في الأسرة لدى الأديان السماوية

د. كمال أصلان *

الملخص:

الترابط الأسري في الديانات السماوية مسألة مُتفق عليها في إطارها العام، ويقوم على أساس الزواج بين الذكر والأنثى، وهذا هو الأسلوب الشرعي الذي ارتضاه الله تعالى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، وهناك اتفاق كبير في مفهوم الزواج في الديانات السماوية.

وقد تختلف أشكال الزواج من شريعة لأخرى، ففي اليهودية يقوم الزواج على ثلاثة مظاهر أساسية، هي: التقديس، وكتابة العقد، وصلاة البركة، وقد خالفت المسيحية الشريعة الموسوية في إباحة التعدد، كما أنها حرّمت الطلاق بشكل عام، والمسيحية كغيرها من الرسالات قد وضعت أسسًا للعلاقة بين الزوجين ورسمت حقوق كل منهما وواجباته، وحثّت على الزواج والتناسل، إلا أنها قد آثرت عليه التبتل عند استطاعة الإنسان ضبط نفسه، وكبح شهواته.

وفي الشريعة الإسلامية لا يُشترط وصاية رجال الدين في الزواج عند إبرام العقود الشخصية، كما هو حادث في المسيحية في هذه الناحية، كل ما هنالك أن الإسلام جاء بشروط وضوابط لإتمام الزواج فليس على أتباعه إلا مراعاتها ليكون العقد صحيحًا.

وفي المجمل تتفق الديانات السماوية في الأهداف الأساسية من الزواج، وتختلف في

(*) عضو هيئة تدريس (منتدبًا) في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر.

مسألة الطلاق، فلا يتم الطلاق في الديانة المسيحية في الغالب، أما في اليهودية والإسلام فهناك شروط لوقوع الطلاق بين الزوجين، وتعدد الزواج جائز في اليهودية والإسلام، وغير مسموح به في المسيحية.

كلمـــات مفتاحيـــة: قيم – زواج – الأسرة – اليهودية – المسيحية – الإسلام – الطلاق – التعدد – حقوق.

مقدمة:

تعتبر قضية الزواج من القضايا المهمة التي تحافظ على التماسك الأسري، وتضبط العلاقة بين الرجل والمرأة في إطارها الشرعي، وذلك لأنه ظهرت، في السنوات الأخيرة، علاقات متعددة بين الرجل والمرأة في غير إطار الزواج، مما أدى إلى الانحراف لكلا الجنسين، وتسبب في ضياع النسب، وفي الغالب ينتشر ذلك في المجتمعات غير المحافظة. والأديان السماوية (اليهودية، والمسيحية، والإسلام)، حرصوا على إقامة هذه العلاقة بشكل شرعي، يحفظ حقوق الزوجين، والأبناء فيما بعد، كما يحفظ المجتمع من الانهيار، لأن العلاقات غير السوية بين الرجل والمرأة، يكون لها تأثيرات سلبية على الأفراد والمجتمع بكامله.

واتفقت هذه الديانات على الهدف الأساس من الزواج، لحفظ وإحصان الزوجين، وإشباع الغريزة الجنسية بينهما، وإنجاب الأولاد، وإقامة حياة مستقرة بينهما قائمة على المودة والرحمة والسكينة، واختلفوا في بعض التفاصيل مثل: عدم الطلاق في المسيحية إلا بشروط قاسية، كذلك تفضيل الرهبنة على الزواج أحيانًا، وعدم إباحة التعدد، على العكس من اليهودية والإسلام، وجميعهم أقروا بحقوق الزوجين ورعايتها من الطرفين، وعدم الإخلال بها، لكي تستقر الحياة الزوجية. وسنتعرف في هذه الدراسة على تفاصيل ذلك.

مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح:

قيمة الشيء في اللغة هي قدره، وقيمة المتاع ثمنه، يقال: قيمة المرء ما يحسنه، وما لفلان قيمة، أي ما له ثبات ودوام على الأمر.

والقيمة مرادفة للثمن، إلا أن الثمن قد يكون مساويًا للقيمة، أو زائدًا عليها أو ناقصًا عنها، والفرق بينهما أن ما يقدر عوضًا للشيء في عقد البيع يسمى ثمنًا له، الدراهم والدنانير وغيرها، على حين أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية،

أو أخلاقية، أو جمالية[1].

مفهوم الزواج في اللغة:

ورد في لسان العرب أن الزَّوْجُ الفَرْدُ الذي له قَرِينٌ، والزوج: الاثنان. وعنده زَوْجَا نِعالٍ وزوجا حمام؛ يعني ذكرين أَو أُنثيين، وقيل: يعني ذكرًا وأُنثى، ولا يقال: زوج حمام لأَن الزوج هنا هو الفرد.. وزوج المرأَة: بعلها، وزوج الرجل: امرأَته؛ ابن سيده: والرجل زوج المرأَة، وهي زوجه وزوجته[2]. ويقال: زوج الشيء وزوّجه إليه أي قرنه به، وتزاوج القوم وازدوجوا: أي تزوج بعضهم بعضًا، والمزاوجة، والازدواج بمعنى واحد[3].

ومفهوم الزواج في الاصطلاح:

الزواج اصطلاحًا هو عقد بين الرَّجل والمرأة وأساسه حِلُّ الاستمتاع بينهما، شريطةَ أن تكون المرأة أجنبية؛ أي ليست من محارم الرَّجل؛ كالنَّسب أو الرِّضاع وغيرهما، وتجدر الإشارة إلى أنَّ عقد الزَّواج هو بمثابة ملك خاص للزَّوج، أي لا يجوز للمرأة أن تتزوَّج بأكثر من رجلٍ[4].

مفهومة الأسرة في اللغة والاصطلاح:

الأســـرة في اللغة: هي الدرع الحصينة، ومن الرجل: الرهط الأدنون[5]، وورد في مختار الصحاح أسرة الرجل: رهطه؛ لأنه يتقوى بهم[6]، وأصل المادة فيه يعني الضم والشد، ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالأسار، قال تعالى: (نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ)[7]، أي شددنا وصل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب[8].

والأسرة في الاصطلاح: هي: «كيان اجتماعي يقوم على ارتباط رجل وامرأة برباط شرعي معلن تترتب عليه حقوق وواجبات على كل منهما للآخر، وهذا الرباط هو الزواج، الذي شرعته الديانات السماوية كلها، وباركته، واعتبرته السبيل الوحيد لتكوين الأسرة المشروعة، وهو يسير مع سنة الله العامة في هذا الكون: سنة الازدواج في كل شيء»[9]، (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زوجين)[10] (الذاريات: ٤٩).

مفهـوم الـزواج في الأديـان السماوية:

أساس بناء الأسرة هو الزواج، الذي يقوم بين ذكر وأنثى لإشباع الغريزة الجنسية لكل منهما، وطلب التناسل المشروع، وإقامة حياة مستقرة بينهما قائمة على المودة والرحمة والسكينة،

وهذا هو الأسلوب الشرعي الذي ارتضاه الله تعالى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، وقد يختلف مفهوم الزواج من ديانة لأخرى. وسوف يكون التركيز في هذه الدراسة على الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، والمسيحية، والإسلام).

أولًا: الزواج في الشريعة اليهودية

الزواج في الديانة اليهودية له مكانة كبيرة، حيث يُعد واجبًا، فعلى الشاب المقتدر الإسراع في الزواج دون تأجيل؛ فالرجل بدون امرأة هو إنسان غير كامل، وإهمال تلك المقاصد والإخلال بها يضر بمقصود الزواج ويُفقده قيمته الأساسية، وللزواج في اليهودية مقاصد عدة، أهمها: التناسل والتكاثر والسكن والعون، وإنشاء بيت وتكوين أسرة، والإشباع العاطفي لعدم الوقوع في الرذيلة، وكذا الحفاظ على المال، حيث اعتاد اليهود الزواج من داخل العشيرة للحفاظ على أموال وممتلكات العشيرة. ويعتبر بقاء اليهودي في العزوبة أمرًا منافيًا للدين، ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، والزواج بغير اليهودي أو اليهودية يعتبر فجورًا وزنًا مستمرين، ويجوز لليهودي الزواج ببنت أخيه أو ابنة أخته، ولكن العكس محرم، فلا يتزوج الرجل من عمته أو خالته.

ويأخذ الزواج عند اليهود طابعًا دينيًا، فلا يكتفى بالرضا من الجانبين، بل لا بد من توافر الشكل الديني، والمهر يعتبر من أركان عقد الزواج عند القرائيين[١١]، ويحرم الدخول بالمرأة قبل قبضها المهر، كما يحرم تجاوزها عنه، حتى لا تضع نفسها بموضع الزوجة غير الشرعية، ويوجب الربانيون على الرجل، أن يسمي المهر عند عقد الخطبة، وهذا ما جاء في مجموعة ابن شمعون في تعريف الخطبة على أنها عقد يتفق به الخاطبان على أن يتزوجا ببعضهما شرعًا من أجل مسمى بمهر مُقر بشروط يتفقان عليها[١٢].

ومن شرائعهم في الزواج أن أرملة اليهودي الذي مات، ولم ينجب منها يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإجبار، فإذا أنجب منها فإن المولود يحمل اسم أخيه الميت وينسب إليه، وإذا امتنع الأخ من تزوج أرملة أخيه فإنه يُشّهر به ويخلع من المجتمع اليهودي، وتسمى المرأة التي تؤول إلى أخي زوجها الميت.

ويعتقد اليهود أن الزواج يتقرر في السماء من قبل ميلاد الشخص فقد ورد في المشنة[١٣] أنه «قبل ميلاد الطفل بأربعين يومًا يعلن في السماء أنه سيتزوج بنت

فلان»[١٤].

وتُوصي الشريعة اليهودية الرجل بعدم الإقدام على الزواج حتى يستطيع إعالة المرأة، فقد ورد في المشنة أن «التوراة قد رسمت الطريق الصحيح الذي ينبغي على الرجل اتباعه، فعليه في المحل الأول أن يبني بيته، بعد ذلك يزرع الكرمة، ثم بعد ذلك يتزوج... كما يوصى التلمود بالتحقيق في اختيار المرأة، وعدم الإقدام على زواجها إلا بعد رؤيتها خشية أن يكتشف فيها بعد ذلك شيئًا ذميمًا ويطردها، وكذلك ضرورة التناسب بين الرجل والمرأة في السن والحجم، وذلك حرصًا على تحسن النسل[١٥].

ويُعد التناسل والتكاثر هو المقصد الأول من مقاصد الزواج في اليهودية، فإذا كان الزواج «قد شرع للسعادة الروحية والعاطفية بين الزوجين، والسبيل للتناسل والحفاظ على الأنساب وإعمار الأرض»[١٦]، إلا أننا نجد أن اليهودية جعلت التناسل والتكاثر أهم مقاصد الزواج، حيث «ورد في المادة الثالثة والتسعين بعد المئة أركان عقد النكاح وشروطه عند اليهود، النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الإنساني فرض على كل يهودي، ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عازبًا بدون زواج كان سببًا في غضب الله على بني إسرائيل»[١٧].

وقد اهتمت اليهودية بالنسل والإنجاب، نظرًا لأهمية الأبناء الكبرى، حيث كانوا يعاونون الأب في رعي الغنم والأعمال الشاقة، ويتضح ذلك في مواضع متعددة من التوراة، حيث يتضح أن الحرص على التناسل، والرغبة في الإنجاب، يُعدّ أهم مقاصد الزواج، وأسمى أهدافه، حتى أننا وجدنا أن ابنتي لوط عليه السلام، حسبما ذكرت التوراة، قد سقتا والدهما خمرًا، واضطجعتا معه؛ لتحقيق هذا الهدف، ولإحياء نسل أبيهما، فجاء في سفر التكوين أن لوطًا عليه السلام كان يسكن في الجبل وابنتاه معه، وكان قد كبر في السن، فاتفقتا على أن تسقياه خمرًا، ويضطجعن معه، لإحياء نسل أبيهما[١٨].

أشكال الزواج في الشريعة اليهودية:

يقوم الزواج في اليهودية على ثلاثة مظاهر أساسية، هي: التقديس، وكتابة العقد، وصلاة البركة:

أولاً: التقديس:

التقديس هو الرباط الديني الأول، الذي يربط المرأة بالرجل شرعًا، وبعده لا تحل المرأة لأي رجل آخر إلا بالطلاق أو الوفاة، وعلى الرغم من شرعية هذا

الرباط، إلا أنه لا يبيح للرجل الدخول بالمرأة قبل أن تستكمل بقية الأركان.
والتقديس عند الربانيين، يكون بإعلان الرغبة أمام الحضور وأقل الحضور شاهدين، وعلى من يريد الزواج أن يتقدم من هذا المجلس ويعلن عن رغبته في الزواج من المرأة التي يريد الاقتران بها، ولا بد من لفظ يردده أمام الحضور، وهو يقدم لها سواه قائلاً: (تقدست لي زوجة بهذا الخاتم، أو بكذا إن كان شيئًا آخر، مما الخاتم أو يمتلكه الرجل).
وعند القرائين يكون التقديس في مجلس لا يقل عددهم عن عشرة رجال ويقدم طالب الزواج وعلى مرأى من جميع الحاضرين المهر كله، أو بعضه سواء كان نقدًا، أو عينًا إلى كبير الحاضرين، حيث يقوم هذا بدوره بتسليم المهر الذي تسلّمه إلى والد الفتاة أو وكيلها، أو يتم تسليمه إليها في بعض الظروف، ولو أن هذا الشكل الأخير غير مستحسن عندهم، ويفضلون أن يسلّم المهر إلى من ينوب عنها باستلامه. ويمكن للرجل أن يلتزم بالمهر أمام الجميع دون أن يقدم شيئًا[١٩].

ثانيًا: كتابة العقد:

وهو أساس الزواج في الشريعة اليهودية، وقبله وعلى الرغم من وجود التقديس لا تحل الإقامة مع المرأة، كما لا تحل معاشرتها. فالعقد هو الذي يضفي على العلاقة بين اثنين صفة الشرعية بعد التقديس فقد جاء في مجموعة ابن شمعون في المادة ٥٦: بأن إقامة الرجل مع المرأة بغير كتابة عقد الزواج الشرعي، ممنوع ولو كان هناك تقديس. وذكرت المادة ٦٦ و٦٧ من ذات المجموعة: أنه يطلق على كتابة العقد بالعبرية اسم (كتوباه)، ويشتمل على ذكر:
أ – المهر والحقوق والواجبات الشرعية لكل من الطرفين.
ب – شروط كل من الطرفين على الآخر، على ألا تخالف هذه الشروط الشرع والأصول.
ج – التوثيق المالي لكل من الطرفين: حيث يشار إلى ما يجب للمرأة من مؤجل الصداق في ذمّة الرجل، وما يكون قد أخذه الزوج من زوجته.
وينص الفكر اليهودي، على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج، تطالب به بعد موته أو عند الطلاق منه. وعلى هذا فكل ما تدخل به من مال وكل ما تلتقطه وتكسبه من سعي وعمل وكل ما يهدى إليها في عرسها ... ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف يشاء بدون معارض ولا

منازع)[٢٠].

ثالثًا: صلاة البركة:

إذا تم التقديس، وكتابة العقد وفق الأصول المذكورة، كان لزامًا في النهاية أن تقام صلاة البركة في احتفال علني يحضره عدد من الناس، لا يقل عن عشرة رجال؛ لأن التبرك والعلانية شرطان لازمان لإتمام الزواج وإلى هذا أشارت المادة ٥٦، ٦١ من مجموعة ابن شمعون، وتقام في الاحتفال طقوس دينية خاصة، تبدأ بالتلاوة الدينية، ثم يقوم الرجل ويجدّد يمين العهد، وبعد ذلك تبدأ صلاة البركة، حيث يبدأ بها من قام بتوثيق العقد، ثم تتكرر الصلوات والأدعية التي يشترك فيها الجميع[٢١].

تعدد الزواج في الشريعة اليهودية:

تعدد الزوجات عند اليهود جائز[٢٢]، ولم تكن الشريعة اليهودية لتمنعه لأن إبراهيم، عليه السلام، وهو جدهم قد تزوج أكثر من زوجة، وكذلك يعقوب وداود وسليمان عليهم السلام.

وفضلاً عن ذلك فقد كان لدى اليهود نظام السراري، وهن في الشريعة اليهودية زوجات شرعيات، إلا أن منزلتهن نقل عن الزوجة وللرجل الحق في أن يشتري لنفسه ما شاء من السراري، من بين الأسرى أو العبيد أو الفتيات اللواتي يبيعهن آباؤهن، وقد ذكرت التوراة أن إبراهيم، ويعقوب، وجدعون، وداود، وسليمان، عليهم السلام، كانوا يملكون عددًا من السراري.

وكثيرًا ما يتزوج اليهود بالإضافة إلى ذلك الجاريات! حتى أن الزوجة إذا اتضح أنها عاقر، قدمت جاريتها لزوجها حتى تنجب منه الأولاد، وتنسبهم لنفسها، وهذا ما فعلته سارة زوجة إبراهيم، عليه السلام، فقد قدمت له جاريتها هاجر لأنها لم تستطع أن تلد له الأولاد، وكذلك فعلت راحيل، حيث أعطت زوجها يعقوب جاريتها لتنجب له.

والتعدد بالطبع قاصر على الرجال، فالمرأة لا تستطيع أن تجمع أكثر من زوج في وقت واحد.

وعلى الرغم من إباحة التعدد شرعيًا واجتماعيًا، إلا أنه يعتبر أمرًا غير مرغوب فيه، ولا يلجأ إليه إلا لضرورة معينه وبشروط خاصة، ويشترط في التعدد ما يلي:

١ – ألا يزيد على أربع.

٢ وجود مسوغ شرعي للتعدد كجنون الزوجة الأولى، أو عقمها.

٣ – أن يكون الزوج في سعة من العيش، قادرًا على العدل بين زوجاته.

ويطلب في بعض الأحيان، موافقة الزوجة الأولى أو طلاقها إن طلبت هي ذلك[٢٣].

أحكام الطلاق في الشريعة اليهودية:

تبيح الشريعة اليهودية للرجل أن ينهي زواجه بالطلاق في أي وقت شاء، وعلى الرغم من سهولة الطلاق الذي يكفي فيه أن يقدم وثيقة به لزوجته إلا أنه لا يمكنه أن يردها إليه إذا كانت قد تزوجت بعده رجلاً.

وللطلاق أسباب وردت في كتاب الأحكام على صيغة مواد جاء فيه: المادة ٤٢٨ الأسباب التي يحل معها الطلاق ثلاثة: الزنا، والعقم، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق، وجاء في المادة ٤٢٩: (يحل للرجل أن يطلق زوجته إذا أشيع عنها الزنا ولو لم يثبت عليها فعلاً، كما يحل له طلاقها إذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك).

والمادة ٤٣٠ ذكرت أنه (يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات، أن يفارقها ويتزوج غيرها). أما المرأة فلا يمكنها أن تطلب من زوجها الطلاق، سواء ثبت عليه جريمة الزنا، أم كان فيه عيب من العيوب. وإلى هذا أشارت المادة ٤٣٣: (ليس للمرأة أن تطلب الطلاق مهما كانت عيوب زوجها، حتى ولو ثبت عليه الزنا).

وحرمة المرأة على زوجها لا تكون بعد الطلاق فقط، بل تحرم عليه بمجرد عزمه على طلاقها، فقد ذكرت المادة ٤٣٤ (متى نوى الزوج الطلاق، حرمت عليه معاشرة زوجته، فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الإسراع إلى طلاقها)[٢٤].

ثانيًا: الزواج في الشريعة المسيحية

اهتمت الشريعة المسيحية بالزواج كاليهودية وجعلته من المقدسات، إلا أنها قد خالفت الشريعة الموسوية في إباحة التعدد، كما أنها حرمت الطلاق بشكل عام، والمسيحية كغيرها من الرسالات قد وضعت أسسًا للعلاقة بين الزوجين ورسمت حقوق كل منهما وواجباته، وحثّت على الزواج والتناسل، إلا أنها قد آثرت عليه التبتل عند استطاعة الإنسان على ضبط نفسه وكبح شهواته.

وتذهب الديانة المسيحية إلى أن الزواج وضعه الله، ومع ذلك «فإن للإرادة البشرية نصيبها فيه، وهو نصيب شريف للغاية، لأن كل زواج بمفرده، من حيث هو اتحاد هذا الرجل وتلك المرأة، لا يتم

إلا باتفاق كلا الزوجين ورضاهما الاختياري»[٢٥].

أهداف الزواج في المسيحية:

للزواج في المسيحية احترام وتبجيل وتقديس حتى اعتبر من الأسرار المقدسة (سر الزواج)، وهدف الزواج المسيحي: الإنجاب والتكافل الاجتماعي والإشباع الجنسي المشروع[٢٦].
وقد تناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل البابا شنودة الثالث[٢٧]، وذكر أن أهم أهداف الزواج ثلاث نقاط:

الأولى: إنجاب البنين: فالزواج هو أول رابطة بين الرجل والمرأة لإنجاب بنين شرعيين، وعدم تحقق الإنجاب لا يؤدي إلى هدمه، يقول القديس أوغسطينوس: إن رابطة الزواج من القوة بحيث على الرغم من أنها ربطت بقصد إنجاب البنين إلا أنها لا يمكن أن تحل بسبب عدم إنجاب البنين، وليس مصرحًا تطليق العاقر.

الثانيـــة: من أجل تكويـــن الجماعة: يقول القديس أوغسطنيوس: «ليس الزواج لإنجاب البنين فقط، وإنها أيضًا لأجل التكوين الطبيعي للجماعة (التعاون الاجتماعي)»، إن شهوة الجسد تختلف بواسطة المشاعر الأبوية ومشاعر الأمومة.

الثالثة: لأجل الضعفاء أي الإحصان: حسن للرجل ألّا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها، لأن التزوج أصلح من التحرق[٢٨].

ومع أهمية الزواج إلا أن المسيحية هي الدين السماوي الوحيد الذي يدعو إلى التبتل (عدم الزواج والاستمتاع الجنسي)، ويرى أن ترك الزواج فضيلة، ومن رغب عن الزواج وزهد فيه فهذا أفضل للتفرغ للعبادة، ولن يصل أحد لدرجة القديسين إلا بالزهد في الجنس، باعتبار أن الزواج سيصرفه عن العبادة.
وعلى ذلك ترى المسيحية أن التبتل أكثر رُقيًا من الزواج وما يشمله من علاقة جنسية بين الزوج وزوجته، وأن نعمة التبتل هي نعمة إلهية مقدسة جاءت بوحي إلهي وأوامر رسولية[٢٩].

شروط الزواج في المسيحية:

الزواج سر مقدس يتم بصلاة الإكليل على يد الكاهن وفقًا لتقاليد الكنيسة الأرثوذكسية بقصد ارتباط رجل وامرأة ليتعاونا على تكوين أسرة، ولابد من توثيقه على يد الكاهن، فالصبغة الدينية شرط أساسي في صحة عقد الزواج[٣٠]،

وهناك عدة شروط لا بد من توافرها لإتمام الزواج، منها:

عدم اختلاف الدين أو المذهب فلا يتزوج المسيحي مسلمة، ولا يهودية ولا غيرهما من أهل الأديان الوضعية، وكذلك المسيحية لا يباح لها أن تتزوج بمسلم أو يهودي، أو غيره من أصحاب الديانات الوضعية. هذا فيما يتعلق بالدين.

ولا يجوز زواج الرجل قبل بلوغه ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة، ولا زواج المرأة قبل بلوغها ست عشرة سنة ميلادية كاملة، ولا بد من الرضا المتبادل من كلا الزوجين إذا كانا أهلاً للرضى، أو من وليهما إذا كانا ناقصي الأهلية، أو من ولي ناقص الأهلية منها. فإذا كانا الزوجان ناقصي الأهلية فلا بد من رضا الولي، أما إذا كانت أهليتهما كاملة فلا بد من رضاهما بنفسيهما.

وإذا كان سن الزوج أو الزوجة دون الحادية والعشرين، فيشترط لصحة الزواج رضا وليه الشرعي فإذا امتنع ولي القاصر عن تزويجه فيرفع طالب الزواج الأمر إلى المجلس الملي[٣١].

حقوق الزوجين وواجباتهما في المسيحية:

يجب لكل من الزوجين على الآخر الأمانة، والمعاونة على المعيشة، والمواساة عند المرض، ويجب على الزوج حماية زوجته ومعاملتها بالمعروف ومعاشرتها بالحسنى، ويجب على المرأة إطاعة زوجها فيما له عليها من حقوق الزوجية.

وعلى المرأة أن تسكن مع زوجها، وأن تتبعه أينما سار لتقيم معه في أي محل لائق يختاره لإقامته، وعليها أن تحافظ على ما له، وتعنى به وبأولاده وتلاحظ شؤون بيته، ويجب على الزوج أن يُسكن زوجته في منزله، وأن ينفق عليها على قدر طاقته. والارتباط الزوجي لا يوجب اختلاط الحقوق المالية، بل تظل أموال كلا الزوجين مملوكة له دون الآخر.

والحقوق المشتركة لكل منهما قبل الآخر حُسن المعاشرة، ودوام الألفة عملا بالتعاليم المسيحية الواردة في الكتب الدينية المأثورة عن السيد المسيح، وعلى الزوج الاتفاق على الحياة الزوجية، وللزوجة إدارة شؤون المنزل وتربية الأولاد، وللزوج الرئاسة على الأسرة لأنه هو الذي ينفق عليها ويكد ويكدح من أجلها، ويحمل العبء لتحصيل أرزاقها.

وللزوجة أن تسكن في منزل يخلو من المنغصات عليها، فلو كان التنغيص يأتي من أهل الزوج فلا تلزم ببقائهم معها، وعلى الزوجة ألا تكلف زوجها من

النفقات ما لا يطيق فينفق على قدر استطاعته[٣٢].

الزواج غير قابل للانفكاك (الطلاق) في المسيحية:

تنحصر أُسس الزواج المسيحي أولًا في أنه زواج الرجل الواحد بالمرأة الواحدة المسمى بمبدأ الوحدة الزوجية، وفى أنه علاقة دائمة غير قابلة للانحلال، وفى أنه لا يتم إلا عن طريق الكنيسة بواسطة أحد رجال الدين، فالشريعة المسيحية لا تعرف الطلاق المؤدي إلى حل عقدة الزواج بوصفه حقًا لأحد الزوجين يوقعه بإرادته المنفردة ولا للزوجين معًا عند اتفاقهما على الطلاق، وهذه الأسس لا خلاف بين مذاهب الديانة المسيحية عليها، إنما تختلف المذاهب في الأسباب المؤدية إلى حل الرابطة الزوجية بحكم يصدره القضاء[٣٣].

ويذكر البابا بيوس الحادي عشر أن الزواج غير قابل للانفكاك، مبررًا ذلك «أن ثبات العقد الزواجي غير القابل الانفكاك قد أيده المسيح نفسه إذ قال: «وما جمعه الله فلا يفرقه إنسان»، وكل من طلق امرأة وتزوج أخرى فقد زنى، ومن تزوج التي طلقها رجلها فقد زنى»[٣٤].

وإذا طالعنا رأي المذهب الكاثوليكي نجد أنه يذهب إلى نفس النتيجة المذكورة سلفًا، ويضيفون عليها أنه يمكن التفريق الجسدي بين الزوجين فقط، «لا يقبل الطلاق طريقًا لانحلال الرابطة الزوجية أيًا كانت دواعيه، وإنما يكفي مجرد التفريق الجسدي بين الزوجين مع وجود الرابطة الزوجية بينهما ويعلل بعدم انحلال الرابطة الزوجية، لأنها وقعت أبدية لا يجوز انحلالها حال حياتهما كأبدية علاقة السيد المسيح بالكنيسة»[٣٥].

ويمكن أن يقع الطلاق في حالات محدودة ومخصوصة، منها: علة الزنا، وإذا خرج أحد الزوجين عن الدين المسيحي، وإذا غاب أحد الزوجين خمس سنوات متوالية بحيث لا يعلم مقره، ولا تعلم حياته من وفاته وصدر حكم بإثبات غيبته، والحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال الشاقة، أو السجن، أو الحبس لمدة سبع سنوات فأكثر يسوغ للزوج الآخر طلب الطلاق، وإذا أصيب أحد الزوجين بجنون مطبق يجوز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق إذا كان قد مضى خمس سنوات على الجنون، وثبت أنه غير قابل للشفاء، ويجوز أيضًا للزوجة أن تطلب الطلاق إذا أصيب زوجها بمرض العنّة (الضعف الجنسي)، وثبت أنه غير

قابل للشفاء وكانت الزوجة في سن يخشى عليها فيه الفتنة، ولم يكن قد مضى على الزواج خمس سنوات، وإذا اعتدى أحد الزوجين على حياة الآخر، أو اعتاد ايذاءه إيذاءً جسيمًا يعرض صحته للخطر جاز للزوج المجنى عليه أن يطلب الطلاق[٣٦].

وعلى ذلك لا تجيز المسيحية مسألة التعدد للزوج «فالدين المسيحي لا يجيز أن يكون للرجل غير امرأة واحدة، لأن الله لم يخلق إلا معينًا للرجل. وكانت الشريعة الأولى تجيز أن يتخذ أكثر من امرأة، غير أن شريعة الكمال منعت ذلك.

والأدلة على ذلك كثيرة منها ما قاله بولس الرسول: ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها، وكذلك فإن الغرض الأصلي من الزواج هو التمتع بالحياة حسب النظام الطبيعي الذي أوجده البارئ، فمخالفته بتعدد الزوجات، يدل على الشره والخروج عن الاعتدال»[٣٧].

ثالثًا: الزواج في الشريعة الإسلامية

الزواج في الإسلام شرعه الله، سبحانه وتعالى، لبقاء النسل، ولاستمرار الخلافة في الأرض كما قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[٣٨]، والخليفة هنا هم الإنس الذين يخلف بعضهم بعضًا في عمارة الأرض، ولا يتحقق ذلك إلا بالزواج المشروع وفق حدود الله وهداه. ولما كان الإسلام دين الفطرة، ودين الله الذي أراد عمارة الأرض على هذا النحو فإن الإسلام قد جاء بتحريم التبتل وحثّ على الزواج لكل قادر عليه.

«والحياة الزوجية في الإسلام مسكن اجتماعي نفسي يأوي إلى ظلاله الزوج ليتنسم برد الراحة بعد عناء العمل ويستنشق عبير الأُنس»[٣٩].

أهداف الزواج في الإسلام:

يمكن أن نجمل أهداف الزواج العليا في الشريعة الإسلامية في أربع نقاط: (الإنجاب والنسل – الإمتاع النفسي والجسدي – بلوغ الكمال الإنساني – التعاون على بناء هذه الحياة):

١ – الإنجاب والنسل:

فقد جعل الخالق، سبحانه وتعالى، استمرار النوع الإنساني على الأرض منوطًا بالتزاوج بين الرجل والمرأة، لاستمرار النوع، قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[٤٠].

النسل الذي يصلح لعمارة الأرض وخلافتها وسكناها؛ هو النسل الذي يأتي بطريق نكاح لا بطريق سفاح، فالنسل السوي هو نسل النكاح، وأما نسل السفاح فهو مسخ يشوه وجه الحياة ويشيع فيها الكراهية والمقت.

وقد بالغ المولى، تبارك وتعالى في تقبيح السفاح، «وبالغ في تقبيحه ردعًا وزجرًا، وجعل ارتكابه جريمة فاحشة وأمرًا منكرًا، وندب إلى النكاح وحثّ عليه وأمر به وبث بذور النطف في الأرحام، وأنشأ منها خلقًا سويًا فتبارك الله أحسن الخالقين، فالزواج معين على الدين والدنيا، وحصن لمن قام به»[41].

٢- الإمتاع النفسي والجسدي:

فقد هيّأ الزواج لكل من الرجل والمرأة متعة من أعظم متع الدنيا وهي السكن والراحة النفسية، وإمتاع ولذة جسدية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[42].

والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس، وسكن الجسم، والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله، فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة ومرضاة الله سبحانه وتعالى كملت هذه المتعة ولم ينقصها شيء.

والشاهد من هذا كله أن متع الزواج الحسية والنفسية من خير ما خلق الله من متاع لعباده في الدنيا، وابتغاء هذا المتاع وفق تشريع الله وهديه من الأسباب التي توصل إلى مرضاة الله سبحانه.

٣- بلوغ الكمال الإنساني:

فالرجل لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج الشرعي الذي يتوزع فيه الحقوق والواجبات توزيعًا ربانيًا قائمًا على العدل والإحسان والرحمة، لا توزيعًا عشوائيًا قائمًا على الأثرة، وحب الذات، وافتعال المعارك بين الرجال والنساء، وأخذ الحقوق والتنصل من الواجبات بالشد والجذب.

وعلى ذلك نجد أن المتع الجسدية والنفسية تعمل عملها في نفس الإنسان وفكره وقواه النفسية والبدنية فيشعر بالرضا والسعادة والراحة النفسية والجسدية، حيث تتصرف طاقته وغريزته بأنظف الطرق وأطهرها، وحيث ينشأ بين الزوجين الوفاء والحب الحقيقي القائم على الود والرحمة والمشاركة.

ولذا فأبعد الناس عن الأمراض النفسية والعصبية هم أهل الاستقامة في هذا

الشأن، وأقرب الناس إلى الأمراض النفسية والعقد والامتهان هم أهل الانحراف والفساد. ولذلك فالمجتمع السليم في أفراده ذكورًا وإناثًا هو مجتمع الزواج الشرعي، وبغير ذلك مجتمع الخنا والانحراف.

٤- التعاون على بناء هذه الحياة:

هذه الحياة التي نعيشها على ظهر هذه الأرض تفرض علينا أن نعيش في مجتمع، والمجتمع بناء كبير يتكون من لبنات، والوحدة الأولى من وحدات هذا المجتمع هو الفرد رجلاً كان أو امرأة، وكل منهم محتاج للآخر حاجة شق النواة للشق الثاني، بل حاجة الشيء إلى نفسه، ولذلك لا يمكن أن نبني مجتمعًا سليمًا إلا بتكوين لبنة سليمة، ولا نستطيع أن نقول إن الرجل بنفسه لبنة واحدة.

ولذلك كانت الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع السليم، وبتعاون الزوجين تُبنى الحياة، ولذلك فعقد الزواج يشابه عقود الشركة من هذا الوجه، أعني المشاركة في بناء الحياة وتحمل أعبائها.

أركان الزواج في الإسلام وشروطه:

هناك عنصران أساسيان في الزواج هما الإيجاب والقبول، أو ما يُعبّر عنه بالرضا بين الطرفين، والإيجاب يعبر عنه أولًا، ثم يأتي القبول.

ولا يشترط في الإسلام وصاية رجال الدين في الزواج عند إبرام العقود الشخصية، كما هو حادث في المسيحية في هذه الناحية، كل ما هنالك أن الإسلام جاء بشروط وضوابط لإتمام الزواج فليس على أتباعه إلا مراعاتها ليكون العقد صحيحًا[٤٣].

أما عن شروط الزواج، فيمكن أن نجملها في: التراضي، والولي (للمرأة فقط)، والشهادة، والمهر، والعفة (الإحصان)، والكفاءة، والصيغة الدالة على النكاح[٤٤].

حقوق الزوجين في الإسلام:

الزواج في الإسلام يقوم على المودة والرحمة، ومع ذلك جعل للزوجين حقوق وواجبات تجاه بعضهما البعض، ولن نجد في غير الإسلام احترام حقوق الزوجين، والحرص على تنفيذها كما حرصت الشريعة الإسلامية، فقد وضعت حقوقًا للزوجة، وأخرى للزوج.

حقوق الزوجة:

لقد قنّن الإسلام أروع الحقوق للزوجة، وهي تضمن لها الحياة الكريمة، والسعيدة، ولا تتعرّض لأيّ غبن أو حيف، وإنما تعيش حياة رغيدة حافلة

بالدعة والرخاء والاستقرار، وكان من بين ما شرع لها من الحقوق ما يلي:

أولاً: النفقة: أوجب الإسلام نفقة الزوج على زوجته، وألزمه بأدائها، فإن امتنع من الانفاق عليها فترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي ليجبره على ذلك، وإن لم يستجب لقرار الحاكم، فإنه يحجز أمواله المنقولة، وغير المنقولة، ويبيع منها مقدار النفقة، ويسلّمه إلى الزوجة، ومن أنواع النفقة (المسكن، الطعام، الكسوة، الفراش، آلة التنظيف).

ثانيًا: العدل والإحسان: من حقوق الزوجة على زوجها أن يعاملها بالعدل والإحسان، قال الله تعالى: (وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[٤٥]، وحثّ الرسول الأعظم على الإحسان إلى الزوجة وطيب معاشرتها قال، صلى الله عليه وسلم: (خ يرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي)[٤٦]، ومن أظهر أنواع الإحسان ألا يخدش عاطفتها، ولا يُسيء لها قولاً وفعلاً.

ثالثًا: المضاجعة: ومن حقوق الزوجة على زوجها مضاجعته لها، ونومه معها في فراش واحد، ومن المؤكد أن هذا القرب الجسدي مما يوجب شيوع المودة والمحبة بينهما، أما حق المرأة في المضاجعة على زوجها فهو ليلة واحدة من كل أربع ليال حسبما يقول الفقهاء[٤٧].

حقوق الزوج:

كما أن للمرأة حقوقًا على زوجها ينبغي أن يؤديها تجاهها، فإن للزوج أيضًا حقوقًا على زوجته، ينبغي عليها أن تقدّمها له وتؤديها كاملة، منها:

أولاً: الطاعة: فمن أهم حقوق الزوج على زوجته طاعته، وامتثال أوامره، والانتهاء عما ينهى عنه، فإن لم تستجب لذلك فتصبح ناشزة، ولا تجب نفقتها عليه، وعليها طاعته إلا فيما حرّم الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أعلن القرآن الكريم قوامة الرجل على المرأة، قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[٤٨].

ثانيًا: القـــرار في البيت: فمن حقوق الزوج على زوجته أن تقرّ معه في مسكنه، ولا تخرج منه إلا بإذنه لتتفرغ لإنجاب الأولاد، والعناية بهم، والقيام بتربيتهم، وتدبير شؤون البيت، وخروجها من دون إذنه إهمال لهذه الأمور، والشارع إنّما ألزم الزوجة بملازمة البيت لا للتضييق عليها، وسلب حريتها، وإنما ألزمها بذلك لتتفرغ لخدمة بيتها وإصلاح شؤون أبنائها، وتربيتهم التربية السليمة ليكونوا قُرّة عين لها، وللأمة،

وفي نفس الوقت أنّها تحافظ على كرامتها من الرذائل والمفاسد التي تنشأ من كثرة الخروج، ومزاحمة الرجال. وإذا خرجت لعمل أو غيره، فعليها الالتزام بالشروط والقواعد المرعية في ذلك.

ثالثًا: التأدب: ومن حقوق الزوج على زوجته أن تكون مؤدبة أمامه، وألا تقابله بمُر القول، أو تعمل عملاً يبغضه ويكرهه، فإنّها بذلك تعرض حياتها الزوجية إلى الفساد والانحلال، وكانت آثمة وشاذة عن طريق الحق والصواب لأنها توجب انهيار الأسرة، وشيوع القلق والانحرافات بين أبنائها[٤٩].

تعدد الزوجات في الإسلام:

تعدد الزوجات شرعه الله لعباده مع القدرة والعدل، فلا يجوز للمسلم الذي ليست لديه قدرة أن يقْدُم على التعدد في الزواج، وكذلك من لا يستطيع العدل بين زوجاته، والعدل مقرون بالمقدرة على الإنفاق، والمبيت، لقوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)[٥٠].

ويمكن القول إن «العدل الذي قرر الله أنه غير مستطاع هو العدل الكامل في الماديات والمعنويات، في النفقات والمعاملات الظاهرية، وفى الحب القلبي والميل الفطري، وهذا لا يستطيعه بشر، والنبي، صلى الله عليه وسلم، نفسه قرر أنه لا يستطيعه كبشر، فكان يعدل بين زوجاته في النفقة والمبيت، وأما في الحب القلبي فكان لبعضهن عنده حظوة أكثر من غيرها كعائشة، رضى الله عنها، وقد قرر أن الحب القلبي أمر اضطراري في أكثر أحواله إن لم يكن في جميعها، ولا يستطيع أحد التحكم فيه فهو فوق مقدور البشر، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها»[٥١]، قال سبحانه وتعالى: (ولَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ولَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ)[٥٢].

أحكام الطلاق في الإسلام:

أجاز الإسلام اللجوء إلى الطلاق على كُره، إذا لم تنفع كل وسائل الإصلاح بين الزوجين، أو تضرر أحدهما، وقد قال، صلى الله عليه وسلم: (أبغضُ الحل الِ إلى اللهِ الطلاقُ)[٥٣].

وقد نظّم الإسلام الطلاق «تنظيمًا دقيقًا، مراعيًا في ذلك ناحيتين، ناحية الاستقرار العائلي بضمان توافر الأمن والإنتاج للأسرة، وناحية حفظ كيان المجتمع البشرى، بالإباحة للمرأة إن كانت كارهة لزوجها أن تفتدى نفسها منه بمال، وبإباحة قبول هذا المال منها للرجل، وهو المسمى في عرف الفقهاء بالخُلع قال تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا

حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ)[٥٤]. وإن كان الزوج هو المتضرر من عشرتها، ولم يطق صبرًا على ما يراه منها قد أحل الله له الطلاق بعد محاولة التوفيق بينهما، ومع حفظ الحقوق الكاملة للمطلقة، يؤديها بإحسان»[٥٥]. وهناك تفاصيل كثيرة لأحكام الطلاق في الإسلام يمكن الرجوع إليها في كتب الفقه.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أهمية وجود النواة الأولى للأسرة في الديانات السماوية، وهي الزواج، وحرص هذه الديانات على عدم الارتباط بين الذكر والأنثى إلا من خلال هذه الرابطة، وعليه فإن أي صورة أخرى بين ذكر وذكر، أو أنثى وأنثى، تعتبر خارجة عن سياق هذه الديانات، وتنكرها الشرائع السماوية.

وهناك ارتباط وثيق بين الديانات الثلاث في مفهوم الزواج، مع الاختلاف في مظاهره، حيث يكون لرجال الدين دور كبير في إبرام هذا العقد وخصوصًا في الديانتين اليهودية والمسيحية، أما في الإسلام فلا يوجد وصاية من رجال الدين على الزوجين، ولكن هناك قبول وإيجاب بين الطرفين مع الشهود.

ولا تجيز المسيحية الطلاق على العكس من الديانتين اليهودية والإسلام، فيقع الطلاق إذا استحالة العشرة بين الزوجين، كما أن التعدد بين الزوجين مسموح به في اليهودية والإسلام، ولا وجود له في المسيحية. وحقوق الزوجين في هذه الديانات متقاربة ولا تختلف فيما بينها.

ويوصي الباحث بمزيد من الدراسات التي توضح نصاعة الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام) في الارتباط الشرعي بين الذكر والأنثى، وعدم الارتباط بينهما خارج هذا الإطار، مع التركيز على خطورة العلاقات المثلية التي تقع بين الجنس الواحد على الأفراد والمجتمع، والتي تؤدي إلى شيوع الفاحشة، التي تنكرها هذه الديانات.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الأسرة كما يريدها الإسلام، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، محمود قدح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب،

مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
حقوق الزوج على زوجته في الفكر الإسلامي، صلاح الدين نامق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الثالث، ٢٠٠٩.
دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.
الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، هند المعدللي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.
الزواج والطلاق في جميع الأديان، عبد الله المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع والعشرون، ١٩٦٦.
الزواج والطلاق في رسالات السماء، محمد طاهر الخاقاني، بدون ناشر، ١٤٠٠هـ
الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، زكي علي السيد أبو غضة، بدون ناشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، البابا شنودة الثالث، مطبعة الأنبا رويس، العباسية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠٠١.
الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ٢٠٢٠.
في الزواج المسيحي، البابا بيوس الحادي عشر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٣١.
القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ
مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ١٩٩٠.
المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
المقارنات والمقابلات بين أحكام المرافعات والمعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ومن القانون المصري
والقوانين الوضعية الأخرى، محمد حافظ صبري، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م
مقاصد الزواج في اليهودية، محمد مدبولي عبد الرازق حبيب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد التاسع والثلاثون، ج٤
موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٦
نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، محمود عبد السميع شعلان، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
نظام الأسرة في الإسلام، مناع القطان، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦١.
نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، محمد شكري سرور، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩.

FAMILY

١. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ٢١١/٢

٢. لسان العرب، ابن منظور، مادة زوج

٣. حقوق الزوج على زوجته في الفكر الإسلامي، صلاح الدين نامق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الثالث، ٢٠٠٩، ٣٨٣/١

٤. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ٢٠٢٠، ص٦٥١٣

٥. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، ٣٦٤/١

٦. مختار الصحاح، الرازي، ص١٦

٧. الإنسان: ٢٨.

٨. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ١٩٩٠، ج٢٧/١

٩. الأسرة كما يريدها الإسلام، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٩

١٠. الذاريات: ٤٩

١١. القراءون: نسبة إلى المصدر العبري (قرائيم)، ومعناه الذين يقرؤون المقرأ، أي: التوراة. وينتسبون إلى رجل يسمى (عنان بن داود) من أهل بغداد زمن أبي جعفر المنصور، وتوفي في نهاية القرن الثامن الميلادي. راجع: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص ١٤٥

١٢. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، هند المعدللي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٩٦

١٣. المثْنا (المثْنة): ومعناه (التكرار) أو (الشريعة المتكررة)، وهو بمثابة المتن، وهو عبارة عن مجموعة من الشرائع والتقاليد والروايات اليهودية المختلفة المروية على الألسنة لقرون عديدة إلى أن دوّنها الحاخام (يهوذا هاناسئ) في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد (٢٠٠م). راجع: الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، محمود قدح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١، ص٣٥٢.

١٤. نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، محمد شكري سرور، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩، ص٦٣.

١٥. محمد شكري سرور، مرجع سابق، ص٦٤.

١٦. الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، زكي علي السيد أبو غضة، بدون ناشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٧.

١٧. المقارنات والمقابلات بين أحكام المرافعات والمعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ومن القانون المصري والقوانين الوضعية الأخرى، محمد حافظ صبري، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٢٠هـ-١٩٠٢م، ص٣١٠

١٨. مقاصد الزواج في اليهودية، محمد مدبولي عبد الرازق حبيب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد التاسع والثلاثون، ج٤، ص١٨٠-١٨١.

١٩. الزواج والطلاق في رسالات السماء، محمد طاهر الخاقاني، بدون ناشر، ١٤٠٠هـ، ص١٩٥-١٩٦.

٢٠. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، مرجع سابق، ص٩٧-٩٨.

٢١. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، مرجع سابق، ص٩٨.

٢٢. تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص١١٥.

٢٣. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، مرجع سابق ص٩٩-١٠٠.

٢٤. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠١، وراجع: الزواج والطلاق في جميع الأديان، عبد الله المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦، ص٤٧٠.

٢٥. في الزواج المسيحي، البابا بيوس الحادي عشر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٣١، ص٣.
٢٦. الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، مرجع سابق، ص٢٣.
٢٧. بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر، وهو البابا رقم ١١٧، توفي بالقاهرة في ١٧ من مارس ٢٠١٢.
٢٨. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، البابا شنودة الثالث، مطبعة الأنبا رويس، العباسية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠٠١، ص٦٧-٦٨، بتصرف يسير.
٢٩. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، مرجع سابق، ص٧٢، وما بعدها، وراجع: الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، مرجع سابق، ص٢٥.
٣٠. الزواج والطلاق في جميع الأديان، عبد الله المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع والعشرون، ١٩٦٦، ص٢٦٥-٢٦٦.
٣١. نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، محمود عبد السميع شعلان، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣، الطبعة الأولى، ٢٧٢/١-٢٧٣.
٣٢. الزواج والطلاق في جميع الأديان، مرجع سابق، ص٢٧٨-٢٧٩.
٣٣. الزواج والطلاق في جميع الأديان، مرجع سابق، ص٢٥٩-٢٦٠.
٣٤. في الزواج المسيحي، مرجع سابق، ص١٢.
٣٥. الزواج والطلاق في رسالات السماء، مرجع سابق، ص٣٦١.
٣٦. الزواج والطلاق في جميع الأديان، مرجع سابق، ص٢٨١، وراجع: الزواج والطلاق في رسالات السماء، ص٣٦٤.
٣٧. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، مرجع سابق، ص٨٧.
٣٨. البقرة: ٣٠.
٣٩. نظام الأسرة في الإسلام، مناع القطان، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦١، ص١١
٤٠. السجدة: ٧-٨.
٤١. الزواج والطلاق في جميع الأديان، مرجع سابق، ص١٧١.
٤٢. الروم: ٢١.
٤٣. نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص١٥٨-١٥٩.
٤٤. يراجع تفاصيل ذلك في كتب الفقه الإسلامي
٤٥. النساء: ١٩.
٤٦. أخرجه الترمذي (٣٨٩٥).
٤٧. راجع تفصيل ذلك في: نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٦٦-٦٩.
٤٨. النساء: ٣٤.
٤٩. نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص٦٩-٧٢.
٥٠. النساء: ٣.
٥١. موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٦، ٧١/٦.
٥٢. النساء: ١٣٠.
٥٣. أخرجه أبو داود (٢١٦٨).
٥٤. البقرة: ٢٢٩.
٥٥. موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، مرجع سابق، ص٢٥٤.

التحوّلات الأسرية في الخطابات الدينية الإبراهيمية المعاصرة: دراسة نماذج

د. علي بن مبارك *

الملخّص

شهدت الأسرة اليوم في كلّ أنحاء العالم تحوّلات خطيرة أثّرت في وظيفتها التربوية، وأدوارها الاجتماعية والثقافية، وأصبحت الأسر ضعيفة ومفككة، ونتج عن ذلك تفكك المجتمعات وتراجع الحضارات، وعلى هذا الأساس حاولنا في هذا المقال دراسة التحوّلات الأسرية في الخطابات الدينية الإبراهيمية المعاصرة من خلال نماذج مسيحية وإسلامية وقارنا ذلك بما أسهمت به ديانات أخرى من أفكار وأطروحات مفيدة. ولقد حاولنا أن نرصد التحوّلات المتعلّقة بالأسرة وانعكاسها على الأديان وخطاباتها. وفي هذا السياق عرضنا إسهامات المسيحيين في إعادة الاعتبار للأسرة المعاصرة، وتحدّثنا عن وعي الفكر الإسلامي المعاصر بضرورة إنقاذ العائلة من الانهيار والتفكّك، واستفدنا في ذلك من عدّة مؤلّفات حديثة، حلّلناها وعلّقنا عليها، علّنا من خلالها نقترح بعض الحلول، حتّى تستعيد الأسرة مكانها.

(*) أستاذ الحضارة بالمعهد العالي للغات بنابل جامعة قرطاج بتونس.

مقدمة:

تعيش الأسرة اليوم عدّة تحوّلات خطيرة، أفقدتها بعض خصوصياتها، وغيّرت من صورتها وموقف الناس منها، اضطربت أركان الأسرة، واهتزّت بسبب ذلك بنية المجتمع وأركانه، وتراجعت القيم وانحرفت على مسارها، ووجدت المؤسسات الدينية عاجزة على مواكبة المستجدات وحلّ ما ارتبط بها من صعوبات وانزياحات، فقد أصبحت العلاقات بين أفراد الأسرة هشّة، وأصبح المحيط الخارجي يؤثّر في الأبناء أكثر من العائلة، نتج عن ذلك حيرة الفكر الدينيّ، وانتباهه إلى خطورة هذه المسألة وتداعياتها الاجتماعية والإيمانية، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول بأنّ موضوع الأسرة أصبح من المواضيع الأساسية في الخطابات الدينية المعاصرة، وسنركّز على الديانات الإبراهيمية وخاصة المسيحية والإسلام.

جدير بالذكر أنّ هذا الموضوع متشعّب الأركان، ومتعدّد المداخل، يمكن أن ننظر إليه من زوايا مختلفة، وعلى هذا الأساس ارتأينا أن نتناوله من خلال مدخلين اثنين. يتعلّق المدخل الأوّل بأهمية الأسرة في الفكر الديني عموما وأطرحات الديانات الإبراهيمية بصفة أخصّ، أمّا المدخل الثاني فيتعلّق بالمتغيرات المعاصرة المتعلّقة بالأسرة وانعكاسها على الأديان وخطاباتها، ولا يسمح المقام بذكر هذه المتغيّرات كلّها، ولذلك سنركّز على أهمّها.

أولا: أهمية الأسرة في الفكر الديني

يثير موضوع الأسرة عدّة إشكاليات تتعلّق بالتعريف وتطوّر المفهوم بحسب السياقات والمقامات والتحوّلات الإقليمية والدولية في شتّى المجالات، وجدير بالذكر أنّ مصطلح «أسرة» أُشتق من الجذر اللغوي «أ-س-ر»، ويعني أمسك وقيّد، وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون، ونلاحظ من خلال هذا التحليل اللغوي أنّ مصطلح الأسرة كما يُطرح في الأدبيات المعاصرة لم يكن متداولا في العصور الإسلامية الأولى، ولذلك لا نجد في القرآن حديثا صراحا عن الأسرة أو العائلة، ولكن هناك إشارات إلى مصطلحات أخرى تساعد على فهم الطرح القرآني المتعلّق بهذا الموضوع، إذ تحدّث القرآن عن الأزواج والبنين والحفدة[1] وعن الآل والأهل[2] والصاحبة[3] ... ويعني هذا أنّ أبعاد الأسرة ودلالاتها ليست قطعية الدلالة، بل كانت مجال اختلاف

وتأويل، فقد اختلف المختصّون في تعريفها «وذلك لتنوع حجمها وتعقد بنيتها ووظائفها وعلاقاتها من مجتمع لآخر..»[٤]. ولكن رغم الاختلافات في الطرح والفهم وتباين السياقات والثقافات، فإنّ فلسفة الأسرة تكاد تكون متماثلة رغم تنوّع الحضارات والديانات، فقد عمل الإنسان منذ تواجده على الأرض على تكون أسر متماسكة حتّى تزيد من قوّته وفرص الحياة، فالتآزر الأسري يجعل من القوّة ضعفا، ومن الخوف أمانا، وعلى هذا الأساس اهتمّت الديانات منذ ظهورها بالأسرة، وجعلت منها أداة كلّ إصلاح وتغيير.

لا يسمح المقام بالتوسّع في دراسة تاريخ الفكر الديني المتعلّق بالأسرة ونظامها، فالتقاليد الدينية كثيرة ومتنوعة وقديمة قدم الإنسان، ولذلك سنتحدّث عن نماذج دينية حتى ندرك أهمية الأسرة في الديانات القديمة. وفي هذا الإطار اهتمّت الزاردشتية منذ تجاربها الأولى بتقديس الأسرة والحياة العائلية، فعظّمت التناسل وشجّعت عليه، وقد نُقل عن زاردشت قوله: «أسعد الأماكن المكان الذي يشيد فيه أحد المؤمنين بيتا في داخله كاهن وفيه ماشية وفيه زوجة، وفيه أنعام طيّبة، والذي تكثر الماشية فيه بعدئذ من النتائج وتكثر فيه الزوجة من الأبناء وينمو فيه الطفل وتشتعل فيه النّار وتزداد فيه نعم الحياة..»[٥]، فالسعادة في بعدها الفلسفي الرّوحي ترتبط ببناء أسرة والاستقرار والسكينة والتكاثر، ولذلك اعتبرت الزاردشتية الرجل المتزوج أفضل بكثير من الرجل الذي لا زوجة له، كذلك اعتبرت من أنجب أبناءً أفضل من الرجل الذي لا أبناء له. وجدير بالذكر أنّ المصريّين القدامى أولوا بدورهم الأسرة اهتماما مخصوصا، وشجّعوا على تزويج الأبناء في سنّ مبكّرة لتحمّل المسؤولية، وفي هذا السياق ورد في كتب التاريخ أنّ الحكيم الوزير «بتاح حتب» (Ptah-hotp) قال لابنه ينصحه: «إذا كنت رجلا حكيما فكوّن لنفسك أسرة»[٦]، فتكوين الأسرة مظهرا من مظاهر الحكمة وأبرز تجلّياتها، إذ من الحكمة استمرار النسل وتواصل العمران، وهذا ما تضطلع به الأسرة. وجدير بالذكر أنّ المصريين القدامى عظّموا من شأن المرأة، فكان «هذا الشعب المتحضّر العريق يعامل المرأة معاملة إنسانية كريمة..»[٧]، ونتج عن ذلك تماسك الأسرة وديمومتها، فالمرأة ركن الأسرة الركين، وعمادها المتين، ولذلك جاء في

نصيحة الحكيم «آني» لابنه (خونسو حتب): «أطع والدتك، واحترمها، فإنّ الإله هو الذي أعطاها لك، لقد حملتك في بطنها حملا ثقيلا.. وعندما وُلدت قامت على خدمتك.. ثمّ أخذت تتعهدك بالإرضاع.. وكانت ترافقك كلّ يوم إلى المدرسة.. ثمّ تغدق على معلّمك خبزا وشرابا من وفير خيرات بيتها.. واليوم وقد ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتا فتذكّر أمّك، لا تدعها تلمك وترفع أكفها إلى الله فيستمع شكواها..»[٨].

تركّز نصيحة الحكيم آني على طاعة الأمّ باعتبارها مفتاح السعادة والأمان، والطريف أن كلّ الديانات القديمة حفّزت على طاعة الأمّ وتعظيمها، وتواصل هذا التقدير في الديانات الإبراهيمية، فاعترت اليهودية المرأة الفاضلة غالية «ثمنها يفوق اللآلئ»[٩]، ويمكن أن نكتشف أكثر هذا الاهتمام اليهودي بالأسرة والتزاماتها من خلال العودة إلى كتاب «الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائليين» لحاي بن شمعون[١٠]، وفيه حاول —استئناسا بالتجربة الفقهية الإسلامية– أن يقعّد الأحكام في شكل مواد منظّمة مقسّمة بحسب المواضيع ومرتّبة بحسب الأهمية، ولقد شدّت انتباهنا المادة ١٦، وجاء فيها «الزواج فرض على كلّ إسرائيلي»[١١]، ويعني ذلك أنّ الزواج واجب لا يمكن الاستغناء عنه، أو عدم الالتزام به، فهو يعني استمرار الملّة وتواصل الحياة، والطريف أنّنا نجد الرؤية ذاتها في المسيحية والإسلام. وندرك من خلال ما سبق محورية العائلة في التفكير الديني الإبراهيمي واعتبارها نواة الجماعة الإيمانية وأساس المجتمع الديني المنشود، ولذلك اشترطت هذه الديانات الإبراهيمية أن يكون الزواج منذ بدايته على أسس سليمة بعيدا عن الشبهات، وفي هذا الإطار أكّد حاي بن شمعون أنّه «لا يجوز العقد على امرأة غير خالية أو ثابت طلاقها شرعا أو وفاة زوجها»[١٢]، وهذا ما يؤكده الإسلام وتحثّ عليها المسيحية.

استفادت المسيحية من التراث اليهودي الذي أولى أهمية كبرى للعائلة، وربط بين الأسرة والجماعة المؤمنة، ويتجلّى ذلك بوضوح في العهد القديم، إذ اضطلعت الأسرة بدور ريادي في توجيه التقليد اليهودي وترسيخه، وعلى هذا الأساس جعلت المسيحية من مريم أمّ المسيح أيقونة مقدّسة شامخة عبر العصور، وحثّت على برّ الوالدين، إذ جاء في

سفر التثنية «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ»[١٣]، ونلاحظ من خلال الشاهد النصي السابق أنّ طاعة الأمّ اقترنت بطاعة الأب (الآب)، ونجد هذا الوصل بين طاعة الأبوين في عدّة آيات من الكتاب المقدّس[١٤]. ولم يكن القرآن استثناءً، إذ دعا بدوره إلى طاعة الأبوية وتعظيم الأمّ، والنصوص الداعية إلى ذلك (تصريحا وتضمينا) كثيرة ومتنوّعة[١٥]، فقد أعلن القرآن صراحة «وقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا»[١٦]، واعتبر محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية أنّ برّ الوالدين أصلٌ من أصول الشريعة، لا يمكن التنازل عنه أو التغاضي عنه، ولذلك تعددت الآيات القرآنية الداعية إلى برّ الوالدين وطاعتهما[١٧]، ولذلك كان برّ الوالدين من صفات الأنبياء والصالحين، فكان يحيى «برًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا»[١٨]، وكان المسيح برّا بوالدته ومطيعا لها[١٩] رغم حكمته ومعارفه الربّانية.

ندرك من خلال ما سبق أنّ الأديان عموما اهتمّت بالأسرة، وعملت على ترسيخها وتوفير أسباب تواصلها، واستدعى ذلك اهتمام علم اجتماع الأديان (Sociologie des religions) الذي ركّز على خلفية هذا الاهتمام، ودور الدين في بناء المجتمعات وتفاعلها، ويدفعنا ذلك إلى الحديث علاقة الدين بالمجتمع ، وهي علاقة معقّدة، تتدخّل عدّة عوامل في توجيهها، وتحديد أولياتها، فالأديان مرتبطة بالمجتمعات وتحوّلاتها، والأسرة ركيزة المجتمع وحصنه المنيع، وهي بذلك أوّل وحدة اجتماعية عرفها الإنسان، ولقد نبّه علم اجتماع الأديان كما هو حال علم اجتماع الأسرة (Sociologie de la famille) أنّ الأسرة مؤسسة متطورة ومتغيرة بتغير السياقات والتحديات وطبيعة الأزمات التي تمرّ بها المجتمعات والحضارات. وهذا يعني أن دراسة موضوع الأسرة مرتبط من زاوية سوسيولوجية بالتغيّر والتطوّر والتفاعل التاريخي مع الواقع في مستوياته المختلفة، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول بأنّ الأديان في العصر الحديث وجدت نفسها في أزمة نظرية وإجرائية بسبب ما طرأ على الأسرة المعاصرة من تحولات خطيرة مسّت كيان المجتمع وأضرّت باستقراره.

ثانيا: المتغيرات المعاصرة المتعلّقة بالأسرة وانعكاسها على الأديان وخطاباتها

رأينا فيما سبق أنّ قضايا الأسرة قضايا معقّدة ومنفتحة على عدّة مجالات، ولذلك نحتاج إلى عدّة مقاربات معرفية لدراسة هذه الظاهرة وتحوّلاتها، فقد نحتاج إلى العلوم الإنسانية، والعلوم القانونية، والدراسات الدينية والثقافية المقارنة لنجيب على إشكاليات هذا الموضوع. وندرك من خلال الاستئناس بما كُتب في هذا الموضوع أنّ الأسرة في مختلف المجتمعات الإنسانية تشهد تحوّلات خطيرة، وتعاني من المشاكل ذاتها، فقد كثرت حالات الطلاق، ونتج عن ذلك تفكك الأسر وتشرّد الأبناء وانحرافهم. والأخطر من ذلك أنّ نسبة الزواج في صيغته القانونية الشرعية تراجع بصفة ملحوظة، ومردّ ذلك يعود إلى تأخر سنّ الزواج بسبب غلاء تكاليفه، كذلك يرجع الأمر إلى تعدد أشكال الارتباط بين الرجال والنساء خارج إطار علاقة الزواج الرسمية، ويُضاف إلى ذلك ظهور عدّة أنماط جديدة من الزواج، بارك بعضها رجال الدين والمؤسسات التي ينتمون إليها.

ولئن تراجعت حالات الزواج عالميا وعربيا، فإنّ المتزوّجين أيضا يعانون من عدّة صعوبات تحول دون تحقيق أهداف الأسرة المنشودة المتعلّقة بتوفير الحضانة الاجتماعية، وترسيخ القيم التربوية ذات الخلفيات الفكرية والأخلاقية والنفسية، فلم يعد الزواج يحقق الاستقرار والأمن الاجتماعي والصحة النفسية، واختلّت وظائف الأسرة بسبب هيمنة البعد المادي النفعي، فأصبح البعض يتكسّب بالزواج، ولا يفكّر إلاّ في مصالح مادية ضيّقة، ونتج عن ذلك ظهور أشكال مختلفة من العنف الأسري، تُمارس ضّد المرأة، والرجل، والأبناء، وكبار السنّ، وأصحاب العاهات...

انتبه الفكر الديني في مختلف مرجعياته إلى خطورة هذه الانزياحات وانعكاساتها على الدّين ومؤسّساته، إذ تُعتبر الأسرة في المجتمعات المؤمنة نواة الإيمان وأداته، فمن خلال الأسرة يتماسك الدّين وينتشر، ولذلك اهتمّت التعاليم الدينية في كلّ العصور بالأسرة، واقترحت مجموعة من الأنظمة الأسرية، تتباين في شكلها وتقاليدها، وتتّفق (أو تكاد) على المقاصد المنشودة، وتقوم هذه المقاصد على الموازنة العادلة بين مصلحة الفرد ومصالح الأسرة والمجتمع

والأمّة والبشرية جمعاء، ونجد هذا البعد التفاعلي في المسيحية والإسلام على حدّ سواء، وحاول بعض علماء اللاهوت المسيحي وعلماء الإسلام النّظر في الانزياحات التي لحقت بالأسرة في العصر الحديث وبحثوا لها عن حلول لما استعصى من المشاكل والصعوبات.

١/ المسيحية وضرورة إعادة الاعتبار للأسرة

نلاحظ من خلال ما كُتب في العصر الحديث في موضوع الأسرة مسيحيا وإسلاميّا تفاعل الأدبيات الدينية بكلّ توجّهاتها مع المتغيرات والتحوّلات، وأصبحنا نجد أصواتا عالية تدعو صراحة إلى إنقاذ الأسرة، وإعادة الاعتبار لها، والعمل على تحقيق تماسكها واستقرارها، ومن ثمّة حفظ الإنسان والنسل. كذلك دعت هذه الأصوات الناقدة إلى ضرورة تأصيل الانتماء الأسري بعد انتشار العلاقات العابرة والولادات العشوائية ممّا أضرّ ببنية المجتمع ووظيفته.

تعترضنا هذه الأصوات بنبرتها الاحتجاجية في عدّة مؤلّفات مسيحية بلغات مختلفة، وسنركّز في هذا العمل على نماذج من المؤلفات العربية، فقد اهتمّ المسيحيون العرب بقضايا الأسرة وما تعلّق بها من انزياحات وتحوّلات. ولا نستطيع في هذا المجال البحثيّ الضيّق أن ندرس الكتابات المسيحية كلّها، ولذلك سنركّز في حديثنا عن المسيحية المعاصرة على تجربة عربية تستحقّ التعريف والتحليل، وتتمثّل في أعمال الدورة العادية للمجمع الأنطاكيّ المقدّس برئاسة البطريرك يوحنّا العاشر، وانعقد هذا المجمع في مدينة البلمند (Balamand) اللبنانية في أكتوبر سنة ٢٠١٩، وشارك فيه بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، والمطارنة والأساقفة الذين يمثّلون أبرشيات الوطن وبلاد الانتشار (الخارج)، وانعقد هذا المؤتمر تحت شعار»مفهوم العائلة وواقعها وحاجاتها»، والعنوان دال بطبعه، إذ يدعو صراحة وضمنيا إلى إعادة النّظر في مفهوم الأسرة بسبب ما لحق هذه المؤسّسة الاجتماعية من انزياحات وتحوّلات، فالواقع تغيّر بصفة ملحوظة، ومن ثمّة تطوّرت الحاجيات والذهنيات، وإذا أرادت المؤسسات الدينية أن تحافظ على مكانتها وثقة المؤمنين بها فلا بدّ أن تواكب هذه التغيّرات، وأن تطوّر لاهوت الأسرة والمفاهيم المتعلّقة به، وعلى هذا الأساس أصدر المجمع «رسالة رعائية» مهمّة

عنوانها «العائلة فرح الحياة»، واستهلّت الوثيقة بآية من إنجيل يوحنا نصها «لتكون لهم حياة وتكون لهم أوفر»[٢٠]، ونفهم من خلال عنوان الرسالة الرعائية والشاهد النصيّ التي أُستُهلّت به أنّ ضمور السعادة والفرح في العصر الحديث يكمن في تراجع دور الأسرة واهتزاز كيانها، فالعائلة أساس الفرح والابتهاج، وهي بذلك تصنع الأمل وتحارب الإحباط، ولذلك جاء في هذه الوثيقة :» إنّ آباء المجمع الأنطاكي المقدس إيلاء العائلة أولوية البحث والاهتمام، ينبع من كونها نواة المجتمع، وقلبه وضميره، على الرغم ممّا يطرحه علم الاجتماع الحديث من تساؤلات حول مكانتها»[٢١]، ويتّضح لنا من خلال الشاهد السابق أنّ النّظر في واقع الأسرة وتحدياتها أصبح أولوية، إذ يتوجب الاهتمام بهذا الموضوع من كلّ جوانبه، والطريف أنّ هذه الوثيقة المجمعية أظهرت انفتاحا على علم الاجتماع، ونفهم من ذلك أنّ الفكر الديني يحتاج اليوم في طرحه القضايا الاجتماعية إلى الانفتاح على العلوم الاجتماعية وبقية المعارف ذات الصلة، فالمسألة العائلية مسألة معقّدة ومنفتحة على عدّة قضايا، ولذلك نحتاج في دراسة هذا الموضوع إلى توظيف عدّة مناهج ومقاربات.

تنبه هذا المجمع الكنسي إلى متانة العلاقة بين المجتمع الأسري والمجتمع الإيماني، فالأسرة تحافظ على الإيمان وتعاليمه في المجتمع بمؤسّساته المختلفة، وحينما تتراجع العائلة يتراجع الإيمان، ويضعف دوره الاجتماعي، ولعلّ هذا ما يفسّر أزمة الأديان اليوم، وابتعادها عن مشاغل النّاس وهمومهم، وهذا التراجع «يهدّد ركيزةً أساسيّةً من ركائز الحياة المسيحيّة»[٢٢]، ويعكس هذا الخطاب وعيا بخطورة الوضع، ويكشف عن رغبة في الخروج من الأزمة المعاصرة واحتضان الأسرة من جديد، «وهذا يقتضي أوّلاً تشخيص المرضِ وأسبابِه، ومخاطرِ استمراريّته، وتداعيات استفحاله، ومن ثَم تحديد وسائل العلاج الناجعة»[٢٣]، وهذا يعني أنّ ما أصاب الأسرة مرض عضال، قادر على تدمير المجتمع أفرادا وجماعات، وعلى هذا الأساس أكّدت هذه الوثيقة المجمعية على ضرورة البحث عن أسباب العلّة، ومكامن الأزمة حتّى يتيسّر البحث عن حلول منطقية وواقعية، ولا يمكن تحقيق ذلك دون الاستفادة «مما يتوصّل إليه العلم الحديث»[٢٤]، وعلى هذا الأساس دعا المجمع من خلال

«تفعيل كلّ الطاقات والإمكانات لدعم واقع العائلة... والانخراط البنّاء في هذا المسعى إلى أَنسنة المجتمعات والعمل على جعلِ بُناها أكثر عدالة»[٢٥]. ويبدو أنّ الحفاظ على الأسرة ووظائفها الاجتماعية ليس أمرا هيّنا، بل هو مطلب جليل تتضافر فيه الجهود، وتتكامل فيه الخبرات والمعارف.

شرّع الله (في المسيحية كما هو حال بقية الديانات الإبراهيمية) الزواج، إذ «يترك الرجلُ أَباه وأُمّه و يلْتصق بامرأته فَيصيران كلاهما جسداً واحداً»[٢٦]، واعتبرت الرسالة الرعائية الزواج مسيرة عبورٍ من الانقسام إلى الاتحاد، ومن الضعف إلى القوّة، ومن جسدين إلى «جسد واحد»، مسيرةً تلخّص مفهوم العيش على «مثال الله»[٢٧]، ولذلك شبّه بولس الرسول زواج الرجل بالمرأة بسرّ زواج المسيح والكنيسة[٢٨]، ويعكس هذا الكلام متانة العلاقة بين المجتمع الأسري والمجتمع الإيماني، فتواصل الإيمان مرتبط بتواصل العائلة ونظامها، ولذلك حارب المجمع الأنطاكي المقدس كلّ أسباب العزوف عن الزواج والارتباط الدائم والعلاقات العابرة، وشجّع على الإنجاب والتناسل حتى يتواصل الخلق وتستمر الحضارة، «أمّا الإنجاب فهو تبِعةٌ طبيعيةٌ من تبِعات الزواج. هو ثمرةُ الاتحاد الزوجي وتعبير عن المشاركة مع الله في عملية الخلق. فالإنجاب ليس الهدف الأساسي الوحيد للزواج وغايته، وإنّما سبيل من السبل المساعدة على الكمالِ الروحي للزوجين»[٢٩]، فقد أصبح الشباب عازفين عن الزواج بسبب التحوّلات المتسارعة في حياة الإنسان في عالم الحداثة وما بعدها[٣٠]، وأصبحت العائلات مستقيلة، لا تقوم بوظائفها التي وُجدت من أجلها، و»لم يعد الوالدان المرجعية بالنسبة إلى الأولاد، مما يولِّد لدى هؤلاء فراغاً عاطفياً يزيد من خطر انحرافهم السلوكي في المستقبل»[٣١]، وبذلك لأصبحت «التربية تعاني من تشويش نتيجة التشكيك بالمعايير والمرجعيات والقيم الأخلاقية»[٣٢]، وفاقمت تكنولوجيا المعلومات والاتصال الأزمة وأثّرت في شرائح المجتمع كلّها وخاصّة الشباب، وكانت سببا في ظهور العزلة والانغلاق[٣٣].

لم يتردّد المجمع الأنطاكي المقدّس في رفض بعض الظواهر الاجتماعية التي أضرّت بالعائلة ومكانتها، فرفض الإجهاض والإخصاب الصناعي وإخصاب المرأة العزباء بواسطة

الإخصاب الصناعي، والعلاقات المثلية، كذلك رفض المساكنة بين شخصين غير مرتبطين بزواجٍ شرعي[٣٤]، وتغيير الجنس (الجندرة). وتعكس هذه الظواهر خطورة الانزياحات التي شهدتها الأسرة والمجتمع، إذ «صرنا نشهد وجود أبناءٍ لا يعرفون آباءهم أو أمهاتم، أو لديهم أبوان أو أمان، أو أمهات يحيون مع أبنائهن في غيابٍ كاملٍ للأب، أو آباءٍ يحيون مع أبنائهم في غياب الأم، أو مجمعات مساكنة جماعية حيث ينشأ الطفل «محتضناً» في بيئة لا تعترف بالحاجة إلى دور الأم ولا بضرورة وجود الأب»[٣٥]

تركّز الأديان على الفضائل والأخلاق، وتهتمّ كثيرا بالقيم وتحوّلاتها، وعلى هذا الأساس تنبّهت المسيحية إلى مخاطر التراجع الأخلاقي الذي يشهده العالم اليوم، إذ تعيش الإنسانية اليوم أزمة أخلاقية لا مثيل لها، ارتبطت أساسا باغتراب الإنسان المعاصر، وآية ذلك أنّ المجتمع الحديث يعاني من مشكلة اغتراب الإنسان،اغترابه عن نفسه و عن مجتمعه»، فقد قتلت الرأسمالية في الإنسان روحه ورمزيته، وجعلت الإشتراكية منه آلة إنتاج، وضاعفت التكنولوجيات الرقمية الحديثة من حالة الاغتراب هذه، وزادت في تعميق الأزمة الأخلاقية اليوم، فقتلت وسائط التواصل الاجتماعي كلّ تواصل اجتماعي حقيقي، وهيمنت العلاقات الافتراضية العابرة، وانتشرت الشائعات والفضائح وخطابات الكراهية والعبارات الجارحة، وقلّ الاحترام والتقدير، ولذلك رأى المجمع الأنطاكي المقدس أنّ الخروج من هذه الأزمة الخطيرة يرتبط الضرورة بإعادة الاعتبار للعائلة ووظيفتها الاجتماعية، إذ «تعتبر العائلة مختبر عيش الفضائل، ومصنع الإيمان، ومشتل النمو بالمحبة. يتدرّب الإنسان في الأسرة على عيش المحبّة بكلّ أبعادها بدون حسابٍ»[٣٦]، ويبدو من خلال هذا الخطاب متانة العلاقة بين العائلة والأخلاق من جهة، وبينها وبين الإيمان من جهة ثانية، وهذا يعني أنّ العائلة المتماسكة والمتفاهمة تحافظ على استمرارية الأخلاق والإيمان، ويصبح كلّ فرد من أفراد الأسرة «مدركاً أنّ الحاجات الفرديّة لا تلبى إلّا ضمن نطاق عيش الحياة العائلية التي ترتكز على روح التضامن بين أفرادها»[٣٧].

لا يمكن لنا في هذا المجال البحثيّ الضيّق تحليل كلّ ما جاء في هذه الوثيقة المجمعية المسيحية التي تطرّقت إلى عدّة

قضايا ترتبط بالأسرة وما حفّ بها من تحوّلات وانزياحات، ويمكن أن نركّز على التوصيات التي خرج بها هذا المجمع نظرا إلى أهميتها، وركّزت على ضرورة تشجيع الإنجاب باعتباره ضمانة لاستمرار المجتمع الإيماني، وأكّد هذا البيان أنّ الحفاظ على الأسرة اليوم يحفظ للإنسان سعادته واطمئنانه الروحي، وآية ذلك أنّ «العائلة فرح الحياة»[٣٨]، وإذا أردنا أن نحافظ على سعادة الإنسان المعاصر فلا بدّ أن نحافظ على العائلة التي تحتضنه. وهذا ما نجده أيضا في الأدبيات الإسلامية المعاصرة.

٢/ الوعي الإسلامي المعاصر بضرورة إنقاذ العائلة من الانهيار والتفكّك

لئن هيمنت الخلفية الفقهية التقليدية على أغلب الدراسات الإسلامية، فإنّها أكّدت في مجملها ضرورة البحث عن مقاربات جديدة نستطيع من خلالها أن نفهم فلسفة الأسرة وقواعد استمرارها وتأقلمها مع المتغيّرات والتحوّلات، وسننطلق في قراءتنا لتفاعل الفكر الإسلامي المعاصر مع قضايا الأسرة والتحديات المتعلّقة بها من أعمال المؤتمر الدولي «الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة» الذي نظّمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع الجامعة الأردنية بعمّان خلال الأيّام ٩-١١ أفريل ٢٠١٣، وتكمن أهمية هذا المؤتمر في كثرة الورقات العلمية المقدّمة وتنوّعها، ويتجلّى ذلك في ضخامة حجم الكتاب (٨٥٠ صفحة).

انطلقت فكرة المؤتمر من فرضية تقول إنّ «العالم شهد تغيّرات واسعة في مجال العلاقة بين مكوّنات الأسرة، ففقدت الأسرة في كثير من المجتمعات مفهومها في الطبيعة الفطرية، وموقعها في البناء الاجتماعي، ووظيفتها في التنشئة الاجتماعية»[٣٩] ، ويعكس هذا الخطاب وعيا بالتحوّلات العميقة التي ألمت بالعائلة خاصة بعد ظهور العولمة بمشاريعها الثقافية والأيديولوجية المختلفة، وعلى هذا الأساس بحث هذا المؤتمر في أسباب الأزمة، وخلفياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وركّز على «تشخيص التحديات التي تواجهها الأسرة»[٤٠] ، ويعتبر هذا التشخيص مهمّ في تبيّن وجوه القوّة والضعف، وأسباب التراجع، «فحال الأسرة من القوة أو الضعف هو الذي يقرر إلى حد كبير حال الأجيال الجديدة من أبناء الأمة»[٤١]، ولذلك اقترح المؤتمر

مجموعة من الحلول نستطيع من خلالها أن نعيد الاعتبار للأسرة ودورها الاجتماعي.

وُزّعت مقالات هذا المؤتمر على خمسة محاور، اهتمت مداخلات المحور الأول بـ «**مفهوم الأسرة ومكانتها في الفكر الإسلامي**»، وتمحورت حول التأصيل القرآني للعائلة، فالقرآن ركّز (كما هو حال بقية الكتب الدينية المقدّسة) على تماسك الأسرة وتواصلها وقيامها بوظائفها التاريخية، وآية ذلك أنّ «النموذج الإسلامي للأسرة يعرضها على أنها وحدة أساسية من وحدات الإعمار الكوني»[٤٢]، وهذا يعني أن إصلاح حال العائلة يصلح المجتمع بأكمله، ويساهم في إصلاح الأمم والحضارات، وفي هذا الإطار نفهم اهتمام النصوص الدينية بالأسرة، و»عدم استخدام القرآن والسنة لكلمة الأسرة لفظا لا يعني عدم وجود مضمونها»[٤٣].

أمّا المحور الثاني فقد اهتمّ «**أسس البناء الأسري ومقاصده في الأفراد والمجتمع**» وتمحورت ورقاته العلمية حول مقاصد الأسرة، وهي مقاصد كثيرة ومتنوعة، تبحّر في أنواعها وخلفياتها محمد الطاهر بن عاشور في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية»، واستخرج أهمّ المقاصد المتعلّقة بالحياة الأسرية «فرأى في مجموع ذلك حبا وودا، ولطفا ورحمة، وتعاونا وتناسلا واتحادا، وإقامة لنظام العائلة، ثمّ لنظام القبيلة، ثمّ الأمّة»[٤٤]. وفي هذا السياق ركّز ماهر حسين حصوة على مقاصد الشريعة المتعلّقة بأحكام الأسرة، فتحدّث عن حفظ النوع البشري وفلسفة تحريم الإجهاض والزنا، كذلك نبّه إلى مقصد الإفضاء[٤٥] بما هو تمازج بين الزوجين على المستوى الجسدي والمعنوي، وفي هذا الإطار يتنزّل مقصد التماسك الاجتماعي، ويندرج ضمنه بر الوالدين، وصلة الرحم، وإعادة الاعتبار للأسرة الممتدّة[٤٦]

والطريف أنّ المحور الثالث المتعلّق بـ «تأثير التحولات الاجتماعية في الأسرة والتحديات التي تواجهها» ركّز أيضا على مشكلة التناقض بين الأعراف والدين في تنظيم الشؤون الاجتماعية، «ذلك أن أعرافا جديدة نشأت وجنحت إلى التعقيد بدلا من التسهيل، وإلى الشكليات بدلا من المضامين، وتراجعت درجة الالتزام بالأعراف»[٤٧]، وتتعلّق الأعراف بغلاء المهور وتكلفة الزواج، ومردّ ذلك أنّ «الأعراف السيئة

في مسألة المغالاة في المهور ومصاريف الزواج قد أفضت بنا إلى سلوك سبيل منحرف عما تقتضيه الحكمة»[٤٨]، فقد أصبحت الأعراف الاجتماعية تركّز أكثر على المظاهر والشكليات دون المقاصد والغايات، فالأعراف «إذا اتجهت نحو المظاهر والشكليات؛ فإنها تفرط في المضمون، فتفقد وظائفها الأساسية وتنحدر فاعليتها إلى مستويات جدّ متدنية.»[٤٩]

نفهم من خلال ما سبق أنّ الأسرة في الفضاء العربي الإسلامي أصبحت مأزومة عاجزة عن القيام لواجباتها الحضارية، ودورها في التنشئة الاجتماعية، وممّا لا شكّ فيه أنّ «الناقد المتبصر لحالة الأسرة المسلمة يدرك أنها لا تستطيع ممارسة مهمتها في التنشئة القيمية بالنظر إلى التحديات المفروضة عليها»[٥٠] ، وهذه التحدّيات كثيرة ومتعددة، لعلّ أهمّها «شيوع ثقافة الاستهلاك»[٥١]، ودور وسائل الإعلام في نشرها، ولقد اهتمّ عبد الوهاب المسيري بهذه الظاهرة، فانتقد حال الأسرة المعاصرة التي أصبحت ضحية ثقافة الاستهلاك، وهي ثقافة مستبدّة متغلغلة في كلّ مؤسسات المجتمع، وإن نجح الأب – مثلا– في محاربة هذه الثقافة فإن أفراد عائلته قد لا يجارون صموده، وهو الواقع الذي أفرزته العولمة في شقيها الثقافي والاقتصادي عبر ترويجها للنموذج الأمريكي الذي يرى في الحياة مظهراً استهلاكيا صرفا»[٥٢].

جدير بالذكر أنّ أعمال هذا المؤتمر الإسلامي مهمّة، ولكن لا نستطيع أن نتعمّق في طرحها، فقد استطاع المؤتمر أن يتحدّث في المحور الرابع الفكر الغربي وانعكاساته على منظومة الأسرة المسلمة، وعرض في المحور الخامس تجارب وخبرات عملية في المحافظة على دور الأسرة، ويهدف المحور الأخير إلى اقتراح حلول تنقذ الأسرة من الانحلال والتراجع.

خاتمة:

حاولنا في هذا المقال أن نثير عدّة إشكاليات تتعلّق بالأسرة مفهوما وكيانا، ونخلص في ختام هذا العمل إلى القول بأنّ الفكر الدينيّ المعاصر يعيش حيرة بسبب ما ألمّ بالأسرة من تحوّلات وانزياحات أضرّت بوظيفتها الاجتماعية ودورها التربوي، وفي هذا الإطار ظهرت (ومازالت تظهر) عدّة محالات تصحيحية تحاول حفظ ماء الوجه، وتصحيح المسار، ولكنّ هذه المحاولات

مازالت مبعثرة، لا تناسق بينها ولا تنسيق، والحال أنّ قضايا الأسرة قضايا إنسانية تهمّ كلّ الحضارات والديانات. ولذلك نحتاج في مراحل قادمة إلى مزيد التعاون بين الديانات والتواصل بين المعارف والخبرات، ويبدو أنّ دور المنظّمات الدولية والإقليمية قد حان تفعيله حتّى تساهم في إنقاذ الأسرة. ويمكن أن نستفيد أيضا من الحوار الديني، فنوجّهه نحو دراسة القضايا الاجتماعية الخطيرة عسانا نصحّح المسار وننقذ الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس

- الأحمر (أحمد سالم) ، علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004،

- بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، المجمع الأنطاكي المقدس، رسالة رعائية: العائلة فرج الحياة، البلمند، ٢٠١٩

- حصوة (ماهر حسين) ، مقاصد الأسرة وأسس بنائها في الرؤية الإسلامية، عمل جماعي: الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، ٢٠١٥

- شعلان (محمود عبد السميع) ، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣.

- رمضان (منظور بن محمد) ، بر الوالدين في القرآن الكريم تفسير موضوعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ٣٦، ص ص ١٣-٢٠

- الضبع (عبد الرؤوف)، علم الاجتماع العائلي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨

- ابن عاشور (محمد الطاهر) ، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١١ ، سلسلة: في الفكر الإسلامي النهضوي

- عمل جماعي، الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، ٢٠١٥

- لول (ديورانت) ، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، الباب٩، الفصل٥، ج٢،

الهوامش:

١. «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزواجًا وَجَعَلَ لَكُم مِن أَزواجِكُم بَنينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ أَفَبِالباطِلِ يُؤمِنونَ وَبِنِعمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرونَ» (النحل: ٧٢)

٢. انظر على سبيل المثال: البقرة ١٢٦

٣. انظر على سبيل المثال: المعارج ١٢

٤. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٤ ، ص.١٦

٥. لول ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، الباب٩، الفصل٥، ج٢، ص٤٤١

٦. كمال محرم، الأسرة والحياة المنزلية، كتاب جماعي: تاريخ الحضارة المصرية: العصر الفرعوني، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مج١، ص١٣٣.

٧. محمود عبد السميع شعلان ، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣، ص٤٠.

٨. كمال محرم، الأسرة والحياة المنزلية، مرجع سابق١٣٤.

٩. سفر الأمثال/ الأصحاح ٣١.

١٠. شخصية يهودية بارزة ولد سنة ١٨٦٥ بالقدس، وعاش بمصر.

١١. حاي بن شمعون، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروزنتال، القاهرة، ص٧.

١٢. المرجع نفسه، ص٧.

١٣. سفر الخروج ٢٠:١٢.

١٤. نذكر على سبيل المثال الآيات الآتية:

١٥. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (سفر التثنية ٥: ١٦).

١٦. «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦: ٢).

١٧. «اَلعَيْنُ الْمُسْتَهْزِئَةُ بِأَبِيهَا، وَالْمُحْتَقِرَةُ إِطَاعَةَ أُمِّهَا، تُقَوِّرُهَا غُرْبَانُ الْوَادِي، وَتَأْكُلُهَا فِرَاخُ النَّسْرِ» (سفر الأمثال ٣٠: ١٧).

١٨. «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦: ١).

١٩. لمزيد التوسع انظر على سبيل المثال كتاب: منظور بن محمد رمضان، بر الوالدين في القرآن الكريم تفسير موضوعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ٣٦، ص ص ١٣-٢٠.

٢٠. الإسراء:٢٣.

٢١. انظر على سبيل المثال قوله تعالى:

٢٢. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (البقرة: ٨٣).

٢٣. وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (النساء: ٣٦).

٢٤. قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (الأنعام: ١٥١)

٢٥. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا (العنكبوت: ٨).

٢٦. مريم: ١٤.

٢٧. «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» (مريم ٣٠-٣٤).

٢٨. إنجيل لوقا ١٠:١٠.

٢٩. بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، المجمع الأنطاكي المقدس، رسالة رعائية: العائلة فرح الحياة، البلمند، ٢٠١٩، ص٣.

٣٠. المصدر نفسه، ص ن.

٣١. المصدر نفسه، ص ن.

٣٢. المصدر نفسه، ص ن.

٣٣. المصدر نفسه، ص ٤.

٣٤. مرقس ١٠: ٧.

٣٥. تكوين ١: ٢٦

٣٦. بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، مرجع سابق، ص٧.

٣٧. المصدر نفسه، ص ٩.

٣٨. المصدر نفسه، ص١١.

٣٩. المصدر نفسه، ص ١٣.

٤٠. المصدر نفسه، ص ن.

٤١. المصدر نفسه، ص١٤.

٤٢. المصدر نفسه، ص ٢٠.

٤٣. المصدر نفسه، ص ن.

٤٤. بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، مصدر سابق، ص٢٤.

٤٥. المصدر نفسه، ص ٢٤.

٤٦. المصدر نفسه، ص ٢٩.

٤٧. عمل جماعي، الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، ٢٠١٥، ص ١٣ (المقدمة).

٤٨. المصدر نفسه، ص ١٧.

٤٩. المصدر نفسه، ص ١٨.

٥٠. المصدر نفسه، ص ٢٦.

٥١. المصدر نفسه، ص ن.

٥٢. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١١ ، ص٢٧٣. سلسلة: في الفكر الإسلامي النهضوي.

٥٣. استئناسا بالآية ٢١ من سورة النساء.

٥٤. ماهر حسين حصوة، مقاصد الأسرة وأسس بنائها في الرؤية الإسلامية، عمل جماعي: الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، ٢٠١٥، ص١٨٦.

٥٥. عمل جماعي، الأسرة المسلمة في ظلّ التغيّرات المعاصرة، مصدر سابق، ص٣١٧.

٥٦. المصدر نفسه، ص٣٣٨.

٥٧. المصدر نفسه، ص٣٤٣.

٥٨. المصدر نفسه، ص٣٦٤.

٥٩. المصدر نفسه، ص٣٦٨.

٦٠. عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، القاهرة: دار نهضة مصر، ط١، ١٩٩٦، ص٢٠٠.

تحديات الأسرة المسلمة بين سطوة الحداثة ومخاطر العولمة

د. جمال موهوب

الملخص:

مع مطلع القرن العشرين، وبعد سقوط الخلافة العثمانية، ومنذ إعلان ميلاد مشروع انموذج الدولة الوطنية اثر مرحلة ما بعد الاستعمار، توغلت الحداثة والعولمة بنسقهما البنيوي والمعرفي في واقع الاسرة المسلمة، وتركتا تأثيرات، وتحوّلات واسعة، يمكن الإحاطة بها عبر دراسة طبيعة نسيج العلاقات القائمة بين افرادها وانعكاساتها على الاسرة والمجتمع. سنتناول دراسة تلك التحوّلات التي الحقتها كل من الحداثة والعولمة على الاسرة المسلمة، وكيف كان مآل هذه الأخيرة إزاء تلك التأثيرات والتغيرات العالمية، وسنقف على مدى قدرتها على التصدي واصلاح ذاتها بالتأقلم مع المتطلبات العصرية الحديثة المتوافقة لخط أصالتها وفطرتها، او ذوبانها وتماهيها.

اقتضت طبيعة الموضوع استخدام منهجين، الوصفي التحليلي لقدرته وصف تفاصيل مشاريع الحداثة والعولمة وبيان اثرهما على هوية وخصوصية الأسرة المسلمة، والاستقرائي التحليلي الذي يعمل على استقراء وتتبع مظاهر تأثير الحداثة والعولمة على واقع الاسرة في العالم الإسلامي.

(*) باحث اجتماعي كندي من أصل جزائري.

بيّنت النتائج انحراف نسبي من الأسر في العالم العربي والإسلامي عن خط اعراف وقيم الإسلام التي شكّلت مبكرا معالم الاسرة، لا سيما تلك المتاخمة جغرافيا وثقافيا للمجتمعات الغربية، او من المقيمين بين ظهرانيهم بحكم الهجرة من اجل عيش افضل. في حين اظهرت أخرى تماسكا ملحوظا بسبب الوعي الديني والحس الحضاري وبسبب الهوة الجغرافية والثقافية البعيدة عن ديار الغرب.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الحداثة، الأسرة المسلمة، القيم، الإسلام، الهوية.

الإشكالية

يستهدف هذا البحث في شقه الأوّل الأحوال الراهنة لمؤسسة الأسرة المسلمة وما طرأ عليها من طفرات وتغيرات متسارعة الحقتها بها الاتجاهات الفكرية والمعرفية المعاصرة لكل من الحداثة والعولمة والمتمثلة في فرض وترسيخ الهيمنة الوجودية والعدمية والعبثية وانعكاساتها على نظام وهوية الأسرة في البلاد العربية والإسلامية والتي تستمد معظم مرجعيتها من الشريعة الإسلامية السمحة. كما يركز الشق الثاني من الدراسة وبشكل دقيق على البحث عن انجع الحلول والآليات التي من شأنها تحصين الاسرة للحفاظ على أصالتها مع التفتح في آن واحد على جديد العصر في حدود ما تسمح به القيم والمبادئ الإسلامية. من هنا يمكن طرح الأسئلة التالية:

ما هي أهم التغيرات والتحوّلات التي طرأت على الاسرة المسلمة؟ ما هي الافرازات التي انتجتها الاتجاهات الفكرية الحداثية والعالمية وانعكاساتها على تماسك الاسرة المسلمة؟ وهل بمقدور الاسرة المسلمة الصمود امام هذه الاتجاهات والحفاظ على وجودها وكيانها؟ ما هي خطط وبدائل الاسرة المسلمة لتجنب التشتيت والذوبان في أتون الحداثة والعولمة؟

تمهيد

منذ قديم الزمان والى يومنا هذا، ونظرا للأهمية البالغة والمكانة الخاصّة التي تتمتع بها الأسرة باعتبارها اقدم التشكيلات الاجتماعية، وهي الوحدة الأساسية المكوّنة للنسيج الاجتماعي للجماعات البشرية، لم ينفك الفلاسفة ورجال الفكر وعلماء الدين بالمزيد من التركيز بإسهاب على استيعاب طبيعة نظامها وتطوّر ادوارها، وتركيبة وظائفها المتعددة والمتنوعة. ولقد تجلّى سرّها

أكثر مع بروز ميلاد علم الاجتماع باعتباره فرعا من فروع المعرفة المعاصرة والذي تناولها بأسلوب علمي موضوعي ليس بوصفها كيان بشري ومنظمة اجتماعية فعّالة في بناء واستقرار المجتمع فحسب، بل من حيث انّها أيضا مصدر الأخلاق ودعامة ضبط السلوك الاسري والاجتماعي.

وبالرغم من التطورات والتغيرات عبر التاريخ الإنساني التي طرأت على الاسرة فقد حافظت نسبيا على بقاء كيانها ثابتا معلوم الأدوار والوظائف قبل ان تصطدم بفلسفة تيارات الفكر الحداثي، هذا الأخير الذي استطاع إعادة صياغة تركيبتها بشكل يخالف وظيفتها التقليدية الواسعة لتتلاءم وطفرة المسار الفكري المتمرّد الجديد. لم يتوقف سيل تأثر الأسرة بمنظومة الفكر الحداثية المكرسة لمركزية سلطة الإنسان بوصفه مرجع التشريع على حساب مركزية السلطة الغيبية (الدينية)، بل امتدت يد العولمة باعتبارها هيمنة اقتصادية وسياسية وثقافية عالمية وافدة يسيطر فيها الكبار على الصغار، مخترقة بنية الأسرة بالخلخلة تارة، وبالتفكيك والانحراف تارة أخرى، لطمس معالمها التقليدية الفطرية المتعارف عليها منذ آلاف السنين.

ولم تتعافى الأسرة المسلمة مما جناه عليها الحداثيون بعد، حتى هبت عليها رياح العولمة العاتية التي كادت ان تهز ثوب الفطرة عنها بعد محاولة إزالة حدودها واكتساح فضائها وشيطنتها، وذلك عن طريق غزوها بالقيم والمعايير العالمية المشتركة، لا من اجل مجرد محو خصوصيتها فحسب، بل لتفكيك بنيتها وهويتها. وبما أن الاسرة المسلمة مؤسسة تستمد شرعيتها من الشريعة الإسلامية، صمّام امانها واستمرارها بعيدا عن التماهي والذوبان، فإن التحدي القائم في ظل التغيرات التي يشهدها العالم يكمن في مدى قدرتها على التأقلم واصلاح ذاتها حسب المتطلبات العصرية الحديثة المتوافقة لخط أصالتها من جهة، والتصدي للمشروع الغربي المتضارب مع الطبيعة الفطرية للمنظومة القيمية للأسرة المسلمة من جهة ثانية.

المبحث الأول: مفهوم الأسرة ووظائفها

جاء تعريف الاسرة في لسان العرب بالدرع الحصين،[1] وفي المعجم الوسيط القيد، يُقال: أسره أسرًا وإسارًا، قيدَّه

وأسره؛ أخذه أسيرًا، ومعناها أيضًا الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك. [٢] وجاء في القاموس المحيط: (والْأُسْرَةُ بالضم: الدِّرْعُ الحَصِينَةُ، من الرَّجُلِ الرَّهْطُ الْأَدْنَوْنَ) [٣] فإذا كانت مفردة «أسرة»، باعتبارها مفهوما مستحدثا في المعاجم العربية، مشتقا من الأسر والقيد والذي يتناغم مع كثير من لغات الشعوب والأمم لما توحي به الكلمة من أعباء ومشقّة وما يعانيه الانسان من جرّاء هذا القيد الذي يثقل كاهله، فإنّ هذا المصطلح لم يذكر في القرآن ولا يحمل هذا المعنى في الإسلام، بل فضّل استخدام لفظ «الأهل» مكان «الأسرة» نظرا لقوة دلالته ودقة ومدلوله.

أما اصطلاحا، يمكن القول انها مؤسسة اجتماعية بشرية ثلاثية الأركان، الرجل فالمرأة ثم الأولاد، بحيث يلتزم فيها كل طرف بأداء أدوار تعاونية وتكاملية موزّعة على شكل واجبات وحقوق شرعية او عرفية او قانونية. [٤] وهي جماعة يمتد امدها لجيلين، احدهما يمثل الشخصين البالغين، الأب والأم، والآخر يمثله الأبناء. كما عرّفها آخرون على أنّها «شكل اجتماعي يتميز بطابع ثقافي يختلف من مجتمع لآخر، ويعمل هذا النظام الثقافي على طبع وتلقين الفرد منذ نعومة أظافره السلوك الاجتماعي المقبول، ويتعلم داخلها طبيعة التفاعل مع الأفراد والعادات والتقاليد، وبقية النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع،» [٥] اما مفهوم الأسرة من وجهة النظر الغربية، يرى المفكر الاجتماعي «اميل دوركايم» أن الأسرة هي مؤسسة اجتماعية وهي مجتمع منظم، حيث تربط الأعضاء قانونيا وأخلاقيا فيما بينهم. [٦] أما أوغست كونت فقد عرفها بأنها الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور. [٧] وخلاصة مفهوم الأسرة لدى معظم علماء الاجتماع تفيد بأنها جماعة تحددها علاقة جنسية محكمة وعلى درجة من قوة التحمل تمكّنها من انجاب أطفال وتربيتهم، وتتصف بالإقامة المشتركة والتعاون الاقتصادي. [٨] أما مفهوم الأسرة من منظور إسلامي، ينقل محمد عقلة عن عمر الشيباني مفهومه للأسرة، بأنها «الوحدة الأولى في المجتمع، وأول مؤسساته التي تكون العلاقات في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، فيكسب منها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه

واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها امنه وسكينته» [9] وبالرغم من غياب مصطلح «أسرة» في القرآن الكريم، فإن اللفظة كانت مألوفة عند العرب، وتطلق للدلالة على قدر من التجمع البشري. وقد ذكرها بن حجر العسقلاني في فتح الباري في ترتيب الانساب باعتبارها شكلا من اشكال التجمع الإنساني.[10] لكن شيخ الأزهر الأسبق، أبو زهرة، تفرّد بمفهوم جديد يتعدّى الحجم العادي للأسرة الحالية الى أسرة متميّزة بامتداد فروعها القريبة والبعيدة، باعتبارها عناصر تنتمي للهيكل العام للأسرة المسلمة، مصرّحا: « تشمل الأسرة في الإسلام الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج، وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، فيدخل في هذا الأجداد والجدّات، وتشمل أيضا فروع الأبوين، وهم الإخوة والأخوات واولادهم، وتشمل أيضا فروع الأجداد والجدّات فيشمل العم والعمة وفروعهما، والخال والخالة وفروعهما، وهكذا تشمل كلمة الأسرة الزوجين والأقارب جميعا» [11]

المطلب الأول: وظائف الأسرة

كانت الاسر المسلمة العريقة وقبل ان تفتك منها معظم وظائفها بفعل التغيرات والتحولات العالمية التي احدث طفرات تسببت في كبح أدوارها ووظائفها لصالح مؤسسات الدولة والمجتمع، تستحوذ على غالبية المهام الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وبالرغم من ذلك الاستنزاف، فإنها والى اليوم، ما تزال تؤدي قسطا معتبرا من وظائفها التي اصرّت على امتلاكها والاحتفاظ بها، ومنها:

– الوظيفة البيولوجية:

ان الأسرة هي المصدر الأساسي للإنجاب، ومنها يستمد الأطفال شرعية وجودهم مع توفير الرعاية الجسدية والنفسية لهم، باعتبارها الوحدة الاجتماعية الوحيدة المخول لها الانجاب والمحافظة على النوع والجنس البشري واستمراره، لكن ومع مطلع القرن الواحد والعشرين، رصدنا، وبفعل التطور الطبي المذهل، استمرار محاولات افتكاك أدوار أخرى من الأسرة، ممثلة في محاولة استنساخ الجنس البشري خارج العملية الجنسية الأسرية. ان المخاوف بشأن هيمنة وسيطرة المنظمات والحكومات على المزيد من تجريد الاسرة من مهامها لا يزال قائما طالما لا تزال الأبحاث العلمية الخاصة بالاستنساخ مستمرة بالرغم من المشاكل

والصعوبات المنهجية والعلمية المؤقتة التي حالت دون ذلك.[١٢]

– الوظيفة التربوية:

تعتبر الاسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى المشرفة بشكل مباشر على تربية افراد الجنس البشري من خلال تنشئتهم على القيم والفضائل الأخلاقية، كل بحسب معايير بيئة مجتمعه وسياسة وطنه، مع غرس المعاني الدينية والمدنية لصقل شخصياتهم وتطويرها ضمن معايير الاطار العام لعادات واعراف كل مجتمع، بغية حمايتهم من المخاطر التي قد تطالهم مثل الانحراف الجنسي والفكري والأخلاقي. لكن ومن خلال الاطلاع على سياسات برامج التربية والتنشئة الاجتماعية لكثير من الأنظمة والحكومات عبر العالم، نجد الاستنزاف متواصل في تقليص وافتكاك مهام وأدوار الوالدين تجاه ابنائهم لتصبح من صلاحيات مؤسسات ومنظمات أخرى بديلة. لقد سنّت معظم الدول الغربية قوانين وتعاليم تتعلّق بالخصوصية المطلقة وعدم تدخل الوالدين في حياة الطفل الخاصة، ومنعهم تعليم أبنائهم اصول التربية الجنسية وتوجيهها حسب تعاليم دينهم واعرافهم وتقاليدهم، وكل اخلال بهذه القوانين يعرض صاحبه لملاحقات قضائية صارمة.[١٣] ان الفكر الحداثي المهيمن على المؤسسات التربوية والثقافية، والذي اصبح يغتال فيه السؤال الديني والأخلاقي، بات يكيل بمكيالين في نظرته لمؤسسة الاسرة في طريقة أدائها لرسالة الأجيال القادمة. ان من اجل تحاشي شيوع بعض الآفات الاجتماعية أدى ببعض الحكومات الغربية [١٤] تبني وبشكل رسمي تقنين تعاطي بعض أنواع المخدرات التي سمحت باستهلاكها بدون أي حرج يذكر. كما اصبح الشذوذ الجنسي بأنواعه يحظى بالاعتراف والحماية القانونية والعمل على تشجيعه ونشره بين أطفال المدارس وشباب المعاهد والجامعات انطلاقا من مبدأ الحرية الفردية المطلقة للقضاء نهائيا على الخصوصيات الثقافية والدينية للمجتمعات المحافظة، بل وضيق على ارباب الاسر ومنعهم رسميا من التدخل لتوجيه أبنائهم التوجه الجنسي المرغوب فيه تقليديا وفطريا. [١٥]

– الوظيفة النفسية:

تتلخص الوظيفة النفسية للأسرة تجاه الأبناء من خلال خلق جو اسري تسوده الراحة النفسية، أي ضرورة الإحساس بالأمان والسلم والاستقرار،

وحصول كل فرد فيها بقسط كافي من التقدير والاحترام وتعزيز الثقة بالنفس والتزود بالحب والعطف والحنان ليكونوا ناضجين وناجحين بالقدر الكافي مما يكسبهم شخصيات سوية ومتزنة بعيدة عن التطرف والغلو.

– الوظيفة الاجتماعية

تشرف الاسرة على تربية افرادها على أساليب التفاعل الاجتماعي الصحيح بحسب المجتمع الذي ينتمون اليه، من خلال تنشئتهم وتدريبهم على تعلم جملة علاقات مضبوطة ضمن خطوط ومعايير منظومة المجتمع القيمية والدينية والقانونية، الى جانب العمل على تطوير قدراتهم وبناء هممهم التي تؤهلهم لتحقيق التوازن والاستقرار الأسري والاجتماعي بعيدا عن كل أنواع التطرف والعنف والكراهية. ان هدف الوظيفة الاجتماعية للأسرة لا يتوقف عند تعليم النشء مهارات الكتابة والقراءة، بل يتعداه الى تعليمهم فن الحياة والتحضر.[١٦]

المطلب الثاني: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحداثة والعولمة

أولا: مفهوم الحداثة

بداية، اشتقت لفظة «الحداثة» في لغة العرب من مصدر الفعل «حدث»، يقال حدث حدوثا، وتعني نقيض القديم. [١٧] وقال بن منظور: الحديث نقيض القديم، والحدوث: نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة. [١٨] ان اصل كلمة «الحداثة» مفهوم غربي (Modernity, Modernism) ظهر كحركة دينية تجديدية كانت بدايتها كاثوليكية ثم بروتستانتية، اين حاولت النخبة الفكرية الأوروبية آنذاك، تأويل بعض تعاليم الكنيسة في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين.[١٩]وترجع الحداثة منذ بروزها كاتجاه علمي وأدبي وايديولوجي الى القرن الخامس عشر المتزامن مع اكتشاف العالم الجديد (قارة امريكا) وتقوم على عنصرين أساسيين: الثورة على كل ما هو تقليدي، ومركزية سلطة العقل. أما اصطلاحا، فهو منهج فكري وايديولوجي جديد، وانفجار معرفي ناقد لكل موروث قديم، وهو توجه عقلاني مهيمن على كل شؤون الحياة، يرفض التأقلم مع كل ما هو ديني او تقليدي مقدس. ومن وجهة نظر غربية تختصر الحداثة عند بعض مفكريهم، أمثال «رولان بارت» الذي يراها « انفجار معرفي لم يتوصل الانسان المعاصر الى السيطرة عليه» [٢٠] كما

يعرفها كل من «جميس ماكفلرن» و «مالكوم برادبري» بالإيمان الراسخ بالتطور الاجتماعي والتنكر للتقاليد الماضية.[٢١] أما من وجهة النظر العربية، يعتقد المفكر طه عبد الرحمن ان الحداثة هي: «حركة فكرية شاملة كرؤية جديدة للعالم، آذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوروبا، أنزلت العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي الاجتماعي، وتكريس الإنسان هدفاً نهائياً للتحرر والتقدم، وكأنها ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم، عنوانها العقل القاطع للصلة بينه وبين الماضي البالي».[٢٢] ويعبّر عنها المفكر الجزائري محمد أركون بأنها «تميل إلى إحداث القطيعة مع التراث الكتابي المقدس والتراث العامي القديم.[٢٣] ويعتبرها عبد المجيد الشرفي نمط حضاري شامل لكل أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويتسم بالعدائية والتناقض لكل ما هو تقليدي بالي «انها ليست مفهوما اجرائيا اجتماعيا، او سياسيا، او تاريخيا، انها بإيجاز نمط حضاري يختلف جذريا عن الأنماط الماضية او التقليدية.» [٢٤] لكن عابد الجابري ينفي وصف الحداثة بأنها القطيعة النهائية مع التراث الماضي، فيقول « فالحداثة في نظرنا، لا تعني رفض التراث، ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث الى مستوى المعاصرة، أي مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي» [٢٥]

ثانيا: مفهوم العولمة

جاء في معجم المعاني فعل عولم يعولم عولمة، وعولم الشيء بمعنى أعطاه طابعا عالميا. وتعني حرِّيَّة انتقال المعلومات وتدفُّق رءوس الأموال والسِّلع والتِّكنولوجيا والأفكار والمنتجات الإعلاميّة والثَّقافيّة والبشر أنفسهم بين جميع المجتمعات الإنسانيّة حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد أو قرية واحدة صغيرة لتستطيع التَّوغُّل داخل جميع الدُّول بلا قيد. [٢٦] وهو مصطلح حديث مأخوذ من الترجمة الإنجليزية لكلمة Globalization، الذي يعني الشيء المعمم والشامل، اي الذي يريد اكساب الشيء صفة العالمية عن طريق تذويب الفوارق الدينية والثقافية والانتماءات الوطنية لتحقيق وطن مشترك عالمي موحّد. وهي منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن انماط السلوك ومناهج الحياة، يراد بها

إكراه العالم كله على الاندماج فيها، وتبنيها، والعمل بها والعيش في إطارها.[٢٧] ويعتبرها آخرون بأنها نظام عالمي يقوم على العقل الالكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم.[٢٨] لكن ولرفع اللبس عن مصطلحي العالمية والعولمة، فالأولى تعدّ نزعة حضارية تظم عناصر فكرية وفلسفية وأدبية وثقافية ذات بعد محلي او وطني او قاري لكنها لا تخلوا من اللمسة الإنسانية المتميّزة باحترام الحوار الحضاري والتعايش الثقافي المثمر بين مختلف المجتمعات. وفي هذا السياق، يعرّف محمد عمارة العالمية بأنها «نزوع في الأفكار والفلسفات والآداب والفنون والثقافات والحضارات، يجعلها وان امتلكت وتميّزت بالخصوصية، فإنها تجمع بين هذه الخصوصية، واحيانا المحلية، وبين النزوع الى العالمية الكونية... فالأدب العالمي هو الذي يتميز بالخصوصية الوطنية والقومية، وفي ذات الوقت تدخل به نزعته الإنسانية الى العالمية». [٢٩] ومن اجل تبسيط معنى «العالمية» يسوق لنا كل من يوسف القرضاوي ومحمد عمارة من خلال كتابيهما، «خطابنا الإسلامي في عصر العولمة» [٣٠] و»مخاطر العولمة على الهوية الثقافية» [٣١] في الوقوف على الفرق بين مضمون العالمية التي جاء بها الإسلام، ومضمون العولمة الحالية بقيادة الغرب عامة والولايات المتحدة الامريكية خاصة. ان عالمية الرسالة الإسلامية تقوم أولا على أساس تكريم الانسان واستخلافه في الأرض وتسخير ما في السماوات والأرض له، وعبوديته لله تعالى وتقرير المساواة بين جميع البشر لكن مع احترام خصوصياتهم وأعرافهم بحسب ما تقتضيه دواعي الزمان والمكان. أما الثانية، أي العولمة، فتمثل اجبار العالم على الأخذ بالمناهج والقيم المادية الغربية، وتعمّد تعميم الأنموذج الأمريكي الفكري والمعرفي على الكلّ. وتبقى العولمة على المستوى الأكاديمي، وكباقي الكثير من المصطلحات العلمية، لا سيّما في مجال العلوم الإنسانية، مفاهيم مطاطة، تحتمل دلالات شتى تتماشى والتوجهات السياسية والأيديولوجية الخاصة بكل أمة او مجتمع. فبينما تراها النخب الغربية علامات صحة وتوجه إيجابي لصالح البشرية جمعاء، تعتبرها النخب الشرقية، خاصّة العربية والاسلامية مؤشر هيمنة على المجتمعات النامية، تريد القضاء على الهويات والثقافات المحلية وذوبانها

لصالح الرأسمالية العالمية. ومن هنا يختصر محمد عمارة العولمة بأنها « القسر والقهر والاجبار على لون من الخصوصية، يعولمه القهر ليكون عالميا» ويضيف « ان العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب، اجتياح الحضارة الغربية، ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى، وهي التطبيق العملي لشعار [نهاية التاريخ]، الذي أرادوا به الادعاء بأن النموذج الغربي الرأسمالي هو [القدر الأبدي] للبشرية جمعاء».[٣٢] وتنقسم العولمة الى عدة اقسام، منها السياسية التي تريد التقليل من نفوذ الدول الوطنية تحت تأثير سلطة رأس المال والمؤسسات المالية. وهناك العولمة الاقتصادية المهيمنة على التكتلات الاقتصادية والتجارية العالمية والشركات المتعددة الجنسية والبنوك الدولية كالبنك العالمي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والعولمة الثقافية التي تشرف وتهيمن على ثقافات العالم وتحولها الى ثقافة عالمية مشتركة. فالعولمة مشروع نفعي يتجاوز مجرد تبادل المصالح الاقتصادية المشتركة بين مختلف الزبائن والشركات، الى تذويب الدول الفقيرة والحاقها بالدول الغنية الصناعية من اجل مصلحتها الامبريالية والرأسمالية العالمية. وليست العولمة مجرد هيمنة سياسية واقتصادية فحسب، ولكنها مشروع اجتماعي يريد استئصال ثقافات الشعوب وهويتها الوطنية والدينية لترسيخ منظومة قيمية جديدة مبنية على الأسس الغربية الأمريكية.[٣٣] ويعتبر بمثابة غزو ثقافي عن بعد، يراد من ورائه إشاعة تمجيد الجنس ونزع الضوابط الأخلاقية عن الإنسان تحت ستار التحرر والاباحية وتجميل النظرة العامة تجاه الشواذ الخ.

المبحث الثاني: سطوة الحداثة ومخاطر العولمة

المطلب الأوّل: مظاهر هيمنة الحداثة ومخاطر العولمة على الأسرة المسلمة

يبدوا جليا، ومن خلال هيمنة الحداثة والعولمة اللّتان قطعتا اشواطا طويلة أثرتا بها بنيويا ومعرفيا على المجتمعات العالمية والتي خلفت آثارا عميقة بإلغائهما للمركزية الدينية الغيبية وصيرت مكانها العقل الإنساني الذي احتل مركز السيادة الكونية والوجودية. ان بسبب ثنائية الحداثة والعولمة وعلاقتهما الترابطية بالتداخل والتكامل، تشيأ العالم وفقد معناه الانساني، لاسيما في خضم بروز الفردانية المتشكلة على حساب التآزر والتكافل الاجتماعي،

وانتقلت الطبيعة الإنسانية للأسرة من مرحلة التراحم الى الاسرة الحديثة المؤسسة على مبدأ التعاقد المبني على التقاسم المشترك لجملة الحقوق والواجبات المادية على النمط العلماني. وفي هذه المرحلة اصبح العقل وحده من يملك زمام سلطة توجيه العلاقات الاسرية وتسييرها. ثم تسارعت الأحداث لنشهد ميلاد الحداثة البعدية، اين غاب فيه التوجيه العقلي لصالح عقد جديد تحكمه الأهواء والرغبات، وعوّض العقل والمنطق بالجسد المادي المجرد من القيم الاخلاقية والذي بات هدفا استهلاكيا في حد ذاته. ان عولمة الاسرة تحوّل من نسق اجتماعي حاكم على سلوك الأفراد الى مطلب مادي تحكمه اللّذة والهوى، الشيء الذي انتج اشكالا من الأسر المستحدثة، منها «اسرة الزنا»، «أسرة المخادنة»، «أسرة السّفاح»، «أسرة اللواطيين» و»أسرة السّحاق» الخ. لقد استطاعت الاسرة الحداثية المستعينة بخطوات العولمة السريعة، التوغل الى عمق المجتمعات الغربية والشرقية بصمت وتدرج، من جيل الى آخر، وبتشجيعات وتعاليم منظمات حكومية وبتغطيات ودعايات إعلامية مكثفة لتصل الى القطيعة الكاملة بين الفضيلة كقيمة إنسانية، والاشباع الجنسي كقيمة مادية بلا قيود أخلاقية.[٣٤] ومن مخرجات الحداثة والعولمة لهذه المرحلة، وبتآزر «الديمقراطية» مع خط سيرهما، اعتبار انواع الأسر المستحدثة، اشكالا طبيعية تعبر عن الحق الإنساني وحريته المطلقة. وبزوال وتفتيت الوطن الإسلامي الواحد، وميلاد الدولة الوطنية للمجتمعات العربية والإسلامية، اتضح جليا تأثر مؤسسة الأسرة المسلمة بالمسعى الحداثي للأسرة الغربية، ليختزل دورها في مجرد تطبيقات متناثرة لقانون الأحوال الشخصية، بعدما كان الإسلام منهج لكل تفاصيل بنيتها ووجودها، والشريعة الإسلامية مرجعيتها والقلب النابض لها.[٣٥] ان الواقع الحالي للأسرة المسلمة ينبئ بشكل واضح، تأثرها بأنموذج الاسرة الغربية الذي يتميّز بانخفاض معدل المواليد بسبب الإجهاض والأدوية المانعة للحمل، والتأخر في الزواج، وارتفاع معدلات حالات الطلاق، وحرية الزوجة وفردانيتها واستقلاليتها عن قوامة الزوج، والزواج وانجاب الأطفال بدون عقد شرعي او قانوني. كما ان شيوع ما يعرف بالحب الرومانسي عزّز المصلحة الفردية على حساب المصلحة الأسرية. كما تسبب اتجاه النزعة المادية المحفزة

للغريزة الجنسية خارج اطار الزواج في تأخر سن هذا الأخير وفتور الرغبة فيه، فضلا عن التعليم الجامعي الطويل الأمد الذي تسبب هو الآخر في تأخر سن الزواج لكلا الجنسين. لقد اثرت العولمة على مؤسسة الاسرة المسلمة من خلال استهداف قيم وهوية المجتمع ومنظومته الأخلاقية وصياغتها فكريا وسلوكيا، محاولة تهميش أدوارها حينما ابيح الانجاب خارج اطار الأسرة الشرعي وعبر طرق موازية وبديلة للعلاقات التقليدية بين الرجل والمرأة داخل العش الزوجي. كما تثير العولمة إشكالات تهديد عديدة تمس منظومة الاسرة الشرعي، اذ يعتقد كثير من مفكري علم الاجتماع الأسري،[٣٦] وبسبب تخلف الأمة الإسلامية بعد هزيمتها سياسيا وعسكريا، باتت الاسرة المسلمة تعيش حالة ارتباك شديدة اثر تعرضها لوابل من الغزو الثقافي الغربي الذي استطاع دحرجتها من مكانتها الحضارية وأنشأها على تقاليد مغايرة. لقد تم عبر وسائل الاعلام الحديثة، مثل الأنترنت والشاشات الفضائية، ووسائط التواصل الاجتماعي، تغيير كثير في بنى وادوار الاسرة المسلمة، كمفهوم الزواج الذي تحول الى تقليد غربي بامتياز، او مطالب المرأة «المقهورة» الدائمة التي أسست لفقدان كثير من الرجال قوامتهم، الشيء الذي أدى الى تفاقم الوضع منذرا بالتفكك والنزاع الأسري وما ينتج عنه من طلاق وتشرد الأبناء. وبعد اعادة تشكيل وصياغة العقل المسلم مع المعطيات الغربية الجديدة، عدّ مفهوم القوامة لدى كثير من نساء المسلمين ضربا من الحرمان والتضييق على حريتهن واستقلالهن، بل وتعتبرهن تدخلا سافرا في خصوصيتهن وحجرا على آرائهن وانتقاصا من قيمتهن ومكانتهن. وبالرغم من الأسر المسلمة التي تجنبت الوقوع في بعض مطبّات الحداثة والعولمة، الّا انها، وبسبب كثرة مشاغل افرادها، وانهماكهم في عالمهم الخاص، لاسيما وجود الزوجة لمعظم ساعات اليوم خارج البيت، فقدت الأسرة روح الألفة والمودة، وامست الكثير من البيوت خاوية، قلّما يلتقي فيها افرادها، كأنها بيوت إيواء لا تصلح الا للراحة من كدّ وتعب الالتزامات اليومية.[٣٧] من مخاطر العولمة تجاه الأسرة المسلمة، الكيل بمكيالين، كمحاولة الانتقاص من قيمة ربة البيت الوظيفية باعتبارها مربية الأجيال، معتبرة إياها امرأة بدون عمل، او ماكثة بالبيت، او تشبيهها بالأسيرة. الغريب ان هذا الحرج يرفع عنها بمجرد ممارستها لذات المهنة لكن خارج بيتها.

ان محاولة شيطنة رعاية المرأة لبيتها واطفالها وزوجها داخل مقر سكنها، كان وراء ترك الكثير من نساء المسلمين بيوتهن والالتحاق بمهن وحرف مختلفة، ما أدى الى إصابة الكثير من الأطفال بأمراض عضوية وعقد نفسية خطيرة، فضلا عن تشردهم وتسربهم من مدارسهم. لم تتوقف العولمة عند هذا الحد فحسب، بل جرّت الأسرة المسلمة عن طريق وسائل اعلامها المغرضة، وبحجة التأسي بآخر صيحات التحديث والعصرنة، خلعت المرأة المسلمة لباس الحشمة والحياء وارتدت مكانه هندام الموضة الكاشف لعورتها، وانبهارها بتقليد زميلتها الغربية في نمط عيشها كالمأكل والملبس وباقي تصرفاتها اليومية. ومن اهم الانتكاسات التي منيت بها الاسرة المسلمة من جرّاء تقليدها للأسرة الغربية، وبسبب المبالغة في تأمين الرعاية المادية على حساب الرعاية الروحية والتعبدية والأخلاقية.[٣٨] ضعفت روابط وعلاقات افراد الأسرة المسلمة، ونمو أنانية الافراد على حساب الضمير الجمعي الأسري، والتركيز على الاهتمام بالحياة الدنيا واهمال الآخرة بسبب ضعف الوازع العقائدي، والتقصير في أداء الشعائر والعبادات والمعاملات، وفقدان التوازن النفسي وازدياد حالات الشعور بالقلق والاكتئاب في مختلف مناحي الحياة.[٣٩]

المطلب الثاني: مكانة الاسرة في الإسلام وعنايته بتماسكها وحمايتها

من منطلق اعتبار الإسلام الأسرة النواة الصلبة المشكلة لعرى المجتمع، وعنوان قوة تماسكه أو ضعفه، فهي بمثابة الدرع الحصين لأفرادها، لا سيّما الزوجين باعتبارهما بنيان مرصوص يشدّ احدهما الآخر. فبينما تلتزم الأم بالقيام بمسؤولياتها التربوية والعاطفية، مثل تبعات الحمل والولادة والارضاع والرعاية، يتعيّن على الرجل الاضطلاع بمهام الكسب، والانفاق، والحماية المادية والمعنوية. ان خصوصية الإسلام في تقاسم المهام الأسرية بهذه الكيفية يندرج تحت مسمّى تكامل المسؤوليات للوصول بالعلاقة الأسرية الى اعلى درجات التجانس والاستقرار بغية تحقيق المودة والرحمة المشار اليهما في قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنو اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» الروم ٢١. وعلى عكس الطبيعة السائبة لقوانين الأسرة الغربية المعاصرة، ضبط الاسلام الأسرة ونظمها بجملة من التشريعات والاحكام

التي تحقق امنها ورفاهيتها وفق السياق القرآني «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيبا « النساء ١. ان اهمال او ضياع المقصد الشرعي للأسرة المسلمة، قد يخرجها عن اطارها الشمولي والحضاري، والاكتفاء، على غرار الاسر غير المسلمة، بالمظاهر والكماليات المادية الزائفة، الشيء الذي قد يعجّل تصدع بنيتها وتفكك اواصرها. وفي ذلك يشير الطاهر بن عاشور الى مقاصد أحكام الأسرة بقوله ان «انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جماعتها، فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها، وكان ذلك من أول ما عُني به الإنسان المدني في إقامة أصول مدنيته، بإلهام إلهي رُوعي فيه حفظ الأنساب من الشك في انتسابها...ولم تزل الشرائع تعنى بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبر عنه بالزواج او النكاح، فإنه اصل تكوين النسل وتفريع القرابة بفروعها واصولها... وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق، فكانت الاحكام التي شرعتها للعائلة اعدل الاحكام واوثقها واجلّها».[٤٠]

وبعيدا عن بعض المحاولات الحداثية والاستشراقية التي بصمت المرأة المسلمة بالنظرة الدونية والانتقاص من شأنها في علاقاتها وتفاعلاتها الحياتية، فإن مكانة المرأة المسلمة بين افراد اسرتها ومجتمعها، جعلتها بنفس درجة الرجل، ومساوية له في الحقوق والواجبات، ومن اجل التفرّغ لمهامها، فرضت الشريعة الإسلامية على الرجل الالتزام وجوبا بالإنفاق عليها وعلى متطلبات بيتها، مع استقلالية ذمّتها المالية، وحفظ ميراثها الخاص بها، وكفلت لها حريتها في الاختيار لدرجة الاعتراف حتى بحق خلع الزوج عند الضرر. ان مؤسسة الاسرة في التصور الإسلامي، وباعتبارها ثمرة «الميثاق الغليظ» الخاضعة له شرعيا، في مجال الحقوق والواجبات، تنفرد عن غيرها من الأسر، بالتطلّع الى تجاوز حدود عقد الزواج المبرم بين طرفين، الزوج والزوجة، وانسجامهما بالتكامل والتعاون، والتغلب على اختلافاتهما النفسية والسلوكية، ليصبحا مندمجين كما كانا في الأصل، وبحسب التعبير القرآني «نفس واحدة»، لتحقيق الحياة الزوجية المبنية على أساس المودة والرحمة.

خاتمة:

بالرغم من الحصانة التي تتمتع بها الاسرة المسلمة، الا ان الحداثة والعولمة استطاعتا نسبيا ان تنفذا الى بنيتها وان تلحقا بها تحولات وتغيرات تراوحت نسبة تغلغلها بحسب درجة وقوّة مضادات مناعة كل بيئة اسرية ومناخ المجتمع الذي تنتمي اليه. يمكن للملاحظ ان يقف على الآثار التي خلفتها كل من الحداثة والعولمة على نظام الأسرة المسلمة من خلال الواقع السوسيولوجي المغيّب لكثير من تعاليم الإسلام الخاصة ببنيتها وادوارها. يبرز ذلك الواقع بشكل واضح في العلل النفسية والاجتماعية مثل التفكك والتصدع الذي حوّل الأسرة المسلمة الى فضاء للنزاع والعنف وشح المنسوب العاطفي بين افرادها والذي افضى بدوره الى ارتباك علاقاتها التواصلية، نتجت عنها بعض المظاهر كإعادة النظر في مفهوم قوامة الرجل، وعقوق الوالدين وقطع الارحام وانتهاك الأعراض، وتدني في تربية الأولاد، وكثرة حالات الطلاق لأتفه الأسباب، وبروز سلوكيات وأفكار غريبة شاذة مثل الثقافة الجنسية والشذوذ الجنسي، واهمال الحياة الروحية والابتعاد عن التحلي بمكارم الأخلاق الحضارية. وعلى الرغم من التصدي الذي ابدته الأسر المنتمية للمجتمعات المسلمة ذات البيئة المحافظة تجاه العولمة الوافدة بغزوها الاجتماعي والثقافي، فقدت الأسرة المسلمة، كمثيلتها الغربية، الكثير من الأمهات مربيات الأجيال، والزوجات الوفيات الفاضلات القائمات على خدمة بيوتهن لصالح سوق العمالة الرأسمالي العالمي. ان البديل الذي يمكن للأسرة المسلمة ان تسترجع بها هيبتها ودورها الريادي باعتبارها حجر الزاوية في المجتمع، يكمن في حمايتها من هجمات العولمة، وإصلاحها من الداخل ووضع حلول عملية للبدء باسترداد عافيتها وهويتها، وبالتالي يمكن تجاوز الرؤية الأحادية القائمة على الرابطة البيولوجية الفردية الى تحقيق أسرة ممتدة ذات أواصر متعددة، بيولوجية، إنسانية، نفسية، عاطفية، ومجتمعية متكاملة.

FAMILY

الهوامش:

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة أسر، ١٩/٤

٢. المعجم الوسيط (ج ١/ ص ٣٦)

٣. القاموس المحيط، (ج ١/ ص ٣٤٧)

٤. فؤاد بن عبد الكريم، الأسرة والعولمة، بحث في التقرير الارتيادي السنوي الثالث الصادر عن مجلة البيان ١٤٢٧هـ ص ٣٦٣

٥. حسام شحادة، الأسرة وتكويناتها، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد ١٢٥٦، بتاريخ ١٥ جويلية ٢٠٠٥.

٦. رزيقة بن قسمية، المشكلات الاسرية وديناميكية التغيرات السوسيو اقتصادية في الاسرة الجزائرية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع العائلي، ٢٠٢١.

٧. ندى جاسم المهداوي، أثر الترابط الاسري في تحدي العولمة الثقافية، في: التماسك الاسري في ظل العولمة، الشارقة: دائرة مراكز التنمية الاسرية، ٢٠١٢، ص ١٢.

٨. باقر شريف القرشي، نظام الاسرة في الإسلام، دراسة مقارنة، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ص، ١٨.

٩. محمد عقلة، نظام الاسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨٩، ص، ٩

١٠. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ت، الأرناؤوط)، دار الرسالة العالمية، المجلد ٦، ص، ٥٢٨.

١١. أبو زهرة محمد، تنظيم الإسلام والمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص، ٦٢.

١٢. منذ عام ١٩٩٦، ومحاولات الاستنساخ مستمرة الى يومنا هذا، وتعدّ مؤسسة «كلود فوليرهون» الكندية التي ترأسها الباحثة «بريجيت بواسيلي»، من اهم المبادرات في هذا المجال. كما تقوم شركة Advanced Cell technology الامريكية بشكل علني عبر نشر ابحاثها في مجلات علمية محكمة، والى اليوم مازالت الأبحاث جارية باستمرار لا سيما في الدول التي تمتلك احدث المعدات والأجهزة التكنولوجية المتقدمة في مجال الطب وعلم الاحياء.

١٣. في مجال التربية والثقافة، سنت في العشر سنوات الأخيرة، قوانين وتعاليم صارمة، من طرف كثير من الدول الغربية تتيح بها حرية مطلقة لأطفال الطور الابتدائي من اجل اختيار هويتهم الجنسية ليس على الأساس البيولوجي، بل على أساس الجندر، مع حضر تدخل الوالدين واهل الاختصاص للمشاركة في هذا التوجيه.

١٤. سمحت القوانين في السنوات الأخيرة، لكثير من الدول الغربية استهلاك بعض المواد المعيّنة من المخدرات، مثل ألمانيا، بلجيكا، هولندا، الولايات المتحدة الامريكية وكندا.

١٥. تجدر الإشارة هنا، ان الجمعية العمومية الكندية صوتت في السنة الماضية وبأغلبية ساحقة عدم المساس او محاولة التدخل لتصويب الهوية الجنسية للأطفال من طرف والديهم او من أي طرف كان، ومن يثبت في حقه التعدي على هذا القانون يجرّم ويلاحق قضائيا بتهم تتراوح بين دفع غرامات مالية والسجن لمدة قد تصل ال ثلاث سنوات.

١٦. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ط ٣، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، ص، ٩٩.

١٧. الزبيدي، تاج العروس، ط ١، ج١، ص، ٦١١.

١٨. - ابن منظور، لسان العرب، ط ٢، ج١، ص، ٣٤٩

١٩. عبد الرسول الغفاري، النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص، ٦٢.

٢٠. عدنان علي رضا النحوي، الحداثة في منظور ايماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط٣، الرياض، ١٩٨٩، ص، ٣٣.

٢١. المصدر السابق، ص، ١٤.

٢٢. طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المدخل الى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص ٨.

٢٣. محمد اركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الانماء القومي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦، ص، ٣٩.

٢٤. عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، الدار التونسية للنشر، ط ٢، ١٩٩١، ص، ٢٨.

٢٥. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ط ٥، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧، ص، ١٥، ١٦.

٢٦. باسل زيدان، المعجم الجامع، ط ١، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٢.

٢٧. سمر محمد علي إسماعيل ربابعة، العولمة وبعض انعكاساتها على تربية الأبناء، مجلة البحث العلمي في التربية، العدد ١٩، ص، ٤١١.

٢٨. المرجع نفسه، ص، ٤١٠

٢٩. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص، ١٠، ١١.

٣٠. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط ١، دار الشروق، ٢٠٠٤. ص، ١٢٢.

٣١. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مصدر سابق، ص، ١٠، ١١.

٣٢. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مصدر سابق، ص، ١٣، ١٤.

٣٣. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مصدر سابق، ص، ١٤.

٣٤. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، المجلد الثاني، ص، ١٨٢.

٣٥. نورة بوحناش، الاسرة ما بعد الحداثة او ما بعد الأسرة، مجلة آصرة، العدد الثالث، نوفمبر ٢٠٢١.

٣٦. لمزيد من أثر العولمة الغربية على نسيج الأسرة المسلمة، يرجى الرجوع الى: فتحية حسين القرشي، محمد سعيد الغامدي، علم الاجتماع الأسري: نظريات ودراسات أسرية في المجتمع السعودي، دار خوارزم العلمية للنشر، جدّة، ٢٠٢٠. / سعدي أبو طه، علم الاجتماع العائلي، ط ١، مكتبة الطالب الجامعي، خان يونس، ٢٠١٤. / Jean Pierre Durand, Robert Weil, Sociologie contemporaine, Vigot, Paris, ٢٠٠٦, p, ٥٧٤-٥٨٥.

٣٧. رزاق مخور الغراوي، اثر وخطر العولمة على الأسرة المسلمة، موقع كتابات في الميزان، ٢٠١٥، يومية عامة مستقلة. http://www.kitabat.info/subject.php?id=٥٦٧٢٤

٣٨. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، المصدر السابق، ص، ٢٦.

٣٩. محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ط ١٢، دار الشروق، القاهرة، ص، ١٧٩، ١٨١.

٤٠. محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط ٢، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص، ٤٣٠.

مراجعة كتاب

المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩

للكاتبة د. كاميليا حلمي محمد *

إعداد: د. سيكو مارافا توري *

مدخل:

يهدف المراجع في هذه الدراسة إلى مراجعة كتاب: المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩. لمؤلفته د. كاميليا حلمي محمد؛ وذلك بإعطاء نبذة عامة عن محاور الكتاب بالمنهج الوصفي، وبتحليل أهم مضمونه وفكرة الكتاب تحليلا نقديا، ومن ثم محاولة تقويمه وربطه بملفات الباب وأدبياته وبفكرة وإضافات أهم الدراسات السابقة في الباب.

والكتاب في أصله أطروحة قدمتها الباحثة «كاميليا حلمي محمد»، للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الشريعة والدراسات، بقسم الدراسات الإسلامية، في شعبة

(*) محاضرة في مادة الأسرة والمواثيق الدولية، في دبلوم علوم الأسرة، جامعة طرابلس، لبنان.

باحث أول - مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

الدراسات الأسرية، بجامعة طرابلس، لبنان، العام الجامعي ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.[1] ثم نشرت الطبعة الأولى منه إلكترونيا وورقيا سنة ٢٠٢٠، دون دار نشر مكتوب على الكتاب. ويقع الكتاب في سبع مائة واثنين وأربعين صفحة (٧٤٢)، والرقم الدولي ردمك (ISBN) للكتاب هو: 978-9953-0-5296-0.

والكتاب له صيت في العالم الإسلامي مؤخرا، كثر تداوله على الشبكة العنكبوتية، ويجد عدد من الباحثين ضالتهم في عنوان الكتاب، ناهيك على أن المؤلفة لها حضور في العديد من المؤسسات الإسلامية عالميا، وفي أكثر من دولة.

يذكر هنا أن المؤلفة[2] تحمل دكتوراه من جامعة طرابلس، لبنان عام ٢٠١٩. وماجستير في المفهوم الفعلي لمصطلح العنف الأسري في أهم الاتفاقيات الدولية، من أكاديمية الفرحة لعلوم الأسرة، بريطانيا، عام ٢٠١٢م. وقد منحت المؤلفة الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفرحة لعلوم الأسرة؛ تقديراً لجهودها في حماية الأسرة والمحافظة عليها، عام ٢٠٠٩م. وتحمل دبلوم المجتمع المدني وحقوق الإنسان، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، بجامعة القاهرة، بمصر، عام ٢٠٠٦م. وهي حاصلة على بكالوريوس الهندسة، جامعة الإسكندرية، مصر، عام ١٩٨٤م.

من أهم الوظائف التي شغلتها مما لها علاقة بالأسرة وبموضوع الكتاب ما يأتي:

- محاضِر في مادة الأسرة والمواثيق الدولية، في دبلوم علوم الأسرة، جامعة طرابلس لبنان.
- عضو الهيئة الاستشارية العليا لمعهد الأسرة الدولي التابع لاتحاد المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي IDSB، تركيا.
- الرئيس السابق للجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، التابعة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، مصر.
- وهي كذلك:
- عضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو لجنة الأسرة بالاتحاد.
- عضو الجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت.
- عضو مجلس أمناء منظمة الدعوة

الإسلامية بالسودان.

- عضو الهيئة الاستشارية النسائية للبنك الإسلامي للتنمية، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي.

وستكون مراجعتي للكتاب قائما على دراسة العناصر الآتية:

١. المحور الأول: الهدف من تأليف الكتاب

٢. المحور الثاني: منهج المؤلف في الكتاب

٣. المحور الثالث: أسباب اختيار الكتاب المراد مراجعته

٤. ا المحور الرابع: محتويات الكتاب

٥. المحور الخامس: دراسة تحليلية للكتاب

المحور الأول: الغرض من تأليف الكتاب:

هدفُ المؤلفةِ من تأليف الكتاب هو إثبات –من خلال دراستها وتفسيرها لنصوص أهم المواثيق الدولية التي تشكل «منظومة القانون الدولي لحقوق الإنسان»–، أن تطبيق ما تحتويه تلك المواثيق من مضامين، واستراتيجيات، وآليات؛ يؤدي إلى تدمير مؤسسة الأسرة واستئصالها من جذورها بصورةٍ كاملة، وترى أن ذلك يمثل تهديدًا ليس للمجتمعات الإسلامية فحسب، بل وللوجود البشري بأسره.[3] فهل بالضرورة أن تؤدي مواثيق الأسرة الدولية إلى ذلك كما أراد الكتاب إثباته؟

وبتصفح الكتاب أيضا يتبين أن من أهم أسباب الإقدام على تأليف ما يأتي:[4]

- الكشف عن المخاطر الكبيرة التي تمثلها المواثيق الدولية على الأسرة، وعلى المجتمع البشري بأسره، وما تتضمنه من سياسات واستراتيجيات وآليات تهدف إلى هدم واستئصال الأسرة.
- رفع الوعي بخطورة ما تنص عليه هذه المواثيق؛ بهدف تشكيل رأي عام ضاغط باتجاه إعادة النظر في قبولها، وكخطوة أولى في مواجهتها والتصدي لما تحتويه من مخاطر.
- تحذير الباحثين والإعلاميين والقادة الدينيين والمشرعين والسياسيين والتربويين وغيرهم من الفاعلين من تبني ما تدعو إليه المواثيق الدولية من أفكار ومصطلحات خطيرة.
- توضيح حقيقة ومخاطر هذه المواثيق

لعدد كبير من منظمات المجتمع المدني الحقوقية المنغمسة في تطبيق سياسات الأمم المتحدة من أجل الحصول على التمويل من جهات أجنبية وأممية، والمشروط بتنفيذ مشروعات لتطبيق الأجندة الأممية الهدامة.

المحور الثاني: منهج المؤلف في الكتاب:

بينت المؤلفة[5] أنها استخدمت في هذه الدراسة المنهج التاريخي في تتبع نشأة هيئة الأمم المتحدة، ولجانها المعنية بالمرأة والطفل وحقوق الإنسان، وأيضا بداية تغلغل الفكر النسوي الراديكالي وفق وصفها في تلك اللجان، وما تبعه من ضخ ذلك الفكر إلى العالم كله من خلال الوثائق الدولية. كما استخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي لاستقراء وتحليل بنود أهم الوثائق الدولية التي رسمت سياسات واستراتيجيات الأمم المتحدة لاستئصال الأسرة.

وبقراءة الكتاب يتبين أن من منهجيّتها التي لم تذكر ما يأتي:

- أنها تأتي بالنص القانوني أو المواثيق، ثم تعقب عليها بلون أزرق تحت عنوان «الدلالة»
- يقف القارئ أيضا على أن ما تسرده المؤلفة تحت خانة «الدلالة» عبارة عن شروحاتها هي وفهمها للنص، ومحاولة تحليل النص وربطها بما تسعى إلى إثباته من أن هذا النص هادم للأسرة.

المحور الثالث: أسباب اختيار الكتاب المراد مراجعته:

من أهم أسباب اختياري لمراجعة الكتاب ما يأتي:

١- أنه يتوافق مع موضوع العدد الثامن عشر من مجلة الأديان، إذ الكتاب يعدّ الأول من نوعه —وفق اطلاعي- في دراسة موضوع الأسرة في المواثيق الدولية. ففيه الطابع العالمي لتناول موضوع الأسرة. ولا يخفى أن تخصيص مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان عبر مجلة الأديان موضوع الأسرة للدراسة تعكس عمق نظر المركز لإتاحة الفرصة للباحثين لدراسة أهم الموضوعات والسمات الفكرية المتعلقة بالموضوع، وأهم الأبحاث والأطروحات العلمية المكتوبة في المجال. ناهيك على أن الكتاب مرتبط بعمل آخر للمركز، وهو مؤتمر الدوحة الخامس عشر لحوار الأديان، حيث أن الموضوع المختار معالجته في المؤتمر هو عن الأسرة كذلك.

٢- الكتاب يعدّ الأول من نوعه في النقد الصارخ الموجه لحقوق الإنسان باسم البحث العلمي، والفكر الإسلامي، فحُق الوقوف عنده وقفة علمية موضوعية وتقييمه وتعريف المهتمين به عبر مجلة أديان المحكمة.

٣- ما للمؤلفة من موقف عالمي عبر منظمات أسرية وإسلامية متعلقة بالمجال، فرأيها ليس جديرا بالوقوف عليه فحسب، بل وضعه على محك البحث العلمي كي يبدي الباحثون آراءَهم حوله

٤- لعل هذا العرض وهذه المراجعة تتيح للباحثين الفرصة لإعادة قراءة العناصر الإيجابية الموجودة في المواثيق الدولية والتي تحفظ حق المرأة، والطفل، والزوجين، والأسرة قاطبة. سواء بسرد الإيجابيات فحسب على عكس هذا الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته وعرضه، أو بمقارنة الإيجابيات بالسلبيات. وبتتبع أقوال أصحاب الخبرة والقانونيين والمهتمين بالمرأة والأسرة بخصوص إيجابيات مواثيق حقوق الإنسان على الأسرة وأثره الطيب عليها.

المحور الرابع: محتويات الكتاب:

جاء الكتاب في ثلاثة أبواب، هي:

الباب التمهيدي: الأمم المتحدة وتغلغل الفكر النسوي الراديكالي فيها. وفي هذا بينت كيف أثر الفكر النسوي على المواثيق الدولية وذكرت أبرز الشخصيات النسوية والقيادات النسائية اللاتي كان لهن دور في المشاركة في إصدار هذه المواثيق.

الباب الأول: الاستراتيجيات والسياسات التي رسمتها المواثيق الدولية للمرأة والطفل لهدم واستئصال الأسرة. وفي هذا ذكرت العديد من البنود المتعلقة بسن الزواج، والعنف الأسري، وغيرها من البنود التي يحسب واضعوها أنها تحفظ حق أفراد الأسرة.

الباب الثاني: المظلات والآليات التي تستخدمها الأمم المتحدة لهدم واستئصال الأسرة. بينت أن المواثيق الدولية تطبق عبر مؤسسات وجهات معينة، سردت المؤلفة أغلبها.

أراد البحث خلال هذه الأبواب الثلاثة إثبات أن هذه المواثيق الدولية تسعى لأمرين،[6] وهما:

- صرف الشباب عن الزواج لمنع تكوين أسر جديدة، وذلك من خلال: التضييق على الزواج بشكل عام، والزواج المبكر بشكل خاص، وتشجيع الممارسات الجنسية خارج

نطاق الأسرة، وإباحة الدعارة، وحمايتها قانونيا ومجتمعياً، وإباحة الشذوذ الجنسي وغيرها.

- هدم الأسر القائمة، وذلك بتحقيق استقواء المرأة واستغنائها الكامل عن الرجل، من خلال إحداث تغيير جذري في الأدوار الفطرية لكل منهما داخل الأسرة، وإعادة رسم تلك الأدوار من خلال إحلال الشراكة» و»التناصف التام مكان القوامة، ودفع المرأة للعمل خارج المنزل، وخاصة في المجالات التي يختص بها الرجال، وتحقيق المساواة التامة والمطلقة بين الجنسين، في الأدوار، وفي التشريعات. واعتبار تلك الفوارق عنفا ضد المرأة»، ومن ثم تغيير القوانين والتشريعات التي تقوم على اختلاف الأدوار والخصائص لكل منهما، مثل: القوامة، والميراث، والولاية، والمهر، والتعدد وسلطة الرجل في التطليق، وزواج المسلمة بغير المسلم إلى آخره. واعتبار العلاقة الشرعية بين الزوجين بغير الرضا الكامل للمرأة جريمة تستوجب العقوبة الجنائية للزوج. وبهذا يتم تحويل العلاقات الزوجية إلى علاقات صراعية، كفيلة بتفكيك الأسرة والقضاء عليها.

لعله يلاحظ أن الباحثة تحاول إثبات وجهة نظرها التي انطلقت منه، وتقدم نفس الأمر دليلا على ذلك، مما قد يوحي بوجود ما يطلق عليه علماء المنطق بالدور والتسلسل.

المحور الخامس: دراسة تحليلية للكتاب:

من خلال قراءة الكتاب، وجدت أن من المهم لفت انتباه القارئ إلى النقاط الآتية، وإثارتها للتفكير فيها:

١- نجد في البحث إطلاق أحكام عامة مُسبقة قد لا تتوافق مع منهجية البحث العلمي المعاصر القائمة على الموضوعية.. مثال ذلك قولها في أول فقرة من الكتاب في المقدمة دونما دليل سابق: «الدول الغربية تسعى إلى فرض وصايتها على شعوب الأرض قاطبة؛ من خلال عولمة مجموعة من القيم التي تسود مجتمعاتها، وذلك بعد أن يتم صياغتها في إطار فضفاض يُسمى حقوق الإنسان، من خلال هيئة الأمم المتحدة United Nations Organization (UN)، التي أسستها الدول العظمى عام ١٩٤٥ م لتكون أداة لها في حكم العالم، وبالتحديد من خلال لجان المرأة والطفل بها؛ حيث تتم صياغة مفردات تلك المنظومة الغربية

في صور مواثيق واتفاقيات دولية، يتم طرحها على الحكومات للتوقيع عليها، مع فتح الباب لوضع التحفظات على بعض بنودها المختلف عليها.» أجد أن الكتاب أساسا يسعى إلى إثبات هذه القضية، فكيف تنطلق منها. إن كان هذا من المسلمات عندها فقد لا يكون مسلما مطلقا عند كل الناس بمن فيهم المسلمين!

٢- في مقدمة الكتاب عوضًا من التمهي د للموضوع وبيان أهميته، وإعطاء نبذة عامة عن السمات الموضوعية للكتاب وإشكالية الموضوع والهدف من الكتاب؛ انطلقت الباحثة منتقدة حقوق الإنسان، وتقرير دعوى سعي الدول الغربية لفرض الهيمنة عبر المواثيق الدولية دون مقدمات تثبت ذلك.[7]

٣- مواثيق حقوق الإنسان قائمة على مصطلحات أصبحت معروفة، وهي من أبجديات العصر الحديث. سمّت الباحثة هذه المصطلحات بأنها فضفاضة ومفخخة. لفكرة هذه المصطلحات حضور وتقرير في الفكر الإسلامي، رغم الفرق الموجود بين ما نؤمن به كمسلمين وبين ما يدعو الغرب إليه، لكن القاسم المشترك كثير وكبير، يعوّل عليه.[8] مثال ذلك قولها: « وترفع تلك المواثيق شعارات براقة لكنها مفخخة؛ مثل: «المساواة» و«حقوق الإنسان»، ثم تدعو إلى التساوي المطلق بين المرأة والرجل في جميع الميادين: السياسية والاقتصادية والثقافية والمدنية، سواء في الأدوار أو الحقوق أو التشريعات، وتعتبر أي فارق في هذه الأدوار أو التشريعات بين الرجل والمرأة تمييزا وعنفا ضد المرأة» . أجد أن هناك أحكاما عامة ومطلقة أولا، ثم إن هذه المصطلحات أصبحت معروفة. وكان المتوقع من الكتاب إثبات هذه الفرضية خلال الدراسة، لكن ذلك لم يتم.

٤- إن لحقوق الإنسان إيجابياتها في تقرير الحقوق من حيثيات عدة، ثبت ذلك في أهم الكتب التي تناولت موضوع حقوق الإنسان في الإسلام. لكن الكتاب لم يكد يذكر خيرا عنها. ولعل هذا يتنافى مع الموضوعية وأخلاقيات البحث العلمي في الإسلام، والأمانة العلمية.

إن أعظم وثيقة دولية لحقوق الإنسان تكمن في الإعلان العالمي لحقوق الإننسان، وهي أسبق بكثير من الحركة النسوية الرادكالية، فكيف ترى الباحثة أن الحركة النسوية الرادكالية هي أساس المواثيق الدولية؟! تقول الباحثة: «وتحمل هذه المواثيق الدولية رؤية أحادية لقضايا

المرأة والطفل، رؤية تعبر عن الفكر النسوي الغربي الراديكالي؛ حيث ترتكز على عدد من المصطلحات المطاطة؛ منها: العنف ضد المرأة، والجندر، والصحة الإنجابية وغيرها، مع ربطها جميعا بالتنمية المستدامة.»[9] يُذكر هنا أن هذه الألفاظ مصطلحات معروفة، وليست مطاطة، كما يُذكر أيضا أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أسبق من الحركة النسوية، فكيف توضع بتأثير منها أو بها. والباحثة نفسها تحدث عن تاريخ هذه الحركة: «كانت نهايات القرن التاسع عشر بدايات لظهور حركات نسوية منظمة في العالم الغربي.»[10] وذكرت أيضا: «حركة فكرية سياسية اجتماعية متعددة الأفكار والتيارات، ظهرت في أواخر الستينيات، تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي.»[11] والإعلام العالمي لحقوق الإنسان أسبق من هذه التواريخ كما هو معلوم.

٦- اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي والاستقرائي في الكتاب، وهذا مهم، إلا أن التحليل النقدي من أهم المناهج التي سلكتها الباحثة. بل إن النقد من أهم ما قام الكتاب عليه وتمحورت فكرته عليه. فوجب إثبات المنهج النقدي كأحد أهم مناهج الكتاب. هذا وإن المنهج النقدي لا يبنى عليه في بناء تصورٍ حقيقي للشيء، لأنه يعبر عن وجهة نظر الناقد. إنما يتم التعرف على الشيء عبر المنهج الوصفي فالتاريخي القائم على الموضوعية.

٧- إن الكثير من الحقائق التي أوردتها الباحثة تصلح في الحقيقة لبيان الإنجازات التي حققتها المرأة في العصر الحديث نتيجة المواثيق الدولية، ونتيجة مساعي النساء أنفسهن. وليس شرطا أن تفهم كما فسّرت المؤلفة. والمطلع على الكتاب سيقف على نماذج كثيرة من هذا. فمثلا لما تحدثت المؤلفة عن النساء التي كان لهن دور في حضور وتأسيس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والنساء اللواتي قلّدن الحكم في دولهن نتيجة كفاحهن[12].. أجد أن هذه نقاط إيجابية لا سلبية كما أرادت المؤلفة إثباتها، وأترك الحكم للقارئ. ويؤكد كلامي اقتباس المؤلفة نفسها لكلام المسيري: «أزمة المرأة جزء من أزمة الإنسان في العصر الحديث». بمعنى أن فلسفة الحضارة المعاصرة أتت بتحديات عامة، تشمل الأبيض والأسود، والرجل والمرأة والمسلم وغير المسلم بتفاوت..فهي ضريبة الحضارة المعاصرة، لا يشترط أنه أتت فعلا لهدم هذا أو ذاك[13]

٨- عنونت المؤلفة المبحث الأول من الباب الأول[14] ب: «تشجيع الزنى». وتحدثت فيه عن رفع سن الزواج المبكر وخفض الزنى، وسردت بنود الاتفاقيات التي تتحدث عن رفع سن الزواج وعلاقة ذلك بالتعليم والعمل ووعي المرأة وغير ذلك، لكنني لم أجد أنها تطرقت إلى ما تثبت خفض سن الزنى. مما يعني أن العنوان لم يكن موضوعيا كما بدا لي كمراجع.

٩- كثير من العناوين لا تعبر عن محتواها المراد بيانه. من عناوين الكتاب مثلا: إباحة الدعارة وحمايتها قانونيا ومجتمعيا. لكن الباحثة لم تأت بقوانين من المواثيق الدولية التي تشرع الدعارة. بالعكس المعروف هو تجريم أكثر دول العالم للدعارة.[15] لكن الاهتمام بمن أصيب بمرض منهن وحصوله –ذكر- أو حصولها (أنثى) على حق العلاج أو الوقاية هو ما تحدث عنه الكثير من المواثيق. فكأن العنوان مغالط وليس قائم على دليل.

١٠- إن كثيرا من موضوعات الكتاب قائم على حقائق ثابتة وبتود معروفة ومصطلحات مشهورة مثل استقواء المرأة، وحماية الطفل، العنف ضد المرأة، العنف الأسري، وغير ذلك. لكنها ليست بالضرورة أن تكون قد أتيت بها لهدم الأسرة، ويمكن النظر إليها بأكثر من زاوية، كما أن هناك عوامل أخرى وشروحات مساندة من مثل تحدي الحداثة والحضارة المعاصرة ككل ومبادئها للأسرة.

١١- أغلب موضوعات الباب الثاني يصلح أن يتردد بين حق المرأة وبين هدم الأسرة، لأنه يلاحظ أن الكثير من هذه الحقوق المذكورة لا يتنافى مع الفكر الإسلامي من حيث الظاهر، كحق التعلم، وحق العمل مثلا. فالإشكال دوما يكمن في الشرح وفهم البند، وليس شرطا أن مؤدى البند هو هدم الأسرة بالضرورة. وبخاصة لو استحضرنا أمرين اثنين: أولهما الدراسات التي تشيد بهذه البنود وحمايتها لحقوق المرأة والطفل ومواكبة الحياة المعاصرة. وثانيهما هو واقع الأسر الناجحة في الغرب والمؤسسات المهتمة بالأسرة. يبقى التحدي هنا هو تحدي الفهم والشرح أولا، وتحدي تغيير نمط الحياة بشكل عام نتيجة المستجدات ونتيجة الحياة المدنية المعاصرة، وآثار هذه التغيرات موجودة في كل نواحي الحياة ولا تقتصر على الأسرة فحسب.

١٢- لم تكد المؤلفة أن تترك منظمة دولية أو محلية بل حتى القادة الدينين[16] إلا أشارت إليها بأنها تسعى لهدم الأسرة، ولعل في هذا التعميم إشكال نوعا من ناحية البحث العلمي، وإن كانت النوايا طيبة وسليمة.

الهوامش:

١. كاميليا حلمي محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩ (دون دار نشر، كتاب إلكتروني، ط١، ٢٠٢٠). ص ١.

٢. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٧٤١.

٣. الغلاف الخلفي للكتاب، المعرف به.

٤. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٨.

٥. محمد المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٨.

٦. الغلاف الخلفي للكتاب، المعرف به.

٧. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٧.

٨. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٧.

٩. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩. ص ٧.

١٠. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ١٥.

١١. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٢٤.

١٢. انظر إلى السير الذاتية لهؤلاء النسوة كما أتى في الكتاب: ص ٣٩ – ٥٣.

١٣. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٦٠.

١٤. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٧٠.

١٥. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ١٣٠.

١٦. محمد، المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة: بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وحتى مطلع عام ٢٠١٩، ص ٥٥٤.

الأستاذة الدكتورة عواطف حيار

تعمل الأستاذة الدكتورة عواطف حيار وزيرةً لوزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة بالمملكة المغربية، وذلك منذ أكتوبر ٢٠٢١. وحصلت على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف في تخصص الهندسة الكهربائية. عملت في البحث والتدريس من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠١٠ في فرنسا. وشغلت منصب الأستاذية في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء. كما عُينت عواطف حيار رئيسة لجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء – المغرب، وهي ثاني امرأة في تاريخ المغرب تتولى هذا المنصب. وهي عضو في مركز أبحاث مدينة الدار البيضاء «الطليعية». كما أنها إحدى المؤسسين عام ٢٠١٣ لمجموعة المدن الذكية بالمدينة المنورة. تشمل اهتماماتها البحثية مجالات أنظمة الاتصالات الخضراء المعرفية، وأنظمة UWB، والشبكات الذكية، والبناء الاجتماعي الذكي المستدام، والحوكمة الإلكترونية، والبيانات المفتوحة للمواطنين، والمدن الذكية، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية الاجتماعية والاقتصادية الذكية الصديقة للبيئة. كما عملت الأستاذة الدكتورة عواطف رئيسا لـ IEEE DLT لمنطقة أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا في عام ٢٠١٤، وهي مصممة مبادرة المدينة الذكية الاجتماعية المستدامة للدار البيضاء والدول الناشئة، والتي تم اختيارها من قبل مبادرة IEEE Smart City كواحد من أكثر المشاريع ابتكارًا في العالم في عام ٢٠١٥. كما تم اختيارها من قبل مؤسسة الابتكار الإفريقية المرموقة كواحدة من أفضل عشر نساء أفريقيات مبتكرات في عام ٢٠١٥. وقد طورت عواطف حيار «المدينة الذكية المستدامة التعاونية الاجتماعية المقتصدة في الدار البيضاء». وهي المستشار العلمي، على مستوى المدينة، لمعرض المدن الذكية بالدار البيضاء والرئيس المشارك العام للمؤتمر الدولي IEEE حول المدن الذكية (IEEE ISC٢ – ٢٠١٩). انتخبت الأستاذة الدكتورة حيار في سبتمبر ٢٠٢١ عضوًا في مجلس الوكالة الجامعية للفرانكوفونية على المستوى الدولي.

الأستاذ الدكتور علي محيي الدين القره داغي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أستاذ الشريعة والاقتصاد الإسلامي، ورئيس مجلس أمناء جامعة التنمية البشرية وصاحب الامتياز، وخبير المجامع الفقهية الدولية، ورئيس أو عضو تنفيذي لهيئة الفتوى والرقابة الشرعية لعدد من البنوك الإسلامية، وشركات التأمين التكافلي الإسلامي في دول الخليج العربي والعالم .حاصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف في مجال العقود والمعاملات المالية ، عام ١٩٨٥م بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين جامعات العالم، ونال درجة الأستاذية ١٩٩٥م. صدر له أكثر من خمسين مؤلفاً وكتاباً في مجال الفقه الإسلامي والقانون والشريعة والدراسات الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والتنمية وفقه المعاملات المالية وقضايا البنوك الإسلامية والتأمين التكافلي، وله أكثر من مائتي بحث علمي محكم.

الأستاذة الدكتورة ليليا شنتوح

أستاذة التعليم العالي كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر١، شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية في الجزائر و بلجيكا وتركيا وقطر والسعودية، مسؤول تخصص ماستر مقارنة الأديان بجامعة الجزائر، رئيسة اللجنة العلمية لقسم العقائد والأديان سابقا، عضو المجلس العلمي، عضو مخبر المناهج البحث بالعلوم الإسلامية، كما ناقشت وأشرفت على العديد من أطروحات الدكتوراه ، ولنا العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في مجلات علمية محكمة.

الدكتورة شفاء مأمون ياسين

حاصلة على الدكتوراه من الجامعة الهاشمية في الأردن. منسقة ومدرسة مادة اللغة العربية، في كليات التقنية العليا بدولة الإمارات العربية المتحدة في الشارقة، –سابقًا–، كما عملت في تدريس اللغة العربية في جامعة زايد، وفي جامعة عجمان. ودرّستْ في الكثير من المدارس الحكومية والخاصة في الإمارات.لمدة خمس عشرة سنة. شاركت في الكثير من المؤتمرات، منها: تركمانستان، ودبي، والأردن، وعُمان، ولها بحوث علمية منشورة، وعدد من الكتب المنشورة. وهي عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، وعضو في جمعية حماية اللغة العربية– في الشارقة.

الدكتور أحمد عبد الرحيم

باحث أول بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، عمل سابقًا باحثا أول بتحقيق المخطوطات، والتدقيق اللغوي للبحوث التراثية بمكتبة الإسكندرية، حاصل على دكتوراه في الآداب واللغات الشرقية)العربية والفارسية(كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، عضو الجمعية الفلسفية المصرية، ومحرِّر القسم العربي لمجلة أديان التي تصدر عن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، له العديد من الكتب والأبحاث المنشورة تأليفا وتحريرًا وترجمة، منها: الآثار العربية: منتخبات من أبحاث المؤرخ الدكتور جواد علي التاريخية، مجلدان-تحرير، وكتاب الأديان وحقوق الإنسان- تحرير، وكتاب الأمْنُ الرُّوحيُّ والفِكْريُّ في ضَوْءِ التَّعَاليمِ الدِّينيَّة- تحرير، وكتاب الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص، وله من الترجمات العربية عن الفارسية كتاب المعارف الأربعة ترجمة مقدمة كتاب كيمياء السعادة للإمام أبي حامد الغزالي، كما له العديد من البحوث المنشورة المتصلة باللغة والترجمة ومقارنة الأديان.

الدكتورة هند محمد أحمد الحمادي

باحثة متخصصة في القضايا الاجتماعية، وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر. دكتوراه في العلوم الاجتماعية والإنسانية- تخصص فلسفة وحضارة إسلامية.ماجستير في الدراسات الإسلامية- تخصص مقارنة أديان. بكالوريوس في التربية.

الدكتور الحسين محمد على خليل

حاصل على درجة (الدكتوراه) في اللغة العبرية ، والديانة اليهودية من كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر، بتقدير مرتبة الشرف الأولى عن رسالة بعنوان : الردة في اليهودية ؛ دراسة عقدية تاريخية مقارنة ، وعلى درجة (الماجستير) عن رسالة بعنوان : حياة اليهود الاجتماعية في مقامات الحريزي الأندلسية دراسة أدبية مقارنة .

الدكتور علي بن مبارك

أستاذ الحضارة بالمعهد العالي للغات بنابل جامعة قرطاج بتونس، باحث مختص في الأديان المقارنة، له عدّة كتب ومقالات محكّمة في الحوار الديني والدراسات الإسلامية المعاصرة، عضو في عدةّ منظمات وهيئات علمية ، صدر له أخيرا (٢٠١٧) عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود كتاب «الحوار التقريبي بين المذاهب الإسلامية: التجارب والإشكاليات والآفاق.، فازبالجائزة العالمية لحوار الحضارات في دورتها الثالثة (الدوحة ٢٠٢١)»

الدكتور سيكو مارافا توري

باحث أول بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، عمل أستاذا مشاركا بقسم الدراسات الإسلامية بكلية علوم التربية بجامعة: المركز الجامعي للتخصصات المتعددة وغادوغو، بوركينا فاسو من سبتمبر ٢٠٢٠ إلى يناير ٢٠٢٢. وعمل أستاذاً مساعداً في قسم أصول الدين، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة الشارقة من سبتمبر ٢٠١٧ إلى أغسطس ٢٠٢٠. وعمل برتبة أستاذ مساعد فمشارك بقسم أصول الدين والدعوة في جامعة المدينة من العام الدراسي ٢٠١٣ إلى ٢٠١٧، وهو العميد السابق لعمادة البحث العلمي بها، وهو مؤسس ورئيس مركز توري التعليمي. يدرس باللغتين: العربية والإنجليزية مواد العلوم الإسلامية. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية، وله العديد من المقالات العلمية المحكمة، كما أنه أشرف على عدد من الرسائل العلمية على مستوى الدراسات العليا: الماجستير والدكتوراه.

الدكتورة جميلة بلعودة

باحثة متخصصة في دراسات في القرآن والسنة، ومتحصلة على شهادة الماجستير والدكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في ذات الاختصاص، عضو محكم في عدة مجلات مختصة بالفكر الإسلامي. لها مجموعة من الكتب والأبحاث المنشورة، منها: الاستقامة العقدية في الخطاب القرآني/ إبراهيم الخليل نموذجًا ، مفهوم السدّاد في القرآن الكريم/ دراسة تحليلية، و القصد والاستقامة في الخطاب القرآني/ قراءة في التعالق الدلالي.

الدكتوركمال أصلان

عضو هيئة تدريس (منتدبًا) في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر، أستاذ الفلسفة والأخلاق في العديد من الجامعات التركية. حاصل على دكتوراه في فلسفة الأخلاق، بمرتبة الشرف الأولى، جامعة القاهرة ٢٠٠٢، وحاصل على ماجستير في الفلسفة الإسلامية، بتقدير ممتاز، من مؤلفاته: الأخلاق بين الإسلام والمذاهب والأديان القديمة، وسؤال الأخلاق في فقه وفكر (أبي حنيفة -الغزالي - القرضاوي)، وفقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري للأمة، والوجيز في تاريخ الفكر السياسي، وأثر العولمة في الفكر العربي الحديث، وأدب الاختلاف في الرأي وضوابطه، ونهضة الأمة بين القيم الروحية والتقدم المادي. وله العديد من الأبحاث العلمية، والمقالات المنشورة في العديد من المجلات، والصحف، ومواقع الانترنت المختلفة.

الدكتور جمال موهوب

باحث اجتماعي كندي من أصل جزائري، مقيم في مقاطعة كيبيك الكندية، موظف بسلك التربية والتعليم بمدينة مونتريال، تتمحور ابحاثه حول مواضيع التحوّلات الدينية في عصر تحدّي العولمة المهيمنة بنظامها الليبيرالي الجديد والمستقطبة لليد العاملة المهاجرة على خط جنوب شمال، كما يهتم بدراسة قضايا الاندماج الاجتماعي بين الإسلام والعلمانية للعرب والمسلمين في بلدان المهجر عموما، ودولة كندا خصوصا.